الإمامة في ضوء التشيّع

المقدّمة

يعدّ الادراك الصحيح للمفاهيم والنصوص الدينيّة في طليعة العوامل المؤثّرة في تكوين الفهم الصائب والصحيح للعلوم والمعارف الدينيّة، يعني الادراك الحقيقي للنصوص التي تبيّن أُصول الدين ومفاهيمه الأساسيّة من قبيل التوحيد، النبوّة، الخاتميّة، الامامة، الخلافة، الوصاية.

ذلك انّ الفهم الصحيح هو الذي يقود المرء إلى الحقائق وإلى التعاليم التي بعث الله رسله وأنبياءه من أجل ايصالها إلىٰ عباده، وفي المقابل فان عدم الفهم الصائب والصحيح لهذه المفاهيم والنصوص يفضي بالانسان إلى الضلال والضياع والتيه.

انّ الادراك الخاطئ لمفهوم الامامة، والفهم غير الصحيح ازاء واحد من الأركان الأساسيّة للتشيّع وأعني الامامة والولاية أفضىٰ بالمحاضر في «حسينيّة الارشاد» وتحت عنوان: «الامامة في النهضة الحسينيّة» في محرّم ١٤٢٧ هـ إلىٰ ان يصف الشيعة بالتطرّف والغلوّ في عقيدتهم، لذا وجدت من الضروري الرد على الشبهات التي أثارها ويثيرها البعض حول أُصول التشيّع وتحليل هذه الشبهات، وبيان أقصىٰ ما يمكن من الحقائق التي تتعرّض للانكار من هذه الأُصول.

وكان بدء الردود قد طرح عبر مواقع الانترنت علىٰ شكل مقالات، غير انّه ومن أجل تعميم الفائدة رأيت طبع هذه الردود وبعد اضافة المزيد من الشروح

وعرضها في كتاب فكان هذا الجهد الذي أضعه بين أيدي القرّاء الكرام.

وتأتي الردود جواباً علىٰ بعض العبارات التي تثار في العديد من المناسبات في هذا المضمار من قبيل القول:

«لم أقرأ في مكان انّ الامام الحسين عليه السلام وجواباً عن السؤال المهم: من هو الامام؟ انّه قال: «الامام هو المنصوب من الله، الامام هو المنصوب من قبل رسول الله، الامام هو المعصوم، الامام هو العالم بالغيب».

أو قوله: «انّ هذه المفاهيم ـ الامامة، الولاية، العصمة ـ قد تطرّق لها الأئمّة علىٰ نحو محدود جدّاً».

أو قوله: «علي دعىٰ نفسه عالماً، الآخرون يمكنهم أن يكونوا علماء، أمّا علي ولكثرة مجالسته للرسول صلى الله عليه وآله وتهذيبه نفسه ولتمكّنه من الالمام بأُصول الدين كان الأعلم؛ ومن المؤكّد انّ عليّاً سبق الآخرين، وليس الموضوع نفي أو اثبات مقام علي وآل علي، الموضوع هو هل أن علم الغيب شرط في الامامة أم لا؟».

وهكذا فهو ينكر مسألة النصب، النص، العصمة، وتوفّر الأئمّة المعصومين علىٰ علم الكتاب.

وقد نوقشت موارد الانكار في فصول عديدة:

الفصل الأوّل: الامامة، إكمال الدين.

الفصل الثاني: انتخاب ونصب الامام عليه السلام من لدن الله سبحانه والنصوص في موضوع الاختيار والنصب.

الفصل الثالث: العصمة خصائصها والمكوّنات التي تتحقّق فيها الامامة.

الفصل الرابع: الامامة وعلم الغيب.

الفصل الخامس: الامامة، التفويض والوحي.

الفصل السادس: أهل البيت عليهم السلام والقرآن الكريم.

الفصل السابع: الأمامة والتوسّل.

الفصل الثامن: العرفان (التصوّف) والتشيّع.

الفصل التاسع: التشيّع ومكانته بين المذاهب الاسلاميّة، خلال رسائل مع رئيس جامعة الأزهر.

الفصل الأوّل

الامامة: إكمال الدين

ماذا كان جوهر الرسالة لشخص رسول الله ﷺ؟

انّه ابلاغ وايصال التعاليم الالهيّة إلى الناس ودعوتهم إلىٰ تلقي الوحي التدريجي من خلال طرحه في نظام تشريعي مدوّن في كتاب هو القرآن الكريم ليكون ناطقاً بالقوانين والضوابط.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

انّ كلّ كتاب علمي يحتاج إلىٰ معلّم يعي ويدرك رموزه العلميّة التي يشتمل عليها، ولذا فان عمليّة فهم وادراك ما في هذا الكتاب من دون الاستفادة من المعلّم المختصّ لن يؤدّي إلّا إلىٰ هدر سنوات العمر وفشل الانسان وضياعه في دروب الضلالة التي ستقوده في النهاية إلى الهاوية.

من أجل ذلك يخاطب الله سبحانه وتعالىٰ رسوله الكريم واصفاً أيها بمعلّم

---

١. سورة الأعراف (٧): ٥٢.

الكتاب الذي يمثّل ميثاق النظام الالهي في قوله تعالىٰ:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1].

واذن فان من ضرورات الادراك والفهم لما ورد من المواضيع العلميّة والمعرفيّة الوحيانيّة التي يشتمل عليها هذا الكتاب السماوي هو التمسّك بالمعلّم الوحيد له وهو شخص رسول الله ﷺ وما يبيّنه من تعاليم الكتاب.

وهنا سؤال هو هل أن عمليّة التعليم هذه تتم في مرحلة واحدة وهل يمكن للانسان أن يتلقّىٰ العلم دفعة واحدة أو انّه يحتاج إلىٰ مراحل متعدّدة عبر مقطع زمني لكلّ مرحلة؟

فهل يمكن لمن يريد أن يتعلّم الطب أن يتلقّىٰ علم الطبابة والطب في جلسة واحدة يحضرها لدىٰ استاذ العلوم الطبيّة بحيث لا يعود بحاجة إلىٰ ذلك الاستاذ في هذا العلم؟!

أبداً!

ومن البديهي انّه يتوجب بداية إيجاد مقدّمات في نفس المتعلّم تمكّنه من استيعاب وفهم القضايا الطبيّة التي يطرحها الاستاذ ويبيّنها للطالب وبعد ايجاد هذه القابليّة يتطلّب من المتلقّي أو الطالب الحضور المستمر واستمرار عمليّة التعلّم والتلقّي واستكمال شروط النجاح في إدراك تعاليم الاستاذ.

إنّ أي خلل يحدث في ذلك وغياب أحد العناصر المذكورة من قبيل: عدم حضور الطالب لدى الاستاذ، عدم ادراك المواضيع أو عدم حضور الاستاذ في

---

١. سورة النحل (١٦): ٤٤.

الصف يؤدّي وعلىٰ نحو قطعي يقيني إلىٰ فشل الطالب في تعلّم العلوم الطبيّة.

السؤال هنا هو هل كان رسول الله ﷺ في عصر الرسالة وحيداً في تعليم الكتاب أو القرآن الكريم أم أنّ الله سبحانه اختار نصيراً ووزيراً له في أداء هذه المهمّة الخطيرة؟

انطلاقاً من بشريّة الأنبياء ومهمّة تزكية وتعليم الأمم علىٰ مراحل تدريجيّة علىٰ يد فرد واحد فان هذه المهمّة تكون شاقّة جدّاً ولهذا فانّ الله سبحانه كان يختار لأنبيائه أوصياء من أجل مساندة دور الرسل والأنبياء في أداء وتبليغ الرسالات الالهيّة.

ونحن نلاحظ في سورة طه كيف طلب سيّدنا موسى بن عمران أن يعضده الله بأخيه هارون:

﴿وَٱجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * ٱشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَىٰ * وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾[1].

وكذلك سيّدنا المسيح عيسى بن مريم:

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى ٱللهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ ٱللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّاهِدِينَ﴾[2].

---

١. سورة طه (٢٠): ٢٩ ـ ٣٧.

٢. سورة آل عمران (٣): ٥٢ ـ ٥٣.

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[1].

أورد أبوالفرج ابن الجوزي في «المدهش» أسماء حواري عيسى عليه السلام والذين صدّقوا نبوّة المسيح وما جاء به من رسالة التوحيد وبعد أن رفع الله سبحانه رسوله عيسى إليه، انتشروا في أقطار العالم لنشر دينه؛ ولأهميّة الوزير والشريك في أداء الرسالة الالهيّة (وأشركه في أمري) والوحي والخليفة الذي يخلف رسول الله صلى الله عليه وآله، فانّنا نلاحظ انّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ومنذ بدء الدعوة الاسلاميّة يقوم باعلان ذلك لعشيرته الأقربين وذلك لما أمر الله سبحانه بانذار قومه (وأنذر عشيرتك الأقربين)، وقد اجمعت المذاهب الاسلاميّة علىٰ ذلك وهذا نموذج ما ورد في روايات أهل السنّة:

أخرج الطبري في تاريخه عن ابن حميد قال: حدّثني سلمة قال: حدّثني محمّد بن إسحاق، عن عبدالغفّار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، عن عبدالله بن عبّاس، عن علي بن أبي طالب، قال: لمّا نزلت هذه الآية علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[2].

... فَاجْمَعْ لِي بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى أُكَلِّمَهُمْ وَأُبَلِّغَهُمْ مَا أُمِرْتُ بِهِ. فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ ثُمَّ دَعَوْتُهُمْ لَهُ وَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ رَجُلاً يَزِيدُونَ رَجُلاً أَوْ يَنْقُصُونَهُ فِيهِمْ أَعْمَامُه...

ثُمّ تكلّم رسول الله صلى الله عليه وآله فَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنِّي وَاللهِ مَا أَعْلَمُ شَابّاً فِي

---

١. سورة المائدة (٥): ١١١.
٢. سورة الشعراء (٢٦): ٢٠٠.

الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ بِأَفْضَلَ مِمَّا جِئْتُكُمْ بِهِ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَقَدْ أَمَرَنِيَ اللهُ تَعَالَى أَنْ أَدْعُوَكُمْ، فَأَيُّكُمْ يُؤَازِرُنِي عَلَى هَذَا الأَمْرِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ؟

قال: فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ عَنْهَا جَمِيعاً وَقُلْتُ، وَإِنِّي لأَحْدَثُهُمْ سِنّاً، وَأَرْمَضُهُمْ عَيْناً، وَأَعْظَمُهُمْ بَطْناً، وَأَحْمَشُهُمْ سَاقاً: قُلْتُ أَنَا يَا نَبِيَّ اللهِ! أَكُونُ وَزِيرَكَ عَلَيْهِ فَأَخَذَ بِرَقَبَتِي ثُمَّ قَالَ: هَذَا أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا.

قال: فَقَامَ الْقَوْمُ يَضْحَكُونَ وَيَقُولُونَ لأَبِي طَالِبٍ:

قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْمَعَ لِعَلِيٍّ وَتُطِيعَ[1].

وأضاف ابن أبي الحديد الشافعي:

ويدلّ على أنّه وزيرُ رسول الله ﷺ مِن نصّ الكتاب والسنّة، قول الله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[2].

وقال النبيّ ﷺ في الخبر المُجمع عليه على روايته بين سائر فِرَق الاسلام: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي»؛ فأثبت له جميع

---

١. تاريخ الطبري ٢/٢١٦؛ تفسير الطبري ١٩/٧٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣/٢١٠؛ أنباء نجباء الأبناء، فقيه برهان الدين ٨/٤٦؛ تاريخ تمدّن اسلامى، جرجي زيدان ١/٣١؛ تاريخ أبو الفداء عماد الدين الدمشقي ١/١١٦؛ تفسير علاء الدين، خازن علاء الدين البغدادي: ٣٩٠؛ جمع الجوامع، حافظ السيوطي ٦/٣٩٢؛ حياة محمّد، استاذ محمّد حسنين هيكل: ١٠٤؛ شرح الشفاء لقاضي عيّاض، شهاب الدين الخفاجي ٣/٣٧؛ نقض العثمانيّة، أبو جعفر الاسكافي المعتزلي؛ الكامل ابن الأثير ٢/٢٤.

وفي المصادر الشيعيّة: بحار الأنوار ٢٨/٢٢٣؛ المناقب ٢/٢٤.

٢. سورة طه (٢٠): ٢٩ ـ ٣١.

مراتب هارون عن موسى، فإذن هو وزير رسول الله ﷺ وشادّ أزره، ولو لا أنّه خاتم النبيّين لكان شريكاً في أمره».

اذن فمع بدء ظهور الاسلام ومع مطلع الدعوة الاسلاميّة عرّف النبي ﷺ عليّاً على انّه وزيره في حياته وخليفته بعد وفاته، فهل هناك نصّ أقوىٰ من هذا النص في جعل الخلافة لآل محمّد ﷺ؟

ولقد استمرّ النبي ﷺ في تأكيد هذه الخلافة لوصيّه طول حياته، يقول ﷺ وهو الذي لا ينطق عن الهوىٰ، إنّما هو وحي يوحىٰ:

«هَذَا أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا».

ورسول الله ﷺ من عباد الله الذين

﴿ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

وقد جاء في القرآن الكريم علىٰ لسانه ﷺ:

﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾[2].

وقوله تعالىٰ يؤيّد رسوله ﷺ في انّه لا يتكلّم من عنده.

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[3].

وإذن فانّ الامام علي عليه السلام ومنذ ظهور الاسلام عُيّن وزيراً للنبي ﷺ، والوزارة تعني المشاركة في العمل في تطبيق الشريعة والنظام التشريعي، حيث يستمرّ في أداء مهامه بعد رحيل النبي ﷺ واعتباره الخليفة الشرعي.

---

١. سورة الأنبياء (٢١): ٢٧.
٢. سورة الأنعام (٦): ٥٠ و...
٣. سورة النجم (٥٣): ٣ ـ ٤.

انّ اطّلاع الأوصياء علىٰ نظام التشريع لا يمكن أن يكون عن طريق التعليم الاكتسابي، انّ الشراكة في أداء أمر الرسالة والقيام بالتزكية وتعليم الناس العلوم الوحيانيّة تستلزم الشراكة، وهي أن يكون الوزير شريكاً للنبي في الموضوع وتستلزم أن يكون علمه في مستوىٰ علم النبي وإلّا فانّه لن يستطيع النهوض بهذه المهمّة، فكيف يحصل هذا العلم لدى شريك خاتم الأنبياء يعني رسول الله ﷺ؟

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ وَلا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنَ أَخْلاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاقِهِ عَلَماً وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَلا يَرَاهُ غَيْرِي وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلامِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ»[1].

وانطلاقاً من قوله تعالىٰ بشأن القرآن الكريم: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ تكون الطهارة ذاتيّة ومن هنا كانت هذه الطهارة أمراً مشتركاً بين رسول الله ﷺ وآله

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

صلوات الله عليهم أجمعين.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[١].

ولهذا قرنت الصلاة على النبي ﷺ بالصلاة علىٰ أهل بيته تكريماً من لدن الله ﷻ لهم حيث لا تتمّ صلاة المسلم إلّا بالصلاة على النبي وآله ما يشير ضمناً إلىٰ هذه الشراكة في أمر ابلاغ الرسالة ومهامها في أداء مهام النبي ﷺ في التزكية والتعليم للأمّة ومهام تطبيق النظام الشريعي الذي جاء به النبي ﷺ في واقع الحياة.

قال النيسابوري في تفسيره عند قوله تعالىٰ:

﴿قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٢]:

«كَفىٰ شَرَفاً لآلِ الرَّسُولِ وَفَخْراً التَّشَهُّدُ بِذِكْرِهِمْ وَالصَّلوةُ عَلَيْهِمْ فِي كلِّ صَلاةٍ»[٣].

ومن أجل أن يتذكّر المسلمون إلىٰ أبد الدهر بأنّ المعلّم الوحيد للقرآن الكريم هو رسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام.

قال الله عزّوجلّ في محكم كتابه الكريم:

﴿قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٤]:

فكان أجر الرسالة الذي يتعيّن على المسلمين أداءه هو المودّة لآل رسول الله ﷺ.

---

١. سورة الأحزاب (٣٣): ٣٣.
٢. سورة الأنعام (٦): ٩٠.
٣. الغدير: ٢/٣٠٤.
٤. سورة الأنعام (٦): ٩٠.

فما هو المراد من المودّة بالنسبة للقربى؟ أن معناها الحقيقي يكمن في اتباع النبي ﷺ.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[١].

وطاعة رسول الله ﷺ التي تكون واجبة علىٰ كلّ مسلم ومسلمة:

﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٢].

وتحفل الكتب الروائيّة في تفسير هذه الآية الكريمة وأمّا في المصادر الروائيّة لأهل السنّة:

فقد جاء عن الحافظ أبي حاتم، أبو محمّد الحنظلي الرازيّ المتوفّى ٣٢٧، أخرج باسناده عن أبي سعيد الخدري:

أنَّ الآيةَ نَزَلَتْ عَلىٰ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ غَدير خُمّ فِي عَليّ بنِ أبي طالب[٣].

أو:

الحافظ ابن مردوية المولود ٣٢٣ والمتوفّى ٤١٦ أخرج باسناده عن أبي سعيد الخدري:

أنّها نَزَلَتْ يَوْمَ غَديرِ خُمّ فِي عليّ بنِ أبي طالب.

وباسناده آخر عن ابن مسعود أنَّهُ قال: كُنّا نَقرأُ علىٰ عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ:

يا أيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ـ إنّ عَلياً مَولى المؤمنين ـ وَإنْ لَمْ

---

١. سورة آل عمران (٣): ٣١.
٢. سورة النساء (٤): ٥٩.
٣. الدرّ المنثور: ٦/٣٩٢.

تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ تَفْسِيرُهَا أَتَخْشَى النَّاسَ فَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ[١].

وهذان نموذجان فمن أراد التفصيل في هذا الموضوع فليراجع موسوعة الغدير الجزء الأوّل يجد الكثير من مصادر الحديث لدى اخواننا.

قال علي عليه السلام:

«فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ وَالْأَعْلامُ قَائِمَةٌ وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ وَأَعْلامُ الدِّينِ وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ»[٢].

فهل المراد من «المنار» المنصوبة سوى «عترة نبيّكم»؟

أليست المنائر هي التي تضيء الطريق للقوافل البشريّة الراحلة في طريق الحياة.

فَمَن نصب هذه المنائر اذن؟

١ ـ المتكلّمون ٢ ـ هم نصبوا أنفسهم بأنفسهم؟ ٣ ـ أم الله تعالىٰ؟

قال الامام علي عليه السلام في شأن ومنزلة أهل البيت عليهم السلام:

«وَ لَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلايَةِ وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ»[٣].

ألا تعني عبارة «ونقل إلىٰ منقله» هي اعادة حقّ الخلافة إلىٰ عليّ وذريّته من

---

١. الدرّ المنثور: ٢ /٢٩٨؛ فتح القدير للشوكاني؛ كشف الغمّة للإربلي: ٩٤.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٨٧. ٣. نهج البلاغة، الخطبة ٢.

الأئمّة الهداة الذين هم المنائر المنصوبة ؟

انّ الامامة أمر لا يتحقّق إلّا بتوفّر خصائص الامام التي عـرّفت فـي النـظام التشريعي، ومفردة إمام أيضاً في حكم القالب فلا يمكن اسـتخدامـها إلّا بـتوفّر خصائص وخصال الامامة، وهذه هي الحدود التي لا يجوز تجاوزها في نـظام التشريع.

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا ﴾[1].

فهل يتكلّم علي عليه السلام من موقعه الذي يحدّده الكلاميّون أم أنّه يتحدّث من الموقع الذي نصبه الله عزّوجلّ له ؟

جاء عن الامام زين العابدين في توصيف الامامة والامام قوله:

«رَبِّ صَلِّ عَلَى أَطَايِبِ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لِأَمْرِكَ، وَجَعَلْتَهُمْ خَزَنَةَ عِلْمِكَ، وَحَفَظَةَ دِينِكَ، وَخُلَفَاءَكَ فِي أَرْضِكَ، وَحُجَجَكَ عَـلَى عِـبَادِكَ، وَطَـهَّرْتَهُمْ مِـنَ الرِّجْسِ وَالدَّنَسِ تَطْهِيراً بِإِرَادَتِكَ، وَجَعَلْتَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَـيْكَ، وَالْـمَسْلَكَ إِلَـى جَنَّتِكَ.

رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، صَلَاةً تُجْزِلُ لَهُمْ بِهَا مِنْ نِحَلِكَ وَكَرَامَتِكَ، وَتُكْمِلُ لَهُمُ الْأَشْيَاءَ مِنْ عَطَايَاكَ وَنَوَافِلِكَ، وَتُوَفِّرُ عَلَيْهِمُ الْحَظَّ مِنْ عَوَائِدِكَ وَفَوَائِدِكَ.

رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ صَلَاةً لَا أَمَدَ فِي أَوَّلِـهَا، وَلَا غَـايَةَ لِأَمَـدِهَا، وَلَا نِـهَايَةَ لِآخِرِهَا.

رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِمْ زِنَةَ عَرْشِكَ وَمَا دُونَهُ، وَمِلْءَ سَمَاوَاتِكَ وَمَـا فَـوْقَهُنَّ، وَعَـدَدَ

---

١. سورة البقرة (٢): ٢٢٩.

أَرَضِيكَ وَمَا تَحْتَهُنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ، صَلَاةً تُقَرِّبُهُمْ مِنْكَ زُلْفَى، وَتَكُونُ لَكَ وَلَهُمْ رِضًى، وَمُتَّصِلَةً بِنَظَائِرِهِنَّ أَبَداً.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عَلَماً لِعِبَادِكَ، وَمَنَاراً فِي بِلَادِكَ بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَجَعَلْتَهُ الذَّرِيعَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ، وَافْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ، وَحَذَّرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَأَمَرْتَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَالِانْتِهَاءِ عِنْدَ نَهْيِهِ، وَأَلَّا يَتَقَدَّمَهُ مُتَقَدِّمٌ، وَلَا يَتَأَخَّرَ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ فَهُوَ عِصْمَةُ اللَّائِذِينَ، وَكَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ وَعُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ، وَبَهَاءُ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ فَأَوْزِعْ لِوَلِيِّكَ شُكْرَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْهِ، وَأَوْزِعْنَا مِثْلَهُ فِيهِ، وَآتِهِ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسِيراً، وَأَعِنْهُ بِرُكْنِكَ الْأَعَزِّ، وَاشْدُدْ أَزْرَهُ، وَقَوِّ عَضُدَهُ، وَرَاعِهِ بِعَيْنِكَ، وَاحْمِهِ بِحِفْظِكَ وَانْصُرْهُ بِمَلَائِكَتِكَ، وَامْدُدْهُ بِجُنْدِكَ الْأَغْلَبِ.

وَأَقِمْ بِهِ كِتَابَكَ وَحُدُودَكَ وَشَرَائِعَكَ وَسُنَنَ رَسُولِكَ، صَلَوَاتُكَ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَحْيِ بِهِ مَا أَمَاتَهُ الظَّالِمُونَ مِنْ مَعَالِمِ دِينِكَ، وَاجْلُ بِهِ صَدَاءَ الْجَوْرِ عَنْ طَرِيقَتِكَ، وَأَبِنْ بِهِ الضَّرَّاءَ مِنْ سَبِيلِكَ، وَأَزِلْ بِهِ النَّاكِبِينَ عَنْ صِرَاطِكَ، وَامْحَقْ بِهِ بُغَاةَ قَصْدِكَ عِوَجاً.

وَأَلِنْ جَانِبَهُ لِأَوْلِيَائِكَ، وَابْسُطْ يَدَهُ عَلَى أَعْدَائِكَ، وَهَبْ لَنَا رَأْفَتَهُ، وَرَحْمَتَهُ وَتَعَطُّفَهُ وَتَحَنُّنَهُ، وَاجْعَلْنَا لَهُ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، وَفِي رِضَاهُ سَاعِينَ.

وَإِلَى نُصْرَتِهِ وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهُ مُكْنِفِينَ، وَإِلَيْكَ وَإِلَى رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذَلِكَ مُتَقَرِّبِينَ.

اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى أَوْلِيَائِهِمُ الْمُعْتَرِفِينَ بِمَقَامِهِمُ، الْمُتَّبِعِينَ مَنْهَجَهُمُ، الْمُقْتَفِينَ

آثَارَهُمُ، الْمُسْتَمْسِكِينَ بِعُرْوَتِهِمُ، الْمُتَمَسِّكِينَ بِوِلَايَتِهِمُ، الْمُؤْتَمِّينَ بِإِمَامَتِهِمُ، الْمُسَلِّمِينَ لِأَمْرِهِمُ، الْمُجْتَهِدِينَ فِي طَاعَتِهِمُ، الْمُنْتَظِرِينَ أَيَّامَهُمُ، الْمَادِّينَ إِلَيْهِمْ أَعْيُنَهُمُ، الصَّلَوَاتِ الْمُبَارَكَاتِ الزَّاكِيَاتِ النَّامِيَاتِ الْغَادِيَاتِ الرَّائِحَاتِ.

وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَرْوَاحِهِمْ، وَاجْمَعْ عَلَى التَّقْوَى أَمْرَهُمْ، وَأَصْلِحْ لَهُمْ شُئُونَهُمْ، وَتُبْ عَلَيْهِمْ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَخَيْرُ الْغَافِرِينَ، وَاجْعَلْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ السَّلَامِ بِرَحْمَتِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ[١].

ويقول الامام جعفر الصادق عليه السلام استمراراً في توصيف منزلة الامام وشأن الامامة:

«أَ مَا تَرَى اللهَ يَقُولُ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا يَقُولُ لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَنْصِبُوا إِمَاماً مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِكُمْ تُسَمُّونَهُ مُحِقّاً بِهَوَى أَنْفُسِكُمْ وَإِرَادَتِكُمْ.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: ثَلَاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مَنْ أَنْبَتَ شَجَرَةً لَمْ يُنْبِتْهُ اللهُ يَعْنِي مَنْ نَصَبَ إِمَاماً لَمْ يَنْصِبْهُ اللهُ أَوْ جَحَدَ مَنْ نَصَبَهُ اللهُ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ لِهَذَيْنِ سَهْماً فِي الْإِسْلامِ وَقَدْ قَالَ اللهُ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَة»[٢].

أو ما قال به ثامن الحجج عليه السلام:

«إِنَّ الْإِمَامَةَ لا تَكُونُ بِفِعْلٍ مِنْهُ فِي نَفْسِهِ وَلا بِفِعْلٍ مِنَ النَّاسِ فِيهِ مِنِ اخْتِيَارٍ أَوْ تَفْضِيلٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بِفِعْلٍ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ كَمَا قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً، وَكَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ لِدَاوُدَ عليه السلام: يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ

---

١. صحيفة السجاديّة، دعاء يوم عرفة.

٢. بحار الأنوار: ٦٥/ ٢٧٥؛ تحف العقول: ٣٢٨.

خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ، وَكَمَا قَالَ عَزَّوَجَلَّ لِلْمَلائِكَةِ فِي آدَمَ عليه السلام: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً فَالْإِمَامُ إِنَّمَا يَكُونُ إِمَاماً مِنْ قِبَلِ اللهِ بِاخْتِيَارِهِ إِيَّاه»[1].

أو:

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ... عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِاللهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، فَقَالَ: نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهم السلام، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ فَمَا لَهُ لَمْ يُسَمِّ عَلِيّاً وَأَهْلَ بَيْتِهِ عليهم السلام فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؟ قَالَ: فَقَالَ: قُولُوا لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله نَزَلَتْ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَلَمْ يُسَمِّ اللهُ لَهُمْ ثَلاثاً وَلا أَرْبَعاً حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِ الزَّكَاةُ وَلَمْ يُسَمِّ لَهُمْ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ دِرْهَماً دِرْهَمٌ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ وَنَزَلَ الْحَجُّ فَلَمْ يَقُلْ لَهُمْ طُوفُوا أُسْبُوعاً حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ وَنَزَلَتْ ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وَنَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فِي عَلِيٍّ: مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ، وَقَالَ صلى الله عليه وآله أُوصِيكُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَأَهْلِ بَيْتِي فَإِنِّي سَأَلْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا حَتَّى يُورِدَهُمَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَأَعْطَانِي ذَلِكَ وَقَالَ لا تُعَلِّمُوهُمْ فَهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ، وَقَالَ: إِنَّهُمْ لَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بَابِ هُدًى وَلَنْ يُدْخِلُوكُمْ فِي بَابِ ضَلالَةٍ، فَلَوْ سَكَتَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فَلَمْ يُبَيِّنْ مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ لادَّعَاهَا آلُ فُلانٍ وَآلُ فُلانٍ وَلَكِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ تَصْدِيقاً لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

---

١. الكافي: ١/ ١٩٨، العيون: ٢/ ١٩٥.

تَطْهِيراً ﴾[١] فَكَانَ عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَفَاطِمَةُ عليهم السلام فَأَدْخَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله تَحْتَ الْكِسَاءِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَهْلاً وَثَقَلاً وَهَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَثَقَلِي، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ فَقَالَ إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ وَلَكِنَّ هَؤُلاءِ أَهْلِي وَثِقْلِي، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله كَانَ عَلِيٌّ أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ لِكَثْرَةِ مَا بَلَّغَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَإِقَامَتِهِ لِلنَّاسِ وَأَخْذِهِ بِيَدِهِ فَلَمَّا مَضَى عَلِيٌّ لَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ عَلِيٌّ وَلَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَ أَنْ يُدْخِلَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ وَلا الْعَبَّاسَ بْنَ عَلِيٍّ وَلا وَاحِداً مِنْ وُلْدِهِ إِذاً لَقَالَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْزَلَ فِينَا كَمَا أَنْزَلَ فِيك»[٢].

أو:

لمّا زوّج النبيُّ صلى الله عليه وآله فاطِمَةَ مِنْ عليٍّ، قالَتْ فاطِمَةُ:

«يا رَسُول الله! زَوّجتني مِنْ رَجُلٍ فقيرٍ لَيْسَ لَهُ شيءٌ، فَقالَ النبي صلى الله عليه وآله: أما تَرضينَ؟

إنّ اللهَ اختارَ مِن الأرضِ رَجلَين: أحدُهُما أبوكِ والآخَرُ زوجُكِ»[٣].

أو:

«يا عَلي! أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي»[٤].

أو الاعلان الرسمي والصريح للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في خطبة الغدير في عودته

---

١. سورة الأحزاب (٣٣): ٣٣.
٢. الكافي: ١/٢٨٦.
٣. تاريخ الخطيب: ٤/١٩٥؛ المستدرك الحاكم: ٣/١٢٩؛ المجمع للميثمي: ٩/١١٢؛ الجمع للسيوطي: ٦/٣٩١؛ النزهة للصفوريّ: ٢/٢٢٦؛ الغدير: ٢/٣١٨.
٤. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٣/١٠٩ و٢١٠.

من حجّة الوداع:

«فَاعْلَمُوا مَعَاشِرَ النَّاسِ! ذلِكَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيّاً وَإِمَاماً، وَفَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، مَاضٍ حُكْمُهُ جَائِزٌ قَوْلُهُ مَلْعُونٌ مَنْ خَالَفَهُ مَرْحُومٌ مَنْ صَدَّقَهُ، اسمَعُوا وَأَطيعُوا، فإنّ اللهَ مَولاكُم وَعليٌّ إمامُكُمْ، ثُمّ الامامَةَ في وُلدي من صُلبِهِ إلى القيامَةِ...».

أو:

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُون ﴾[1].

أخرج الديلميّ (كما في تفسير هذه الآية من الصواعق) عن أبي سعيد الخدري أنَّ النبيّ ﷺ قال: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُون ﴾ عن ولاية عليّ.

وقال الواحديّ (كما في تفسيرها من الصواعق أيضاً) روي في قوله تعالىٰ: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُون ﴾ أي مِن ولايةِ عليّ واهل البيت (قال) لأنّ الله أمرَ نبيّه أن يُعرِّفَ الخلْقَ أنَّهُ لا يسألُهُمْ على التبليغِ الرسالةِ أجراً إلّا المودّة في القربىٰ (قال) والمعنى أنّهم يُسألونَ هَلْ والوهم حقّ الموالاةِ كما اوصاهُمُ النبيُّ أم أضاعوها وأهملوها فتكون عليهمُ المُطالبة والتبعة. انتهى كلام الواحديّ.

وحسبك أنّ ابن حجر عدّها في الباب ١١ من الصواعق في الآيات النازلة فيهم فكانت الآية الرابعة وقد أطال الكلام فيها فراجع.

وما أكثر الروايات من هذا القبيل في أهل البيت عليهم السلام واذن فانّه يستلزم إكمال

---

١. سورة الصافّات (٣٧): ٢٤.

الدين وإتمام النعمة وجود معلّمين يحملون الخصائص التي يتمتّع بها النبي ﷺ والخصال المتوفرة في شخصه ﷺ من أجل الاستمرار في عمليّة تزكية وتعليم الأمّة والارتقاء بأفراد لائقين من الأمّة إلىٰ مستوىٰ التعليم لهذه الأمّة نفسها وسائر الأمم الأخرىٰ وللأجيال القادمة.

وانطلاقاً من قوله تعالىٰ:

﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[1].

فان كلّ خصيصة وخطة يتمتّع بها النبي ﷺ يتوجب توفرهما في شخوص أولي الأمر لكي تجب طاعتهم ولكي تقترن طاعتهم بطاعة الله عزّوجلّ وطاعة الرسول الأكرم ﷺ وهذه الخصائص هي علم الكتاب، العصمة والولاية وهي الشروط التي يجب توفرها لكي تستمرّ عمليّة التزكية والتعليم للأمّة وتطبيق النظام التشريعي في واقع حياتها.

ومن أجل ذلك جاء البلاغ الالهي في قوله تعالى لرسوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللهَ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ ﴾[2].

فلابدّ ومن أجل اتمام ابلاغ الرسالة الالهيّة من وجود فرد يتمتّع بمواصفات النبي ﷺ (إلّا الوحي) في انتهاج طريق النبي ﷺ فينصّب علىٰ أنّه وزير وشريك للرسول ويكون خليفته من بعده وتكون له الولاية على المسلمين كما هي

---

١. سورة النساء (٤): ٥٩.
٢. سورة المائدة (٥): ٦٧.

للنبي ﷺ.

ومن أجل هذا جاء في خطبة الرسول ﷺ في يوم الغدير:

«مَنْ كُنْتُ مَولاهُ فَهذا عَلِيٌّ مَوْلاه».

ومن أجل ترسيخ هذا المفهوم في ضمير الأمّة كان النبي ﷺ وفي مناسبات عديدة يؤكّد هذه الحقيقة:

«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقْلَيْنِ كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي»[1].

وقوله:

«وَهُوَ (عَلِيٌّ) فيكُمْ بِمَنْزِلَتي فيكُم»[2].

وقوله:

«أَهْلُ بَيْتِي أَمَانٌ لأُمَّتِي عَنْ ضَلالَتِهِمْ فِي أَدْيَانِهِم».

وقوله:

«الأَئِمَّةُ بِمَنْزِلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلّا أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاء».

وإذن فانّ التمسّك بـ«الثقلين» يعني التمسّك بالقرآن الكريم وأهل البيت الكرام وهي طاعة للرسول الأكرم ﷺ الذي قال الله عزّوجلّ عنه:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[3].

وهو تمسّك يوجب تحقيق الأمان للأمّة من الضلال والضياع تمسّك لا يحدّه

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦/ ٣٧٥.

٢. الاحتجاج: ١/ ١٤٨؛ بحار الأنوار: ٣١/ ٤١٠؛ كمال الدين: ١/ ٢٧٧.

٣. سورة النجم (٥٣): ٣ ـ ٤.

زمان؛ فهو ليس مخصوص بزمان دون زمان.

فهل أنّ التمسّك بأهل البيت هو من أجل أعلميّتهم؟ أو أن هذا التمسّك هو لكونهم الخلفاء وأولياء الأمر؟ لقد خصّ أميرالمؤمنين عليه السلام بالامامة والولاية والوصاية في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قام الرسول صلى الله عليه وآله بابلاغ الأمّة بهذه المفاهيم ولكن أيّاً منها لم يكن ينطوي علىٰ قابليّة التحقّق في وجود النبي صلى الله عليه وآله الذي هو الولي والامام الحاضر والأسمىٰ أمّا مفهوم الخليفة فواضح جدّاً اذ انّه يتحقّق بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله مباشرة.

وعليه فان: «أشهد انّ عليّاً وليّ الله» حقيقة من أصول الدين انطلاقاً من قوله تعالىٰ في محكم الكتاب:

﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾.

ولكن بالقوّة وغير قابلة للاعلان لأنّها لا يمكن أن تتحقّق في حياة الرسول صلى الله عليه وآله ووجوده بين ظهراني أمّته.

ولهذا قال الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي»[1].

واذن لا يوجد أدنى شك وترديد في أن ولاية أهل البيت عليهم السلام أصل من أصول الدين.

غير أنّ الانتصارات التي أحرزها الامام علي عليه السلام في ميادين الصراع مع الوثنيّة وفي سوح القتال والجهاد، ومقتل زعماء الشرك بسيفه الذي لا يقهر افرزت حالة

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢.

رهيبة من الأحقاد والضغينة لدىٰ العرب في صدر الاسلام ظهرت إلى السطح بعد الاعلان النبويّ الشريف في ولاية الامام عليه السلام وخلافته.

ومن أجل هذا نتفهم هواجس النبي صلى الله عليه وآله من حدوث ردود فعل خطيرة بعد الاعلان، لذلك نجد في ذيل الآية الكريمة (آية البلاغ) قوله تعالىٰ: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

لقد عاش النبي صلى الله عليه وآله حياة مريرة وهو يؤدّي رسالته، وخاض حروباً ضارية في أجواء يسودها الاضطراب، جعلت النبي صلى الله عليه وآله يتردّد في توقيت الاعلان عن ولاية الامام علي وخلافته ووصايته، وإنّنا لنلاحظ انّ الآية الكريمة كانت شديدة اللهجة إلىٰ حد ما خاصّة قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

غير أنّ الضمان الالهي في أنّ الله يعصمه من الناس دفعت بالنبي صلى الله عليه وآله إلىٰ التوقّف في وادي الغدير واعلانه ولاية علي وامامته وخلافته.

«اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَأْمُرُكَ أَنْ تَدُلَّ أُمَّتَكَ مِنْ وَلِيِّهِمْ عَلَى مِثْلِ مَا دَلَلْتَهُمْ عَلَيْهِ فِي صَلاتِهِمْ وَزَكَاتِهِمْ وَصِيَامِهِمْ وَحَجِّهِمْ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله رَبِّ أُمَّتِي حَدِيثُو عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ تَفْسِيرُهَا أُتَخْشَى النَّاسَ فَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَرَفَعَهَا فَقَالَ مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاه»[1].

أو:

---

١. تفسير العيّاشي: ١/ ٣٣٣.

«قَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى... انْزِلْ إِلَى عِبَادِي فَأَخْبِرْهُمْ بِكَرَامَتِي إِيَّاكَ وَأَنِّي لَمْ أَبْعَثْ نَبِيّاً إِلّا جَعَلْتُ لَهُ وَزِيراً وَأَنَّكَ رَسُولِي وَأَنَّ عَلِيّاً وَزِيرُكَ فَهَبَطَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَكَرِهَ أَنْ يُحَدِّثَ النَّاسَ بِشَيْءٍ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتَّهِمُوهُ لأَنَّهُمْ كَانُوا حَدِيثِي الْعَهْدِ بِالْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى مَضَى لِذَلِكَ سِتَّةُ أَيَّامٍ فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾.

فَاحْتَمَلَ رَسُولُ اللهِ ذَلِكَ حَتَّى كَانَ يَوْمُ الثَّامِنِ فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَهْدِيدٌ بَعْدَ وَعِيدٍ لأُمِضِيَنَّ أَمْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنْ يَتَّهِمُونِي وَيُكَذِّبُونِي فَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يُعَاقِبَنِي الْعُقُوبَةَ الْمُوجِعَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَقَالَ وَسَلَّمَ جَبْرَئِيلُ عَلَى عَلِيٍّ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: يَا رَسُولَ اللهِ أَسْمَعُ الْكَلامَ وَلا أَحُسُّ الرُّؤْيَةَ فَقَالَ يَا عَلِيُّ هَذَا جَبْرَئِيلُ أَتَانِي مِنْ قِبَلِ رَبِّي بِتَصْدِيقِ مَا وَعَدَنِي»[1].

ونجد في مصادر أهل السنّة هذا المضمون من قبيل ما ورد عن:

الحافظ الحاكم الحسكانيّ، أبوالقاسم [المترجم ١١٢] روى في «شواهد التنزيل لقواعد التفضيل والتأويل» بإسناده عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس وجابر الأنصاري قالا:

أَمَرَ اللهُ مُحَمَّداً ﷺ أَنْ يَنْصِبَ عَلِيّاً لِلنَّاسِ لِيُخْبِرَهُمْ بِوَلايَتِهِ فَتَخَوَّفَ النَّبِيُّ أَنْ

---

١. الأمالي للصدوق: ٣٥٥؛ بحار الأنوار: ٣٧/ ١٠٩.

يَقُولُوا حابى (نَصَرَ) ابْنِ عَمِّهِ وَأَنْ يَطْغَوْا فِي ذَلِكَ عَلَيْهِ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَلايَتِهِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ[1].

أو:

السيّد عبدالوهّاب البُخاري المولود ٨٦٩ والمتوفّى ٩٣٢ في تفسيره عند قوله تعالىٰ:

﴿ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[2].

قال عن البرّاء بن عازب رضي الله عنه، قال في قوله تعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾؛ أي بلّغ من فضائل عليّ.

نزلت في غدير خم فخطب رسول الله ﷺ، ثمّ قال:

«مَنْ كُنْتُ مَولاهُ فَهذا عَلِيٌّ مَولاهُ».

فَقَالَ عُمَرُ: بَخٍّ بَخٍّ يا عَلي! أَصْبَحْتَ مَوْلايَ وَمَوْلا كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ؛ رواه أبو نعيم وذكره أيضاً الثعالبي في كتابه[3].

وهذه ثلاث روايات هي أمثلة تشهد علىٰ هذه الحقيقة وهي ابلاغ خلافة علي واعلان امامته وولايته التشريعيّة حدث في ظروف صعبة وكان النبي ﷺ يتوجس خيفة من ردود الفعل.

وقد سجّل التاريخ نصوص التهاني والتبريك بهذه المناسبة من كبار الصحابة

---

١. الغدير: ١/٢١٨؛ مجمع البيان: ٢/٢٢٣.

٢. سورة الأنعام (٦): ٩٠.

٣. الغدير: ١/٢٢١.

منها ما ورد علىٰ هذا النحو:

بَخٍّ بَخٍّ يا عَلي! أَصْبَحْتَ مَوْلايَ وَمَوْلىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ.

ولكن صاحب هذه التهنئة وكانت أولى عبارات التهاني في يوم الغدير وقف موقفاً معاكساً تماماً في الساعات الأخيرة من حياة النبي ﷺ وذلك عند ما طلب ﷺ قلماً وقرطاساً ليملي علىٰ أصحابه كتاباً لن يضلّوا بعده، وعند ما أراد أحدهم أن يحضر ما أراد النبي ﷺ منعه وقال:

قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ وَحَسْبُنَا كِتَابُ الله[1].

أو:

إنَّ الرجُلَ لَيَهْجُر وَحَسْبُنا كِتابُ الله[2].

أو هذه الرواية:

وفي الصحيحين أيضاً خرجا معاً عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ لَمَّا احْتُضِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ الخطّابِ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ هَلُمَّ أَكْتُبْ كِتَاباً لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَع وَعِنْدَكُمُ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ فَاخْتَلَفَ القَومْ وَاخْتَصَمُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَرِّبُوا إِلَيْهِ يَكْتُبْ لَكُمْ كِتاباً لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: الْقَوْلُ مَا قَالَ عُمَرُ؛ فَلَمَّا كَثُرَ اللَّغْوَ وَالاخْتِلافُ عِنْدَهُ قَالَ لَهُمْ: قُومُوا. فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ٥٥.

٢. بحار الأنوار: ٣٠/ ٤٦٦.

الْكِتَاب[١].

ويبدو انّ بعض الرواة من أهل السنّة قد صعب عليهم نقل العبارة كما هي لما تشتمل عليه من اهانة فقاموا بتغييرها والتخفيف من حدّتها لتصبح: «قد غلب عليه الوجع»؛ وذلك انّنا نرى ابن أبي الحديد يشير إلىٰ هذه الحادثة في مناسبة أخرىٰ قائلاً:

... فمنها الكلمة التي قالها في مرض رسول الله ﷺ؛ ومعاذ الله أن يقصد بها ظاهرها! ولكنّه أرسلها على مقتضى خشونة غريزته، ولم يتحفّظ منها وكان الأحسنُ أن يقول: «مغمور» أو «مغلوب بالمرض»، وحاشاه أن يعني بها غير ذلك[٢].

أو:

فقال عمر كلمة معناها أنّ الوجع قد غلب على رسول الله ﷺ، ثمّ قال: عندنا القرآن حسبنا كتاب الله؛ فاختلف مَن في البيت واختصموا...

قلت: هذا الحديث قد أخرجه الشيخان، محمّد بن إسماعيل البخاريّ، ومسلم بن حجّاج القشيريّ في صحيحهما[٣]، واتّفق المحدّثون كافّة على روايته[٤].

ومن الممكن القول ومن أين نعلم أن يكون معنى الآية الكريمة:

﴿ يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ... ﴾

إنّما نزلت في عليّ أو ابلاغ ولاية علي التشريعيّة.

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ٥٥؛ صحيح مسلم: ٣/ ١٢٥٧.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ١٨٣.

٣. صحيح مسلم: ١٢٥٩.

٤. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦/ ٥١.

انّ كتب الحديث الشيعيّة مليئة بهذا المعنى وكلّها تفيد في ان آية البلاغ كانت تتضمّن الاعلان عن خلافة علي بن أبي طالب والروايات الواردة عن الأئمّة الأطهار من آل الرسول ﷺ متواترة.

إلىٰ جانب هذا ألكم الهائل من الروايات في كتب الشيعيّة ثمّة روايات توردها كتب الحديث عن أهل السنّة في هذا المضمار من قبيل التي ذكرت آنفاً.

أو:

«وَحَسبُكَ مِمّا جاءَ في ذلكَ مِنْ طَريقِ غَيْرِهِمْ (الشيعة) ما أخْرَجَهُ الامامُ الواحديّ في تفسير الآية من سُورة المائدة ص١٥٠ من كتاب «أسباب النزول» مِنْ طريقَيْنِ مُعْتَبرَينِ عَن عطيّة، عن أبي سعيد الخدريّ، قال: نزلت هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ يَوم غَدير خُمّ في عليّ بن أبي طالب؛ قُلت: وَهُوَ الذي أخرجَهُ الحافظ أبو نعيم في تفسيرها مِنْ كتابِهِ[1].

أو:

الخطبة التي ألقاها الرسول الأكرم ﷺ في غدير خم لدىٰ عودته من حجّة الوداع، الخطبة التي يتّفق عليها أهل السنّة والشيعة وفيما يلي نص الخطبة كما وردت في مصادر أهل السنّة.

الحافظ أبو جعفر، محمّد بن جرير الطبري، المتوفّى ٣١٠ أخرج باسناده في كتاب: «الولاية في طرق حديث الغدير» عن زيد بن أرقم قال:

---

١. نزول القرآن: ٢٢؛ المراجعات: ١٦٩.

لما نزل النبيﷺ بغدير خم في رجوعه من حجّة الوداع وكان في وقت الضحىٰ وحر شديد أمر بالدوحات فقممن ونادى الصلاة جامعة فاجتمعنا فخطب خطبة بالغة، ثم قال:

«إن الله تعالى أنزل إلي:

﴿ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ ﴾ وقد أمرني جبرائيل عن ربي أن أقوم في هذا المشهد وأعلم كل أبيض وأسود أن علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي والإمام بعدي. فسألت جبرائيل أن يستعفي لي ربي لعلمي بقلة المتقين وكثرة المؤذين لي واللائمين لكثرة ملازمتي لعلي، وشدة إقبالي عليه حتى سموني أُذنا فقال تعالى:

﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ﴾.

ولو شئت أن أسميهم وأدل عليهم لفعلت ولكني بسترهم قد تكرمت، فلم يرض الله إلا بتبليغي فيه.

فَاعْلَمُوا مَعَاشِرَ النَّاسِ! ذلِكَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيّاً وَإِمَاماً، وَفَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، مَاضٍ حُكْمُهُ جَائِزٌ قَوْلُهُ مَلْعُونٌ مَنْ خَالَفَهُ مَرْحُومٌ مَنْ صَدَّقَهُ

اسمعوا وأطيعوا فإن الله مولاكم وعلي إمامكم؛ ثم الإمامة في ولدي من صلبه إلى يوم القيامة؛ لا حلال إلا ما حلله الله ورَسوله، ولا حرام إلا ما حرم الله ورسوله وهم؛ فما من علم إلا وقد أحصاه الله تعالى فيّ ونقلته إليه، لا تضلوا عنه ولا تستنكفوا منه، فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به؛ لن يتوب الله على أحد أنكره، ولن يغفر له، حتماً على الله أن يفعل ذلك وأن يعذبه عذابا

نكرا أبد الآبدين؛ فهو أفضل الناس بعدي ما نزل الرزق وبقي الخلق؛ ملعون من خالفه، قولي عن جبرائيل عن الله ﴿ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾.

افهموا محكم القرآن ولا تتبعوا متشابهه، ولن يفسر لكم ذلك إلا من أنا آخذ بيده وشائل بعضده؛ ومعلمكم: مَن كُنتُ مولاهُ عليٌّ مَولاهُ، ومُوالاتُهُ مُوالاةُ اللهِ أنزلها عليّ.

ألا وقد أديت؛ ألا وقد بلغت؛ ألا وقد أسمعت؛ ألا وقد أوضحت، لا تحل إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره».

ثم رفعه إلى السماء حتى صارت رجله مع ركبة النبيّ ﷺ وقال:

«معاشر الناس! هذا أخي ووصيي وواعي علمي وخليفتي على من آمن بي، وعلى تفسير كتاب ربي».

وفي رواية: «اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، والعن من أنكره وأغضب على من جحد حقّه.

اللهم إنك أنزلت عند تبيين ذلك في عليّ «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» بإمامته فمن لم يأتم به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى القيامة فـأُولٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمٰالُهُمْ وَفِي النّٰارِ هُمْ خٰالِدُونَ.

إن إبليس أخرج آدم من الجنة مع كونه صفوة الله بالحسد، فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم وتزل أقدامكم في عليّ نزلت سورة «وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَفِي خُسْرٍ».

معاشر الناس آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل معه من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت النور من الله

في ثم في علي ثم في النسل منه إلى القائم المهدي.

معاشر الناس سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وإن الله وأنا بريئان منهم إنهم وأنصارهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار وسيجعلونها ملكا واغتصابا فعندها يفرغ لكم أيها الثقلان ويرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران».

أو:

أخرج الطبرانيّ وغيره بسند مجمع على صحّته عن زيد بن أرقم قال:

خطب رسول الله ﷺ بغدير خم تحت شجرات فقال:

«أيُّها الناس! يُوشَكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ وَإِنِّي مَسْؤُولٌ وَإِنْتُمْ مَسْؤُولُونَ؛ فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟

قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَنَصَحْتَ وَجَاهَدْتَ فَجَزَاكَ اللهُ خَيْراً.

قَالَ: اللَّهُمَّ تَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ جَنَّتَهُ حَقٌّ، وَأَنَّ نارَهُ حَقٌّ، وَأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ وَأَنَّ السَاعَةَ آتيةٌ لا رَيْبَ فيها، وأنَّ اللهَ يَبعَثُ مَن فِي القُبور؟

قَالُوا: بَلى، نَشهَدُ بِذلِكَ.

قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ.

ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ مَوْلايَ وَأَنَا مَولى الْمُؤْمِنِينَ، وأنا أَولى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهذا مَوْلاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ.

ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي فَرَطُكُمْ وَأَنْتُمْ وَارِدُونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ... وَإِنِّي سَائِلُكُمْ

حِينَ تَرِدُونَ عَلَيَّ عَنِ الثَّقَلَيْنِ كَيْفَ تُخَلِّفُوني فِيهِمَا.

الثَّقَلُ الأَكْبَرُ: كِتَابُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفٌ فِي أَيْدِيكُمْ، فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، لا تَضِلُّوا وَلا تُبَدِّلُوا.

الثَّقَلُ الأَصغَر عِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي فَإِنَّهُ قَدْ نَبَّأَنِي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أَنَّهُما لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدا عَلَيَّ الحَوض»[1].

أو:

أبو عبدالله فخر الدين الرازي الشافعيّ المتوفّى ٦٠٦ هـ قال في تفسيره الكبير:

نزلت الآية في فضل عليّ ولمّا نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال:

من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه.

فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يابن أبي طالب! أصبحت مولاي ومولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة.

وهو قول ابن عبّاس والبرّاء بن عازب، ومحمّد بن علي[2].

أو:

القاضي الشوكاني المتوفّى ١٢٥٠ هـ في تفسيره «فتح القدير» ج٣، ص٥٧ قال: أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدريّ

---

١. الصواعق لابن حجر: ٢٦؛ السيرة الحلبيّة للحلبي: ٣٠١/٣؛ نوادر الأُصول للترمذي؛ مجمع الزوائد للحافظ ميثمي: ١٦٥/٩؛ نزل الأبرار: ١٨؛ أخبار الدول: ١٠٢؛ تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١١٤؛ تاريخ آل محمّد للقاضي: ٦٨.

٢. تفسير الكبير للفخر الرازي: ٦٣٦/٣؛ الغدير: ٢١٩/١.

قال: نزلت هذه الآية:

«يا أيُّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك» على رسول الله يوم غدير خمّ في عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال:

كنّا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله:

يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك ـ إنّ عليّاً مولى المؤمنين ـ وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس[1].

أو:

الشيخ محمّد عبده المصري المتوفى ١٣٢٣ هـ قال في تفسير المنار: روى ابن أبي حاتم وابن مردوية وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري:

أنّها نزلت يوم غدير خم في عليّ بن أبي طالب[2].

وتجنّباً للاطالة والاطناب نكتفي بهذا القدر من الروايات الواردة في مصادر أهل السنّة والتي كان قد تصدّى لجمعها المرحوم العلّامة الأميني في موسوعته الكبرىٰ الموسومة بـ«الغدير في الكتاب والسنّة والأدب» فمن يريد التفصيل في هذا المضمار يمكنه مراجعة المجلّد الأوّل ص: ٢١٤ باب «الغدير في الكتاب العزيز» ليجد كمّاً كبيراً من الروايات الواردة في مصادر أهل السنّة وفي موضوع «النصب» و«النص» وجميع المجلّدات البالغة أحد عشر مجلّداً ترتكز حول

---

١. فتح القدير: ٣/٥٧؛ الغدير: ١/٢٢٢.

٢. تفسير المنار: ٦/٤٦٣.

موضوع الامامة والخلافة والوصيّة في عليّ وذريّته من السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

ان تأمّلاً في خطبة الغدير المتواترة في المصادر الروائيّة لدى الفريقين يتّضح لدينا تماماً ان ولاية علي عليه السلام التي تؤكّد عليها عبارة «وهم أساس الدين»[1] هي من أُصول الين.

ذلك انّ النبي صلى الله عليه وآله لمّا قام خطيباً في وادي الغدير شهد علىٰ ما يلي:

١ ـ «لا إله إلّا الله»: ..... التوحيد

٢ ـ «محمّد رسول الله»: ..... النبوّة

٣ ـ «أنّ البعث حقّ بعد الموت» ..... المعاد

ثمّ أعلن الولاية:

٤ ـ «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» ..... الولاية

وورد عن النبي صلى الله عليه وآله في أمر الولاية والامامة قوله:

«... مَن كُنتُ مولاهُ عليٌّ مَولاهُ، ومُوالاتُهُ مُوالاةُ اللهِ أنزلها عليّ...»[2].

وجاء عن الامام زين العابدين عليه السلام قوله:

«رَبِّ صَلِّ عَلَى أَطَايِبِ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لأَمْرِكَ، وَجَعَلْتَهُمْ خَزَنَةَ عِلْمِكَ، وَحَفَظَةَ دِينِكَ... وَجَعَلْتَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ، وَالْمَسْلَكَ إِلَى جَنَّتِكَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عَلَماً لِعِبَادِكَ، وَمَنَاراً فِي بِلادِكَ...»[3].

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢.
٢. خطبة الغدير.
٣. صحيفة السجاديّة، دعاء يوم عرفة.

وعن الامام الصادق عليه السلام قال:

«... لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَنْصِبُوا إِمَاماً مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِكُمْ تُسَمُّونَهُ مُحِقّاً بِهَوَى أَنْفُسِكُمْ وَإِرَادَتِكُم»[1].

وقال الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

«إِنَّ الْإِمَامَةَ لا تَكُونُ بِفِعْلٍ مِنْهُ فِي نَفْسِهِ وَلا بِفِعْلٍ مِنَ النَّاسِ فِيهِ مِنِ اخْتِيَارٍ أو...»[2].

فهل أنّ هذه التصريحات الصادرة عن الأئمّة من آل النبي صلى الله عليه وآله من ايحاءات الشيعة المفوضة لهؤلاء الكرام؟

وهذا مولانا أميرالمؤمنين علي عليه السلام يقسم قائلاً:

«فَوَاللهِ إِنّي أولى الناسِ بالناس»[3].

ويقول نجله الامام الحسن سبط الرسول صلى الله عليه وآله وريحانته:

«وَاللهِ مَا سَلَّمْتُ الْأَمْرَ إِلَيْهِ إِلّا أَنّي لَمْ أَجِدْ أَنْصَاراً وَلَوْ وَجَدْتُ أَنْصَاراً لَقَاتَلْتُهُ لَيْلِي وَنَهَارِي حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَه... أنا أولى الناسِ بالناسِ في كتابِ اللهِ علىٰ لِسانِ نبيّ الله صلى الله عليه وآله»[4].

ان كلّ هذا يشير ويؤكّد على حصر الولاية في الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام وأن هذه الولاية خرجت من دائرة القوّة إلى الفعل بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله إلى الملأ الأعلىٰ.

---

١. بحار الأنوار: ٦٥/ ٢٧٥؛ تحف العقول: ٣٢٨.

٢. الكافي: ١/ ١٩٨، العيون: ٢/ ١٩٥. ٣. نهج البلاغة، الخطبة ١١٨.

٤. الاحتجاج: ٢/ ١٩١؛ بحار الأنوار: ٣٤/ ١٦٧.

مسار الخلافة بعد الرسول ﷺ

عشيّة رحيل الرسول ﷺ حصل الانحراف الخطير في مسار الخلافة بعد النبي ﷺ وقد أدّت احداث السقيفة إلىٰ اقصاء الامام علي عليه السلام عن حقّه الأكيد في قيادة الأمّة ليكون جليس البيت مدّة ربع قرن من الزمن.

ان موضوع الامامة والولاية والخلافة في علي عليه السلام قد خرج من دائرة القوّة إلى دائرة الفعل بمجرّد رحيل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلىٰ ولا تحتاج إلىٰ اعلان جديد، نفسه الاعلان السابق عن النبي ﷺ يؤكّد فاعليّة النص بعد غيابه.

«إنّ من كنت مولاه فهذا علي مولاه، ومُوالاه مُوالات الله عزّوجلّ أنزلها عليّ»[1].

وثمّة روايات تؤكّد علىٰ مسألة الخلافة.

الخلافة وانحراف مسيرها من بيت النبي ﷺ إلى الخارج على ما اعترف به رجال من أهل السنّة

عَلِيٌّ وَبَعْضُ بَنِي هَاشِمٍ مُشْتَغِلُونَ بِإِعْدَادِ جَهَازِهِ وَغُسْلِهِ فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِعَلِيٍّ عليه السلام وَهُمَا فِي الدَّارِ امْدُدْ يَدَكَ أُبَايِعْكَ، فَيَقُولَ النَّاسُ: عَمُّ رَسُولِ اللهِ بَايَعَ ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ فَلا يَخْتَلِفَ عَلَيْكَ اثْنَانِ.

فَقَالَ لَهُ عليٌّ: أَوَ يَطْمَعُ يَا عَمِّ فِيهَا طَامِعُ غَيْرِي؟!

قَالَ: سَتَعْلَمُ؛ فَلَمْ يَلْبَثَا أَنْ جَاءَتْهُمَا الْأَخْبَارُ بِأَنَّ الْأَنْصَارَ أَقْعَدَتْ سَعْداً لِتُبَايِعَهُ

---

١. خطبة الغدير.

وَأَنَّ عُمَرَ جَاءَ بِأَبِي بَكْرٍ فَبَايَعَهُ وَسَبَقَ الْأَنْصَارُ بِالْبَيْعَةِ؛ فَنَدِمَ عَلِيٌّ عليه السلام مِنْ تَفْرِيطِهِ فِي أَمْرِ الْبَيْعَةِ وَتَقَاعُدِهِ عَنْهَا[1].

الخلافة وانحراف مسيرها من بيت النبي صلى الله عليه وآله إلى الخارج على لسان علي عليه السلام

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ وَمُهَيْمِناً عَلَى الْمُرْسَلِينَ فَلَمَّا مَضَى عليه السلام تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ فَوَاللهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي وَلا يَخْطُرُ بِبَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صلى الله عليه وآله عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِه»[2].

أو:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ (استعينك لتنقم لي) عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَئُوا إِنَائِي (ضيّعوا حقّي) وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي وَقَالُوا أَلا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ فَاصْبِرْ مَغْمُوماً أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ (معين) وَلا ذَابٌّ وَلا مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى (ما يقع العين) وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا (ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه) وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ (الطعن) الشِّفَارِ (جمع شفرة: حدّ السيف ونحوه ووخز الشفار: طعنها

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ١٦٠.

٢. نهج البلاغة، الكتاب ٦٢.

الخفيف)»[١].

وأثر ما حصل من انقلاب على الشرعيّة وهذا ما تؤكّده مصادر أهل السنّة فقد تعذّر العمل بهذه الفريضة والقول: «أشهد أنَّ عليّاً وليّ الله».

فقد أصبح هذا الموضوع خطيراً ومعارضاً للنهج السياسي الحاكم على الأمّة وأصبح الخليفة هو من يجلس على سدّة الحكم، ومن هنا أصبح التصريح والشهادة بالولاية (السيادة التشريعيّة) والامامة (القيادة التشريعيّة) لعلي جزءً من الممنوع الذي يحاسب عليه الحاكمون.

وبغية الالتفاف على حادثة الغدير بدأت أجهزة التزوير انتاج أحاديث وتصريحات ونسبتها للامام علي عليه السلام في الثناء على الحكومات التي جاءت بعد الانقلاب على الشرعيّة؛ وإلىٰ جانب ذلك بدأت نفس هذه الأجهزة في انتاج أحاديث تهدف إلى الحط من شأنه وانتقاص من منزلته وقد الزم الخطباء والوعّاظ بهذه السياسة حتّى أصبحت جزءً من ثقافة الأمّة في معظم مناطق العالم الاسلامي يومذاك، ولقد اعترف أهل السنّة بهذه الحقيقة المرّة:

وَمَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ أَقَرَّ لَهُ أَعْدَاؤُهُ وَخُصُومُهُ بِالْفَضْلِ، وَلَمْ يُمْكِنْهُمْ جَهْلُ مَنَاقِبِهِ، وَلا كِتْمَانُ فَضَائِلِهِ، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَوْلَى بَنُو أُمَيَّةَ عَلَى سُلْطَانِ الْإِسْلَامِ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا، وَاجْتَهَدُوا بِكُلِّ حِيلَةٍ فِي إِطْفَاءِ نُورِهِ وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهِ وَوَضْعِ الْمَعَايِبِ وَالْمَثَالِبِ (العيوب) لَهُ، وَلَعَنُوهُ عَلَى جَمِيعِ الْمَنَابِرِ، وَتَوَعَّدُوا مَادِحِيهِ بَلْ حَبَسُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ وَمَنَعُوا مِنْ رِوَايَةِ حَدِيثٍ يَتَضَمَّنُ لَهُ فَضِيلَةً، أَوْ يَرْفَعُ لَهُ ذِكْراً، حَتَّى حَظَرُوا أَنْ يُسَمَّى أَحَدٌ بِاسْمِهِ فَمَا زَادَهُ ذَلِكَ إِلَّا

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢١٧.

رَفْعَةٌ وَسُمُوّاً وَكَانَ كَالْمِسْكِ كُلَّمَا سُتِرَ انْتَشَرَ عَرْفُهُ، وَكُلَّمَا كُتِمَ تَضَوَّعَ نَشْرُهُ، وَكَالشَّمْسِ لا تُسْتَرُ بِالرَّاحِ، وَكَضَوْءِ النَّهَارِ إِنْ حُجِبَتْ عَنْهُ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ أَدْرَكَتْهُ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ[1].

والسؤال الذي يطرح هنا: لو أنّ البلدان المجاورة للحجاز في تلك الفترة اعتنقت الدين الاسلامي الحنيف وكانت شاهدة علىٰ ما جرىٰ في حجّة الوداع وغدير خم ولم تكن محكومة من الناحية السياسيّة بما جرىٰ في الحجاز فأيّ الأمرين يجب على المسلمين في تلك البلدان:

١ ـ كتمان ولاية علي عليه السلام التي أعلنت علىٰ عامّة الناس في غدير خم؟

٢ ـ أم اظهارها من خلال هذه العبارة «أشهد أنّ عليّاً وليّ الله»؟

والآن ونحن تفصلنا مدّة من الزمن عن حادثة غدير خم وما تزال كلمات الرسول صلى الله عليه وآله تتردّد في سماء التاريخ الاسلامي بالشهادة علىٰ ما حصل من انحراف في مسار الخلافة بعد رحيله صلى الله عليه وآله حيث اخرجت من آله وأسرته إلىٰ آخرين ولسنا نعيش أجواء الاختناق السياسي الذي حصل بعد رحيله صلى الله عليه وآله فهل ثمّة شك في وجوب أداء فريضة الشهادة بالولاية لعليّ عليه السلام؟!

وبسبب قبض اليد لأهل البيت الكرام فقد تعذّرت امكانيّة صدور حكم الوجوب فيما يخصّ الشهادة بالولاية لعلي: «أشهد أنّ عليّاً وليّ الله».

واذن فان أمر النبي صلى الله عليه وآله بالتمسّك بأهل بيته عليهم السلام ليس بسبب أعلميّتهم في قضايا الدين بل انطلاقاً من نصبهم للولاية والامامة من لدن الله عزّوجلّ والطلب من

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ١٦.

النبي ﷺ باعلان ذلك على الأمّة في آية البلاغ في غدير خم.

أجل انّ الأعلميّة من شروط تحقّق الامامة في شخص الامام.

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وَأَعْمَلُهُمْ بِأَمْرِ اللهِ فِيهِ»[1].

فالامامة تعني توفّر الشروط والخصائص التي تؤهل المرء لتطبيق النظام التشريعي للاسلام والذي يشتمل القرآن الكريم على كلّ تفاصيله واذن فانّ الشرط الأساسي في القدرة على تطبيق النظام التشريعي يكمن في الاطّلاع الكامل على ما يشتمل عليه القرآن الذي فيه تفصيل كلّ شيء.

قال الامام عليّ عليه السلام:

«مَا مِنْ شَيْءٍ تَطْلُبُونَهُ إِلّا وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ فَمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ فَلْيَسْأَلْنِي عَنْهُ»[2].

ولذا جاء في شأن أهل البيت عليهم السلام في حديث للامام علي عليه السلام قوله:

«إِنَّمَا الأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلا يَدْخُلُ النَّارَ إِلّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ»[3].

والآن لنتأمّل في مفردتي: «الخلق» و «العباد».

فالخلق تعني جميع المخلوقات والكائنات من جماد ونبات وحيوان وسواء تتمتّع بالادراك والعقل أم لا، أرضيّة أو سماويّة! أمّا «العباد» فتعني المخلوقات التي تتمتّع بالعقل والادراك فهل تمعنّا في علاقة المصير الانساني يوم القيامة من سعادة أو شقاء الجنّة والجحيم بمعرفة الامام وانعدام هذه المعرفة؟

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٧٣.
٢. الكافي: ٢/ ٦١٤.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٢.

فهل أن هذه العلاقة ترتبط بأعلميّة الامام عليه السلام أم بولايته على الجميع؟ وهل استند الامام علي عليه السلام في حقّه إلى أعلميّته فقط أم تحدث عن إمامته؟

ثمّة شواهد عديدة وكثيرة تؤكّد انّ الامام عليه السلام عرّف نسه للأمّة يقول عليه السلام:

«إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّه»[1].

وقوله عليه السلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ أُمَمَهُمْ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْثِقُوا، بِاللهِ أَنْتُمْ أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيل»[2].

وكذلك قوله لعاصم في مدينة البصرة بعد حرب الجمل:

«قَالَ يَا أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ! هَذَا أَنْتَ فِي خُشُونَةِ مَلْبَسِكَ وَجُشُوبَةِ مَأْكَلِكَ! قَالَ: وَيْحَكَ إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْحَقِّ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ»[3].

وكذلك:

«قَالَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِنَّ اللهَ جَعَلَنِي إِمَاماً لِخَلْقِهِ فَفَرَضَ عَلَيَّ التَّقْدِيرَ فِي نَفْسِي وَمَطْعَمِي وَمَشْرَبِي وَمَلْبَسِي كَضُعَفَاءِ النَّاسِ كَيْ يَقْتَدِيَ الْفَقِيرُ بِفَقْرِي وَلا يُطْغِيَ الْغَنِيَّ غِنَاهُ»[4].

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٥.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٩.
٤. الكافي: ١/ ٤١٠؛ بحار الأنوار: ٤٠/ ٣٣٦.

وقوله عليه السلام:

«لا يُقاس بآل محمّد في هذه الأُمّة أحدٌ... ولهُم خصائصُ حقّ الولاية، وفيهمُ الوصيّة والوراثة»[١].

وقوله عليه السلام:

«أمّا بعدُ، فقد جعلَ اللهُ سبحانهُ لي عليكم حقّاً بولاية أمركم»[٢].

وكذلك قوله عليه السلام:

«أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ.

أَلا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ (الثوب البالي) وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ. أَلا! وَإِنَّكُمْ لا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ... وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ كَالضَّوْءِ مِنَ الضَّوْءِ وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ»[٣].

ويوضح الامام علي عليه السلام أنّ حديث الأئمّة من قريش انّهم في بني هاشم.

إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ، لا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلا تَصْلُحُ الْوُلاةُ مِنْ غَيْرِهِم»[٤].

ولذلك ستخفق كلّ القيادات من غيرهم في تحقيق النظام الاسلامي المنشود:

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ٢١٦.
٣. نهج البلاغة، كتاب ٤٥.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٤.

«ولا تصلح الولاة من غيرهم».

ترىٰ من هو الذي يحدّد هذه المفاهيم:

١ ـ المتكلّمون؟

٢ ـ أم أهل البيت الكرام أنفسهم؟

٣ ـ أم هو برنامج ضمن نظام متكامل بين أركانه النبيّ الأكرم ﷺ في بيانه شأن ومنزلة وصيّه علي بن أبي طالب عليه السلام وهذه خطبة الغدير التي توردها كتب الحديث من الفريقين تشهد بهذه الحقيقة في قوله ﷺ:

«مَعَاشِرَ النَّاسِ! ذلِكَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيّاً وَإِماماً، وَفَرَضَ طَاعَتُهُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، مَاضٍ حُكْمُهُ جَائِزٌ قَوْلُهُ مَلْعُونٌ مَنْ خَالَفَهُ مَرْحُومٌ مَنْ صَدَّقَهُ، اسمَعُوا وَأَطيعُوا، فإنّ اللهَ مَولاكُم وَعليٌّ إمامُكُمْ، ثُمّ الامامَةَ في وُلدي من صُلبِهِ إلى القيامَةِ...»[1].

حيث تشتمل علىٰ عبارتين:

١ ـ فانّ الله قد نصبه لكم وليّاً وإماماً، وفرض طاعته على كلّ أحد.

٢ ـ إنّ من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، وموالاته موالاة الله أنزلها عليَّ[2].

٣ ـ انّ الله جعلني إماماً لخلقه[3].

ألا تدلّ هذه العبارات على انّ الله عزّوجلّ هو من نصب عليّاً إماماً ووليّاً.

ان هذا النص هو الذي يمثّل الحدّ الفاصل بين التسنّن والتشيّع، وفي غياب هذا

---

١. خطبة الغدير.
٢. خطبة الغدير.
٣. خطبة الغدير.

النص على الامامة والولاية يفتقد التشيّع معناه تماماً.

ومن هنا تلتقي الآيات في الكشف عن هذه الحقيقة حيث مدلول آية البلاغ.

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾[1].

ويلتقي مع مفاد الآية الكريمة في قوله تعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[2].

فان قيل انّ مفهوم الولاية لله والرسول واضح من خلال الآية أعلاه لكن من أين نعلم ان قوله تعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾.

يدلّ علىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام؟

انّنا لو بحثنا شأن نزول هذه الآية الكريمة في كتب الفريقين لعلمنا انّ المراد من الذين آمنوا هو الامام علي عليه السلام:

أخرج أبو اسحاق الثعلبي في تفسيره باسناده عن أبي ذرّ الغفاري قال:

أَمَا إِنِّي صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله يَوْماً مِنَ الأَيَّامِ الظُّهْرَ فَسَأَلَ سَائِلٌ فِي الْمَسْجِدِ فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ شَيْئاً، فَرَفَعَ السَّائِلُ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ أَنِّي سَأَلْتُ فِي مَسْجِدِ نبيّكَ مُحمّد صلى الله عليه وآله فَلَمْ يُعْطِنِي أَحَدٌ شَيْئاً، وَكَانَ عَلِيٌّ عليه السلام فِي الصَّلاةِ رَاكِعاً فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ بِخِنْصِرِهِ الْيُمْنَى وَفيه خاتَمُ فَأَقْبَلَ السَّائِلُ فَأَخَذَ

---

١. سورة المائدة (٥): ٦٧.

٢. سورة المائدة (٥): ٥٥.

الْخَاتَمَ مِنْ خِنْصِرِهِ، وَذَلِكَ بِمَرْأًى مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ في المسجد فَرَفَعَ رسُول الله طَرفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ! إِنَّ أَخِي مُوسَى سَأَلَكَ فَقَالَ:

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾[1] فَأَنْزَلْتَ عَلَيْهِ قُرْآناً: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ﴾[2] اللَّهُمَّ! وَانَي مُحَمَّدٌ نَبِيُّكَ وَصَفِيُّكَ اللَّهُمَّ! وَاشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي عَلِيّاً اشْدُدْ بِهِ ظَهْرِي.

قَالَ أَبُوذَرٍّ رضي الله عنه: فَمَا اسْتَتَمَّ دعاءُهُ حَتَّى نَزَلَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَقَالَ:

يَا مُحَمَّدُ! اقْرَأْ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا... ﴾ الآية»[3].

---

١. سورة طه (٢٠): ٢٥ ـ ٣٢. ٢. سورة القصص (٢٨): ٣٥.

٣. الغدير: ٢/ ٥٢ ومن مصادر أهل السنّة:

تفسير ابن كثير: ٢/ ٧١؛ تفسير أبوالبركات: ١/ ٤٩٦؛ أسباب النزول: ١٤٨؛ تفسير فخرالدين الرازي: ٣/ ٤٣١؛ تفسير الخازن: ١/ ٤٩٦؛ تفسير الطبري: ٦/ ١٦٥؛ تفسير الكشّاف للزمخشري: ١/ ٦٤٩؛ تفسير النيسابوري: ٣/ ٤٦١؛ كتاب البداية والنهاية لابن كثير: ٧/ ٣٥٧؛ التذكرة لسبط ابن الجوزي: ٩؛ جمع الجوامع لحافظ السيوطي: ٦/ ٣٩١ و٤٠٦؛ الذخائر لمحبّ الدين الطبري: ١٠٢؛ روح المعاني للآلوسي: ٢/ ٢٢٩؛ الرياض لمحبّ الين الطبري: ٢/ ٢٠٦ و٢٢٧؛ الصواعق لابن حجر: ٢٥؛ الفرائد للحموينى؛ الفصول المهمّة لابن صبّاغ المالكي: ١٢٣؛ الكفاية للكنجي الشافعي: ١٠٦ و١٢٢؛ مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي: ٣١؛ مناقب الخوارزمي: ١٧٨؛ المواقف للقاضي عضد الايجي: ٣/ ٢٧٦؛ نور الأبصار للشبلنجي: ٧٧.

وهذا نموذج ممّا ورد في كتب الحديث الاماميّة:

محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن خالد البرقي، عن القاسم بن محمّد الجوهريّ، عن الحسين بن أبي العلاء، قال:

قلت لأبي عبدالله عليه السلام:

الأوصياء طاعتهم مفترضة؟

قال: «نعم، هم الذين قال الله عزّوجلّ: ﴿أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1].

وهم الذين قال الله عزّوجلّ:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[2]».[3]

ومن هنا يتّضح خواء الادعاء الذي يزعم:

«انّ هذه المفاهيم (الامامة، الولاية، العصمة) لم يصرّح بها الأئمّة».

بينما نرى انّ أهل البيت عليهم السلام طالما كانوا يؤكّدون للأمّة هذه المفاهيم.

وأمّا ما يذهب إليه هذا الزعم:

«إنّ الامام الحسين ثار عند ما رأىٰ هذه المعالم وقد امحت وتغيّرت وأضحت أشياءً أُخرىٰ هذه المعالم لدى النخبة وكان على الحسين أن يثور ذلك انّ النخبة قد سكتت ولذا قال:

---

١. سورة النساء (٤): ٥٩.
٢. سورة المائدة (٥): ٥٥.
٣. الكافي: ١/٩٨؛ بحار الأنوار: ٢٣/٣٠٠.

لنردّ المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك...».

وفي هذا المقطع أيضاً نلاحظ انكاراً للامامة من خلال تبديل مفهومها إلى «النخبة» والقول بوجود نخبة أُخرىٰ مثل الحسين عليه السلام في نفس عصره وزمانه وأنّ ثورة الحسين جاءت بسبب سكوت تلك النخبة!

في حين انّ الامامة والأئمّة عليهم السلام وانطلاقاً ممّا ورد في نهج البلاغة ـ حيث البعض يؤيّد ما ورد فيه حول ملامح التشيّع ـ عبارة عن:

«هُم أساس الدين، وعماد اليقين»[1].

ان صرح التشيّع ينهض علىٰ أُصول الدين يعني على: الأئمّة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام؛ هؤلاء الأئمّة الذين يتعاقبون الواحد بعد الآخر في انتهاج مسار الرسول صلى الله عليه وآله في تطبيق نظام التشريع الاسلامي.

«وهو (علي) فيكم بمنزلتي فيكم»[2].

«إنّه ليس على الامام إلّا ما حُمّل من أمر ربّه»[3].

انّ مسؤوليّة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في تطبيق الاسلام في واقع الحياة تنتقل إلى الأئمّة وفقاً للأوامر الالهيّة الواردة في الوحي الالهي.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَايُوحَىٰ إِلَيَّ﴾[4].

وحيث حكم الأئمّة المعصومين الذين هم أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله هو نفسه حكم الانبياء في الوظائف والمسؤوليّات وبكلّ ما يريده الله منهم وما حمّلهم إيّاه.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢.

٢. الاحتجاج: ١/١٤٨؛ بحار الأنوار: ٣١/٤١٠؛ كمال الدين: ١/٢٧٧.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٥.

٤. سورة الانعام (٦): ٥٠.

﴿ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾[١].

إلّا انّهم اضطرّوا إلىٰ تسليم الأمر إلىٰ غيرهم اضطراراً.

«وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاء»[٢].

هذا ما قاله علي عليه السلام بعد ما أسفرت حادثة السقيفة عن استيلاء غيره على الخلافة.

وبسبب هذه الظروف صالح الامام الحسن معاوية.

«وَاللهِ مَا سَلَّمْتُ الأَمْرَ إِلَيْهِ إِلّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ أَنْصَاراً وَلَوْ وَجَدْتُ أَنْصَاراً لَقَاتَلْتُهُ لَيْلِي وَنَهَارِي حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَه... أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ فِي كِتَابِ اللهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّ الله»[٣].

ومن أجل النهوض بالمسؤوليّة غادر الامام الحسين عليه السلام مكّة باتّجاه الكوفة وقد اصطحب معه أُسرته وعياله، مع انّ الجميع توقّع ما سيحدث من اجراءات من قبل النظام الحاكم يومذاك؛ ولهذا فقد بادر كثيرون لاقناع الامام الحسين عليه السلام بعدم الرحيل إلىٰ الكوفة لكنّه كان عليه أن يؤدّي رسالته ولهذا كان يصرّح مبرراً خطوته بتلاوته الآية الكريمة:

﴿ قُل لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَاكَتَبَ ٱللهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا ﴾[٤].

أو قوله:

«انّه لَيس على الامام إلّا ما حُمّل من أمرِ ربّه»[٥].

---

١. سورة الأنبياء (٢١): ٢٧.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ٣.
٣. الاحتجاج: ٢/ ١٩١؛ بحار الأنوار: ٣٤/ ١٦٧.
٤. سورة التوبة (٩): ٥٠.
٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٥.

أو هذا النص الذي يشير ما حصل في سحر تلك الليلة:

«فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ ارْتَحَلَ الْحُسَيْنُ عليه السلام فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ فَأَتَاهُ فَأَخَذَ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ وَقَدْ رَكِبَهَا فَقَالَ: يَا أَخِي أَلَمْ تَعِدْنِي النَّظَرَ فِيمَا سَأَلْتُكَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَمَا حَدَاكَ عَلَى الْخُرُوجِ عَاجِلاً؟ قَالَ: أَتَانِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بَعْدَ مَا فَارَقْتُكَ فَقَالَ: يَا حُسَيْنُ اخْرُجْ فَإِنَّ اللهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاكَ قَتِيلاً، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ: إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَمَا مَعْنَى حَمْلِكَ هَؤُلاءِ النِّسَاءَ مَعَكَ وَأَنْتَ تَخْرُجُ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْحَالِ؟ قَالَ: فَقَالَ لِي صلى الله عليه وآله: إِنَّ اللهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاهُنَّ سَبَايَا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَمَضَى»[1].

ويتمتع الامام في كلّ عصر وزمان بمزايا وخصائص تؤهله لهذا المقام الرفيع ألا وهو الامامة خصائص من قبيل ما يرد في النصّ التالي:

«الإِمَامُ وَاحِدُ دَهْرِهِ لا يُدَانِيهِ أَحَدٌ وَلا يُعَادِلُهُ عَالِمٌ وَلا يُوجَدُ مِنْهُ بَدَلٌ وَلا لَهُ مِثْلٌ وَلا نَظِيرٌ مَخْصُوصٌ بِالْفَضْلِ كُلِّهِ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ مِنْهُ لَهُ وَلا اكْتِسَابٍ بَلِ اخْتِصَاصٌ مِنَ الْمُفْضِلِ الْوَهَّاب»[2].

فالامام فريد عصره وزمانه كما هو الرسول صلى الله عليه وآله كان فريد عصره وزمانه فهو معصوم من الخطأ والزلل هذه العصمة التي هي هبة الله سبحانه له وليست مكتسبة اكتساباً.

فكيف ينسجم قول القائل حول الامام الحسين بأنّه كان أحد النخبة وانّه ثار لمّا رأىٰ سكوت هذه النخبة؛ فهو يقرنه بغيره من معاصريه... أجل هل ينسجم هذا مع

---

١. بحار الأنوار: ٤٤/٣٦٤.
٢. الكافي: ١/١٩٨؛ العيون: ٢/١٩٥.

مقولة الامام علي عليه السلام:

«لا يُقاس آلِ مُحمّدٍ في هذهِ الأُمّة أحدٌ»[١]؟!

وعليه فانّ ثورة الامام الحسين عليه السلام ونهضته إنّما تأتي في اطار أدائه المسؤوليّة وواجبه كإمام معصوم منصوب من لدن الله سبحانه وتعالىٰ وليس خطوة في مقابل سكوت النخبة.

ولذا فانّ منزلة كلّ امام في عصره وزمانه تماثل منزلة الرسول صلى الله عليه وآله في عصره وحكمه بالنسبة للأمّة تماماً كحكم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

«وهُوَ (عليٌّ) فيكم بمنزلتي فيكم»[٢].

وقد ذكرنا ما قاله الامام الصادق عليه السلام آنفاً:

«الأَئِمَّةُ بِمَنْزِلَةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله إِلّا أَنَّهُمْ لَيسُوا بِأَنْبِيَاء».

ومن هنا فانّ الحصول على المعارف الوحيانيّة التي يشتمل عليها القرآن الكريم لا يتيسّر إلّا من خلال الامام المعصوم في كلّ عصر وفي زمن الغيبة من خلال التعاليم الواردة عنهم.

يقوال الامام علي عليه السلام:

«نَحْنُ الشِّعَارُ وَالأَصْحَابُ وَالْخَزَنَةُ وَالأَبْوَابُ لا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلّا مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا»[٣].

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢.

٢. الاحتجاج: ١/١٤٨؛ بحار الأنوار: ٣١/٤١٠؛ كمال الدين: ١/٢٧٧.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٤.

ولذلك فان التزام منهج أهل البيت والتمسّك بهم أمر في غاية الوضوح لمن يتأمّل في النصوص الواردة عن النبي ﷺ.

يقول الامام علي عليه السلام أيضاً:

«انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا، وَلا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا»[1].

وأمّا قوله:

يقول سيّد الشهداء في خطبة مهمّة في كربلاء قبل استشهاده:

«بكُم فيّ أُسوة».

انّ الأُسوة تطلق علىٰ وجود السنخيّة والتشابه بين الامام والمأموم هذا التشابه في امكانيّة بلوغ مرتبة الامام من قبل المأمومين، وعندما تصل الصفات المستوىٰ الذي خدّده المتكلّمون حينئذٍ ترتفع حالته الأسوة من تلك الوجودات المحترمة.

هذا ما قاله السيّد:

غير انّ التأمّل أكثر في استخدام الكلمات والعبارات أمر ضروري انّ السنخيّة شيء والتشابه شيء آخر.

انّ السنخيّة بين رسول الله وآله صلوات الله عليهم أجمعين وسائر الناس امر خارج عن دائرة الاختيار البشري وانّ الله عزّوجلّ قد أرسل نبيّه من جنس عباده، قال سبحانه:

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٩٧.

﴿كَلاَّ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ ٱسْتَغْنَىٰ﴾[١].

واذن فان منصب الامام ليس منصباً أو مقاماً اكتسابيّاً إنّما هو اصطفاء الهي «باختياره إيّاه».

حتّىٰ في حالة القدرة على التأسّي بـ«محمّد وآل محمّد» بحيث يحصل تطابق تام بين المقتدي والمتقدىٰ به وهذا أمر مستحيل: «إنّكم لا تقدرون علىٰ ذلك».

«أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ أَلا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ وَمِنْ طَعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ أَلا وَإِنَّكُمْ لا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ»[٢].

وأمّا قوله: «وعند ما تبلغ هذه الصفات المستوىٰ الذي حدّده المتكلّمون».

فانّنا نقول:

فمن غير الله تعالىٰ يحيط بخصائص وصفات عباده الذين اصطفىٰ حتّىٰ يمكن للمتكلّمين الحديث عنهم؟!

إنّ أفضل الكلام وأشرفه وأعمقه في بيان منزلة وشأن رسول الله وأهل بيته الكرام صلوات الله عليهم أجمعين هو كلام الله عزّوجلّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثمّ كلام رسوله محمّد ﷺ الذي لا ينطق عن الهوىٰ ثمّ كلام الأئمّة من آل النبيّ الأطهار؛ وفيما يلي نماذج ممّا قاله الله عزّوجلّ بشأن أهل بيت رسوله ﷺ:

---

١. سورة العلق (٩٦): ٦ ـ ٧.

٢. نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

قول الله عزّوجل والنبيّ ﷺ والأئمّة عليهم السلام بشأن أهل بيت الرسول

١ ـ علم الكتاب

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ ﴾[1].

جاء عن علي بن إبراهيم، عن... بريد بن معاوية، قال:

قلت لأبي جعفر عليه السلام: ﴿ قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ ﴾؟

قال: «إيّانا عنى، وعليٌّ أوّلنا وأفضلُنا وخَيرنا بعد النبي ﷺ»[2].

٢ ـ أهل البيت عليهم السلام هم عدل القرآن

انّ حديث الثقلين المتواتر يدلّ دلالة أكيدة علىٰ أنّ اهل البيت الكرام عليهم السلام هم عدل القرآن الكريم والقرآن الكريم هو كتاب الله الذي أنزله علىٰ رسوله.

«إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي ما إنْ تَمَسَّكتُم بهما لَنْ تَضِلُّوا بَعدي»[3].

٣ ـ حبّ أهل البيت عليهم السلام هو أجر الرسالة

لقد جعل الله عزّوجلّ مودّة أهل بيت الرسول ﷺ أجراً علىٰ أدائه رسالة الله.

---

١. سورة الرعد (١٣): ٤٣.
٢. الكافي: ١/٢٢٩.
٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦/٣٧٥.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾[١].

جاء في الروايات انّ المراد من قوله تعالىٰ «ومن يقترف حسنة» هو مودّة أهل البيت عليهم السلام.

وقد جاء في الأخبار:

عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالىٰ ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً ﴾ قال: «الاقتراف التسليم لنا والصدقُ علينا وألّا يكذّب علينا»[٢].

أو:

عن أبي الطفيل قال: خَطَبَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيّ بنِ أبي طالب عليه السلام فَحمدَ الله وأثنىٰ عليه وَذَكَرَ أميرالمُؤمنين عليّاً عليه السلام خَاتَمُ الْوَصِيِّينَ وَوَصِيُّ خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ وَأَمِينَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ، ثمّ قال:

«أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ فَارَقَكُمْ رَجُلٌ مَا سَبَقَهُ الأَوَّلُونَ وَلا يُدْرِكُهُ الآخِرُونَ؛ لَقَدْ كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله يُعْطِيهِ الرَّايَةَ فَيُقَاتِلُ جَبْرَئِيلُ عَنْ يَمِينِهِ وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِهِ فَمَا يَرْجِعُ حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْهِ... وَأَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ جَبْرَئِيلُ يَنْزِلُ فينا ويَصعد مِن عندنا؛ وَأَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ افْتَرَضَ اللهُ مَوَدَّتَهُمْ علىٰ كلّ مسلمٍ وأنزلَ اللهُ فيهم: ﴿ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً ﴾، واقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت»[٣].

---

١. سورة سبأ (٣٤): ٢٨.
٢. الكافي: ١/٣٩١.
٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤/١١؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ٩/١٤٦؛ الفصول

٤ ـ تحديد شخوص أهل البيت عليهم السلام

جاء في تفسير آية القربىٰ:

بعد أن سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن مفهوم القربىٰ:

أخرج... عن إبن عبّاس قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ قَرَابَتُكَ هَؤُلاءِ الَّذِينَ وَجَبَتْ عَلَيْنَا مَوَدَّتُهُمْ؟ فَقَالَ: «عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا».

كما:

أخرج الحافظ أبو عبدالله الملا في سيرته: انّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إنّ الله جعل أجري عليكم المودّة في أهل بيتي وانّي سائلكم غداً عنهم»[1].

وهذه قائمة بكتب الحديث برواية علماء أهل السنّة:

اسم الكتاب	المؤلف	الجزء	الصفحة
احياء الميت	السيوطي «حاشية «الاتحاف»	ـ	٢٣٩
الاسعاف	الصبان «حاشية «نور الأبصار»	ـ	١٠٥
الذخائر	محب الدين الطبرى	ـ	٢٥
تفسير أبو حيّان	ابو حيّان	٧	٥١٦
تفسير أبو السعود	أبو السعود «هامش تفسير الرازي»	٧	٦٦٥

ـ لابن الصباغ المالكي: ١٦٦؛ الكفاية للحافظ الكنجي: ٣٢؛ الصواعق لابن حجر: ١٠١ و١٣٦؛ نزهة المجالس: ٢/٢٣١؛ الرشفة للحضرمي: ٤٣؛ الغدير: ٢/٣٠٨.

١. الذخائر لمحبّ الدين الطبري: ٢٥؛ الصواعق لابن حجر: ١٠٢ و١٣٦؛ جواهر العقدين للسمهودي؛ الغدير: ٢/٣٠٧.

تفسير الكبير، الرازي	فخر الدين الرازي		تحت الآية
تفسير الكشّاف	الزمخشري	٢	٣٣٩
تفسير النسفي	النسفي (حاشية « تفسير الخازن »	٤	٩٩
تفسير النسابوري	النيسابوري		تحت الآية
شرح المواهب	الزرقاني	٧	٣ و ٢١
الصواعق	ابن حجر	ـ	١٠١ و ١٣٥
الفرائد	الحمويي	ـ	تحت الآية
فصوله المهمّة	ابن صبّاغ المالكي	ـ	١٢
الكفاية	حافظ الكنجي	ـ	٣١
المجمع	حافظ الهيثمي	٩	١٦٨
مطالب السئول	ابن طلحة الشافعي	ـ	٨
نور الأبصار	الشبلنجي	ـ	١١٢

وقد ذكر ابن حجر:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

ورُوي جملةٌ من الأخبار الصحيحة الواردة فيها وأنّ النبيّ ﷺ قرن الصلاة على آله بالصلاة عليه لمّا سئل عن كيفيّة الصلاة والسلام عليه ثمّ قال: هذا دليلٌ علىٰ أنّ الأمر بالصلاة على أهل بيته وبقيّة آله مراد من هذه الآية وإلّا لم يسألوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها ولم يجابوا بما ذكر

فلمّا أُجيبوا به دلّ على أنّ الصلاة عليهم من الجملة المأمور بـه وأنّـه ﷺ أقامهم في ذلك مقام نفسه لأنّ القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ومنه تعظيمهم ومن ثمّ لمّا دخل من مرّ في الكساء قال: اللّهمّ إنّهم منّي وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم[1].

وقضيّة استجابة هذا الدعاء:

إنّ الله صلّى عليهم معه فحينئذٍ طلب من المـؤمنين صـلاتهم عـليهم مـعه ويروىٰ ألّا تصلُّوا عليّ الصلاة البتراء، فقالوا: ما الصلاة البتراء؟

قال: تقولون:

اللّهمّ صلّ على محمّد وتمسكوا؛ بل قولوا:

اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد.

ثمّ نقل عن الامام الشافعي:

يـا أهـل بـيت رسـول الله حـبّكمُ ... فرض مـن الله فـي القـران أنـزله

كـفاكـم مـن عـظيم القـدر أنّكـم ... من لم يصلّ عليكم لا صلاة له[2]

أُؤكّدة مرّ أُخرىٰ أنّ الاشارة إلىٰ هذه الروايات في مصادر أهل السنّة هو من أجل ألا يقال ان ما يذكر من مناقب لأهل البيت هو في مصادر الشيعة فقط وأنّ المفوّضة والغلاة ومتكلّميهم هم من لفق هذه الفضائل.

أمّا الآيات القرآنيّة الكريمة في شأن أهل البيت فما أكثرها.

يقول الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

---

١. مسند أحمد بن حنبل: ٦/٣٢٣.

٢. مسند أحمد بن حنبل: ٦/٣٢٣.

«فيهِم كرائمُ القرآنِ، وهم كُنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا»[١].

وهذا رسول الله ﷺ يقول في توصيف أهل بيته في خطبة الغدير:

«مَعَاشِرَ النَّاسِ ﴿ آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ ٱلسَّبْتِ ﴾ النُّورُ مِنَ اللهِ فِيَّ ثُمَّ فِي عَلِيٍّ ثُمَّ فِي النَّسْلِ مِنْهُ إِلَى الْقَائِمِ الْمَهْدِي».

وقال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «الْزَمُوا مَوَدَّتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَإِنَّهُ مَنْ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ يَوَدُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَنْتَفِعُ عَبْدٌ بِعِلْمِهِ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ حَقِّنَا»[٢].

وقال:

قال النبيّ ﷺ لعليّ عليه السلام: «يَا عَلِيُّ لَوْ أَنَّ عَبْداً عَبَدَ اللهَ مِثْلَ مَا قَامَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَباً فَأَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمُدَّ فِي عُمُرِهِ حَتَّى حَجَّ أَلْفَ عَامٍ عَلَى قَدَمَيْهِ ثُمَّ قُتِلَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ مَظْلُوماً ثُمَّ لَمْ يُوَالِكَ يَا عَلِيُّ لَمْ يَشَمَّ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَلَمْ يَدْخُلْهَا»[٣].

أو:

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٤.

٢. أعجب ما رأيت لمحمّد سليمان: ١/ ٨؛ رشفة الصافي للحضرمي: ٤٣؛ الشرف المؤبّد للنبهاني: ٩٦؛ الصواعق لابن حجر...؛ المجمع للهيثمي: ٩/ ١٧٢.

٣. المناقب للخوارزمي: ٣٩.

عن أُمّ سلمة عن رسول الله ﷺ إنّه قال: «يا أُمّ سلمة! أتعرفينه؟»

قلت: نعم، هذا عليُّ بن أبي طالب.

قال: «صدقت، سجيّته سجيّتي، ودمه دمي، وهو عيبة علمي، فاسمعي واشهدي؛ لو أنّ عبداً من عباد الله عزّوجلّ عبد الله ألف عام بين الركن والمقام ثمّ لقى الله عزّوجلّ مبغضاً لعليّ بن أبي طالب وعترتي أكبّه الله تعالى على منخره يوم القيامة في نار جهنّم».

أخرجه الحافظ الكنجي باسناده من طريق الحافظ أبي الفضل السلامي ثمّ قال: هذا حديثٌ سنده مشهورٌ عند أهل النقل[1].

أو:

وأخرج ابن عساكر في تاريخه مسنداً عن جابر بن عبدالله، عن رسول الله ﷺ في حديث:

«يَا عَلِيُّ لَوْ أَنَّ أُمَّتِي صَامُوا حَتَّى يَكُونُوا كَالْحَنَايَا وَصَلُّوا حَتَّى يَكُونُوا كَالْأَوْتَارِ ثُمَّ أَبْغَضُوكَ لَأَكَبَّهُمُ اللهُ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ»[2].

وجاء في حديث السفينة:

قال الرسول ﷺ: «مثلُ أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق»[3].

وهذا إمام الشافعيّة يتغنّىٰ بحبّ أهل البيت الكرام عليهم السلام:

---

١. الغدير: ٢/٣٠٢.

٢. الكفاية للكنجي: ١٧٩؛ المناقب لابن المغازلي، نقل عنه القرشي في شمس الاخبار: ٣٣؛ الفرائد للحمويي في باب الأوّل؛ الغدير: ٢/٣٠٢.

٣. المستدرك للحاكم: ٣/١٥١ عن أبي ذر؛ تاريخ الخطيب: ١٢/٩١.

ولمّـا رأيت النـاس قـد ذهـبت بـهم ... مـذاهـبهم فـي أبـحر الغـيّ والجـهل

ركبت على اسم الله في سـفن النـجا ... وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل

وأمسكت حـبل الله وهـو ولائـهم ... كـما قـد أُمـرنا بـالتمسّك بـالحبل

وقوله:

لا يـقبل الله لعـبدٍ عـملاً ... حـتّى يـواليـهم بـاخلاص الولا[1]

وكذا:

قوله ﷺ: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غُفر له»[2].

يقول فخرالدين الرازي في هذا الصدد:

إنّ الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هـذا الدعـاء خـاتمة التشـهّد فـي الصلاة: اللّهمّ صلّ علىٰ محمّد وعلىٰ آل محمّد، وارحم محمّداً وآلَ محمّدٍ.

وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل فكلّ ذلك يدلّ علىٰ أنّ حبّ آل محمّد واجب...

أهل بيته ﷺ ساووه في خمسة أشياء:

في الصلاة عليه وعليهم في التشهّد؛ وفي السلام؛ وفي الطهارة؛ وفي تحريم الصدقة؛ وفي المحبّة[3].

---

١. رشفة الصفا: ٢٤.

٢. الأوسط للطبراني، الحديث ١٨؛ المراجعات: ١٧.

٣. تفسير الرازي: ٣٩١/٧؛ الشفاء للقاضي خفاجي الحنفي ٥/٣ ـ ٥٠٠؛ شفاء السقام لتقي الدين السبكي: ١٨١؛ مجمع الزوائد: ١٦٣/١.

أو:

أخرج الدارقطني والبيهقي حديث: «من صلّى صلاة ولم يصلّ عليّ وعلىٰ أهل بيتي لم تُقبل منه»[١].

وأورد مجمع الزوائد سؤال الصحابة:

«قلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلّم عليك، فكيف نصلّي عليك؟

قال: «قولوا: اللّهمّ اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمّد وآل محمّد كما جعلتها علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم، إنّك حميدٌ مجيد».

أو:

وأخرج الطبرانيّ في «الأوسط» عن عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام:

«كلّ دعاء محجوب حتّى يُصلّى علىٰ محمّد وآل محمّد»[٢].

أو:

عن النبي صلى الله عليه وآله: «قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأُعطي عليّ تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً»[٣].

وتزخر مصادر الحديث لدى أهل السنّة بالكثير من الروايات من هذا القبيل.

ولهذا لا يستبعد من الذين ينكرون الشمس في رابعة النهار أن يتخرصوا قائلين:

«انّ الشيعة والغلاة ومتكلّميهم منذ صدر الاسلام وربما قبل ظهور الاسلام قد

---

١. الصواعق: ١٣٩.
٢. مجمع الزوائد: ١٠/١٦٠.
٣. حلية الأولياء: ١/٦٥.

نفذوا داخل أهل السنّة وحشوا أدمغتهم ومن ثمّ كتبهم بهذه الروايات!!».

إنّ التامّل والتدبّر في مثل هذه الروايات يكشف عن الخطأ في توصيف الشيعة بالغلاة ونسبة ما ورد من مناقبهم وسجاياهم إلىٰ اختراعات متكلّميهم، لأنّنا نلاحظ من خلال هذه الروايات الواردة في أُمّهات مصادر أهل السنّة ان توصيفاتنا لأهل البيت عليهم السلام لم تطلق جزافاً وإنّما تستند إلىٰ قاعدة عريضة جداً من النصوص القرآنيّة والنبويّة الشريفة؛ ذلك ان كلّ الألسنة تعجز عن معرفة وتوصيف أهل البيت الكرام عليهم السلام الّا بعد أن يعرّفهم الله تعالى ورسوله الأكرم صلى الله عليه وآله للناس؛ وبعد هذا التعريف وهذه المعرفة فهل ثمّة لسان بامكانه أن يتحدّث في بيان حق أهل البيت عليهم السلام بأبلغ وأفصح من كلام الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

فاذا كانت هذه التوصيفات تُعدّ غلواً فيجب أن يوجّه الاحتجاج إلى الله ورسوله أوّلاً واتهامهما بالغلو وليس الشيعة لأنّهم لم يبتدعوا هذه التوصيفات من عندياتهم!

فلنتأمّل مرّة أُخرىٰ في ما قاله الامام علي بن أبي طالب عليه السلام:

«وإنّما الأئمّة قوّام الله علىٰ خلقه وعرفاؤه علىٰ عباده، لا يدخل الجنّة إلّا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرهم وأنكروه»[1].

فما الذي ابتدعته الشيعة في توصيف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله:

«نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلائِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ»[2].

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٢.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.

الفصل الثاني

اصطفاء الامام عليه السلام ونصبه من لدن الله تبارك وتعالىٰ والنصوص الواردة في ذلك

الامامة والامام هي القيادة والقائد التشريعي، الذي تصطفيه السماء للخلافة في الأرض، ان نصب الامام لا يكون إلّا من الله سبحانه.

﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

وقال تعالىٰ:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[2].

وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

«فَاعْلَمُوا مَعَاشِرَ النَّاسِ! ذٰلِكَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيّاً وَإِماماً، وَفَرَضَ

---

١. سورة البقرة (٢): ١٢٤.
٢. سورة الأنبياء (٢١): ٧٣.

طاعَتَهُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ»[١].

وقال ﷺ:

«مَن كُنتُ مولاهُ عليٌّ مَولاهُ، ومُوالاتُهُ مُوالاةُ اللهِ أنزلها عليّ»[٢].

وقد ذكرنا خطبة الامام علي عليه السلام وفيها يذكر ان نصب الامام هو من قبل الله عزّوجلّ وفيما يأتي نصوص وأحاديث للأئمّة الأطهار في هذا الموضوع:

الف ـ قال الامام الحسن المجتبى عليه السلام:

«أنا أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبيّ الله ﷺ»[٣].

ب ـ قال الامام زين العابدين عليه السلام:

«رَبِّ صَلِّ عَلَى أَطَايِبِ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لِأَمْرِكَ، وَجَعَلْتَهُمْ خَزَنَةَ عِلْمِكَ، وَحَفَظَةَ دِينِكَ، وَخُلَفَاءَكَ فِي أَرْضِكَ، وَحُجَجَكَ عَلَى عِبَادِكَ، وَطَهَّرْتَهُمْ مِنَ الرِّجْسِ وَالدَّنَسِ تَطْهِيراً بِإِرَادَتِكَ، وَجَعَلْتَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ، وَالْمَسْلَكَ إِلَى جَنَّتِكَ... اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عَلَماً لِعِبَادِكَ، وَمَنَاراً فِي بِلادِكَ بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَجَعَلْتَهُ الذَّرِيعَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ، وَافْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ، وَحَذَّرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَأَمَرْتَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَالإِنْتِهَاءِ عِنْدَ نَهْيِهِ...»[٤].

ج ـ قال الامام الصادق عليه السلام بشأن منزلة الامام والامامة:

أَمَا تَرَى اللهَ يَقُولُ: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾[٥] **يَقُولُ لَيْسَ لَكُمْ أَنْ**

---

١. خطبة الغدير.
٢. خطبة الغدير.
٣. خطبة الغدير.
٤. صحيفة السجاديّة، دعاء يوم عرفة.
٥. سورة النمل (٢٧): ٦٠.

تَنْصِبُوا إِمَاماً مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِكُمْ تُسَمُّونَهُ مُحِقّاً بِهَوَى أَنْفُسِكُمْ وَإِرَادَتِكُمْ.

ثُمَّ قَالَ: ثَلاثَةٌ ﴿لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾[1]: مَنْ أَنْبَتَ شَجَرَةً لَمْ يُنْبِتْهُ اللهُ، يَعْنِي: مَنْ نَصَبَ إِماماً لَمْ يَنْصِبْهُ اللهُ، أَوْ جَحَدَ مَنْ نَصَبَهُ اللهُ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ لِهَذَيْنِ سَهْماً فِي الإِسْلامِ. وَقَدْ قَالَ اللهُ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[2].

د ـ الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

«فَالإِمَامُ إِنَّمَا يَكُونُ إِماماً مِنْ قِبَلِ اللهِ بِاخْتِيَارِهِ إِيَّاه»[3].

انّني اذكّر بهذه النصوص حتّى لا يقول انّني لم أجد أو لم أرَ أحداً يقول:

«الإمام هو المنصوب من الله، الامام المنصوب من قبل رسول الله...».

إنّ عدم الوجدان لا يدلّ علىٰ عدم الوجود، ولذلك لا يمكن الاستناد إلىٰ هكذا تصوّرات شخصيّة، لا يحقّ لي أن أقول انّني لم أجد كذا وكذا لأنفي وجود شيء ما، لأنّني مثلاً قد تجاوزت بعض الحدود الالهيّة فيطبع الله علىٰ قلبي وحينئذٍ أصاب بالعمىٰ الفكري.

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا... تِلْكَ حُدُودُ ٱللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾.

﴿كَذٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَىٰ ٱلْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي

---

١. سورة البقرة (٢): ٧٤.
٢. سورة القصص (٢٨): ٦٨.
٣. الكافي: ١/ ١٩٨، العيون: ٢/ ١٩٥.

آلصُّدُور ﴾[١].

هل من الانصاف أن يستند المرء إلىٰ قوله: «إنّني لم أجد ولم أر» لينكر عقيدة التشيّع ويحول المسجد الذي بني للتقوى وعبادة الله إلىٰ مسجد ضرار؟!

يقول الامام الرضا عليه السلام في توصيف الامام والامامة في نص غاية في الاهميّة ويستلزم دراسات موسعة لسبر أغواره:

«إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيَّهُ حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ الدِّينَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، بَيَّنَ فِيهِ الْحَلالَ وَالْحَرَامَ، وَالْحُدُودَ وَالأَحْكَامَ، وَجَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ كَمَلاً، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[٢]، وَأَنْزَلَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَ هِيَ آخِرُ عُمُرِهِ صلى الله عليه وآله ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾[٣] وَأَمْرُ الإِمَامَةِ مِنْ تَمَامِ الدِّينِ، وَلَمْ يَمْضِ صلى الله عليه وآله حَتَّى بَيَّنَ لأُمَّتِهِ مَعَالِمَ دِينِهِمْ، وَأَوْضَحَ لَهُمْ سَبِيلَهُمْ، وَتَرَكَهُمْ عَلَى قَصْدِ سَبِيلِ الْحَقِّ، وَأَقَامَ لَهُمْ عَلِيّاً عَلَماً وَإِمَاماً، وَمَا تَرَكَ لَهُمْ شَيْئاً يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الأُمَّةُ إِلاّ بَيَّنَهُ. فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يُكْمِلْ دِينَهُ فَقَدْ رَدَّ كِتَابَ اللهِ، وَمَنْ رَدَّ كِتَابَ اللهِ فَهُوَ كَافِرٌ بِهِ. هَلْ يَعْرِفُونَ قَدْرَ الإِمَامَةِ وَمَحَلَّهَا مِنَ الأُمَّةِ فَيَجُوزَ فِيهَا اخْتِيَارُهُمْ؟

إِنَّ الإِمَامَةَ أَجَلُّ قَدْراً وَأَعْظَمُ شَأْناً وَأَعْلَى مَكَاناً وَأَمْنَعُ جَانِباً وَأَبْعَدُ غَوْراً مِنْ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعُقُولِهِمْ، أَوْ يَنَالُوهَا بِآرَائِهِمْ أَوْ يُقِيمُوا إِمَاماً بِاخْتِيَارِهِمْ. إِنَّ الإِمَامَةَ خَصَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عليه السلام بَعْدَ النُّبُوَّةِ وَالْخُلَّةِ مَرْتَبَةً

---

١. سورة الحج (٢٢): ٤٦.
٢. سورة الأنعام (٦): ٣٨.
٣. سورة المائدة (٥): ٣.

ثَالِثَةً، وَفَضِيلَةً شَرَّفَهُ بِهَا وَأَشَادَ بِهَا ذِكْرَهُ، فَقَالَ: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾ فَقَالَ الْخَلِيلُ عليه السلام سُرُوراً بِهَا: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[1] فَأَبْطَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ إِمَامَةَ كُلِّ ظَالِمٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَصَارَتْ فِي الصَّفْوَةِ ثُمَّ أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِأَنْ جَعَلَهَا فِي ذُرِّيَّتِهِ أَهْلِ الصَّفْوَةِ وَالطَّهَارَةِ، فَقَالَ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾[2].

فَلَمْ تَزَلْ فِي ذُرِّيَّتِهِ يَرِثُهَا بَعْضٌ عَنْ بَعْضٍ قَرْناً فَقَرْناً حَتَّى وَرَّثَهَا اللهُ تَعَالَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ جَلَّ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

فَكَانَتْ لَهُ خَاصَّةً فَقَلَّدَهَا صلى الله عليه وآله عَلِيّاً عليه السلام بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى عَلَى رَسْمِ مَا فَرَضَ اللهُ، فَصَارَتْ فِي ذُرِّيَّتِهِ الأَصْفِيَاءِ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللهُ الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ﴾[4]، فَهِيَ فِي وُلْدِ عَلِيٍّ عليه السلام خَاصَّةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ إِذْ لا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَمِنْ أَيْنَ يَخْتَارُ هَؤُلاءِ الْجُهَّالُ.

إِنَّ الإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِرْثُ الأَوْصِيَاءِ، إِنَّ الإِمَامَةَ خِلَافَةُ اللهِ وَخِلَافَةُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله، وَمَقَامُ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَمِيرَاثُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهما السلام، إِنَّ الإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّينِ، وَنِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَصَلاحُ الدُّنْيَا وَعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ. إِنَّ

---

١. سورة البقرة (٢): ١٢٤.
٢. سورة الأنبياء (٢١): ٧٣.
٣. سورة آل عمران (٣): ٦٨.
٤. سورة الروم (٣٠): ٥٦.

الْإِمَامَةَ أُسُّ الْإِسْلامِ النَّامِي، وَفَرْعُهُ السَّامِي، بِالْإِمَامِ تَمَامُ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ، وَتَوْفِيرُ الْفَيْءِ وَالصَّدَقَاتِ، وَإِمْضَاءُ الْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ، وَمَنْعُ الثُّغُورِ وَالْأَطْرَافِ.

الْإِمَامُ يُحِلُّ حَلالَ اللهِ، وَيُحَرِّمُ حَرَامَ اللهِ، وَيُقِيمُ حُدُودَ اللهِ، وَيَذُبُّ عَنْ دِينِ اللهِ، وَيَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ.

الْإِمَامُ كَالشَّمْسِ الطَّالِعَةِ الْمُجَلِّلَةِ بِنُورِهَا لِلْعَالَمِ وَهِيَ فِي الْأُفُقِ بِحَيْثُ لا تَنَالُهَا الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارُ.

الْإِمَامُ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَالسِّرَاجُ الزَّاهِرُ، وَالنُّورُ السَّاطِعُ، وَالنَّجْمُ الْهَادِي فِي غَيَاهِبِ الدُّجَى، وَأَجْوَازِ الْبُلْدَانِ وَالْقِفَارِ، وَلُجَجِ الْبِحَارِ.

الْإِمَامُ الْمَاءُ الْعَذْبُ عَلَى الظَّمَإِ، وَالدَّالُّ عَلَى الْهُدَى، وَالْمُنْجِي مِنَ الرَّدَى.

الْإِمَامُ النَّارُ عَلَى الْيَفَاعِ الْحَارُّ لِمَنِ اصْطَلَى بِهِ، وَالدَّلِيلُ فِي الْمَهَالِكِ، مَنْ فَارَقَهُ فَهَالِكٌ.

الْإِمَامُ السَّحَابُ الْمَاطِرُ، وَالْغَيْثُ الْهَاطِلُ، وَالشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ، وَالسَّمَاءُ الظَّلِيلَةُ، وَالْأَرْضُ الْبَسِيطَةُ، وَالْعَيْنُ الْغَزِيرَةُ، وَالْغَدِيرُ وَالرَّوْضَةُ.

الْإِمَامُ الْأَنِيسُ الرَّفِيقُ، وَالْوَالِدُ الشَّفِيقُ، وَالْأَخُ الشَّقِيقُ، وَالْأُمُّ الْبَرَّةُ بِالْوَلَدِ الصَّغِيرِ، وَمَفْزَعُ الْعِبَادِ فِي الدَّاهِيَةِ النَّادِ.

الْإِمَامُ أَمِينُ اللهِ فِي خَلْقِهِ، وَحُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَخَلِيفَتُهُ فِي بِلادِهِ، وَالدَّاعِي إِلَى اللهِ، وَالذَّابُّ عَنْ حُرَمِ اللهِ.

الْإِمَامُ الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالْمُبَرَّأُ عَنِ الْعُيُوبِ، الْمَخْصُوصُ بِالْعِلْمِ،

الْمَوْسُومُ بِالْحِلْمِ، نِظَامُ الدِّينِ، وَعِزُّ الْمُسْلِمِينَ، وَغَيْظُ الْمُنَافِقِينَ، وَبَوَارُ الْكَافِرِينَ».

الْإِمَامُ وَاحِدُ دَهْرِهِ، لا يُدَانِيهِ أَحَدٌ، وَلا يُعَادِلُهُ عَالِمٌ، وَلا يُوجَدُ مِنْهُ بَدَلٌ، وَلا لَهُ مِثْلٌ وَلا نَظِيرٌ؛ مَخْصُوصٌ بِالْفَضْلِ كُلِّهِ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ مِنْهُ لَهُ وَلا اكْتِسَابٍ، بَلِ اخْتِصَاصٌ مِنَ الْمُفْضِلِ الْوَهَّابِ.

فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْلُغُ مَعْرِفَةَ الْإِمَامِ، أَوْ يُمْكِنُهُ اخْتِيَارُهُ هَيْهَاتَ، هَيْهَاتَ، ضَلَّتِ الْعُقُولُ، وَتَاهَتِ الْحُلُومُ، وَحَارَتِ الْأَلْبَابُ، وَخَسَأَتِ الْعُيُونُ، وَتَصَاغَرَتِ الْعُظَمَاءُ، وَتَحَيَّرَتِ الْحُكَمَاءُ، وَتَقَاصَرَتِ الْحُلَمَاءُ، وَحَصِرَتِ الْخُطَبَاءُ، وَجَهِلَتِ الْأَلِبَّاءُ، وَكَلَّتِ الشُّعَرَاءُ، وَعَجَزَتِ الْأُدَبَاءُ، وَعَيِيَتِ الْبُلَغَاءُ عَنْ وَصْفِ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِهِ، أَوْ فَضِيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ، وَأَقَرَّتْ بِالْعَجْزِ وَالتَّقْصِيرِ، وَكَيْفَ يُوصَفُ بِكُلِّهِ، أَوْ يُنْعَتُ بِكُنْهِهِ، أَوْ يُفْهَمُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ، أَوْ يُوجَدُ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ، وَيُغْنِي غِنَاهُ لا كَيْفَ وَأَنَّى وَهُوَ بِحَيْثُ النَّجْمِ مِنْ يَدِ الْمُتَنَاوِلِينَ، وَوَصْفِ الْوَاصِفِينَ، فَأَيْنَ الاخْتِيَارُ مِنْ هَذَا، وَأَيْنَ الْعُقُولُ عَنْ هَذَا، وَأَيْنَ يُوجَدُ مِثْلُ هَذَا؟

أَتَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ يُوجَدُ فِي غَيْرِ آلِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، كَذَبَتْهُمْ وَاللهِ أَنْفُسُهُمْ، وَمَنَّتْهُمُ الْأَبَاطِيلَ فَارْتَقَوْا مُرْتَقاً صَعْباً دَحْضاً، تَزِلُّ عَنْهُ إِلَى الْحَضِيضِ أَقْدَامُهُمْ، رَامُوا إِقَامَةَ الْإِمَامِ بِعُقُولٍ حَائِرَةٍ بَائِرَةٍ نَاقِصَةٍ، وَآرَاءٍ مُضِلَّةٍ، فَلَمْ يَزْدَادُوا مِنْهُ إِلّا بُعْداً، قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ، وَلَقَدْ رَامُوا صَعْباً، وَقَالُوا إِفْكاً، وَضَلُّوا ضَلَالاً بَعِيداً، وَوَقَعُوا فِي الْحَيْرَةِ، إِذْ تَرَكُوا الْإِمَامَ عَنْ بَصِيرَةٍ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ، فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ، وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ.

رَغِبُوا عَنِ اخْتِيَارِ اللهِ وَاخْتِيَارِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِلَى اخْتِيَارِهِمْ

وَالْقُرْآنُ يُنَادِيهِمْ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[١].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[٢].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾[٣].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[٤] أَمْ: ﴿ طُبِعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾[٥] أَمْ: ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾[٦] أَمْ: ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾[٧] بَلْ هُوَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

فَكَيْفَ لَهُمْ بِاخْتِيَارِ الْإِمَامِ؟

وَالْإِمَامُ عَالِمٌ لا يَجْهَلُ، وَرَاعٍ لا يَنْكُلُ، مَعْدِنُ الْقُدْسِ وَالطَّهَارَةِ، وَالنُّسُكِ وَالزَّهَادَةِ، وَالْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ، مَخْصُوصٌ بِدَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَنَسْلِ الْمُطَهَّرَةِ

---

١. سورة القصص (٢٨): ٦٨.
٢. سورة الأحزاب (٣٣): ٣٦.
٣. سورة القلم (٦٨): ٣٧ ـ ٤٢.
٤. سورة محمّد (٤٧): ٢٤.
٥. سورة التوبة (٩): ٨٧.
٦. سورة الأنفال (٨): ٢١ ـ ٢٣.
٧. سورة البقرة (٢): ٩٣.

الْبَتُولِ، لا مَغْمَزَ فِيهِ فِي نَسَبٍ، وَلا يُدَانِيهِ ذُو حَسَبٍ، فِي الْبَيْتِ مِنْ قُرَيْشٍ، وَالذِّرْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ، وَالْعِتْرَةِ مِنَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله، وَالرِّضَا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، شَرَفُ الأَشْرَافِ، وَالْفَرْعُ مِنْ عَبْدِ مَنَافٍ، نَامِي الْعِلْمِ، كَامِلُ الْحِلْمِ، مُضْطَلِعٌ بِالإِمَامَةِ، عَالِمٌ بِالسِّيَاسَةِ، مَفْرُوضُ الطَّاعَةِ، قَائِمٌ بِأَمْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، نَاصِحٌ لِعِبَادِ اللهِ، حَافِظٌ لِدِينِ اللهِ.

إِنَّ الأَنْبِيَاءَ وَالأَئِمَّةَ عليهم السلام يُوَفِّقُهُمُ اللهُ وَيُؤْتِيهِمْ مِنْ مَخْزُونِ عِلْمِهِ وَحِكَمِهِ مَا لا يُؤْتِيهِ غَيْرَهُمْ، فَيَكُونُ عِلْمُهُمْ فَوْقَ عِلْمِ أَهْلِ الزَّمَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلّا أَنْ يُهْدىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1]، وَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ وَقَوْلِهِ فِي طَالُوتَ: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2] وَقَالَ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[3].

وَقَالَ فِي الأَئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ وَعِتْرَتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ صلوات الله عليهم: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾[4].

وَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اخْتَارَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِأُمُورِ عِبَادِهِ شَرَحَ صَدْرَهُ لِذَلِكَ، وَأَوْدَعَ قَلْبَهُ

---

١. سورة يونس (١٠): ٣٥.
٢. سورة البقرة (٢): ٢٤٧.
٣. سورة النساء (٤): ١١٣.
٤. سورة النساء (٤): ٥٣ ـ ٥٤.

يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ، وَأَلْهَمَهُ الْعِلْمَ إِلْهَاماً فَلَمْ يَعْيَ بَعْدَهُ بِجَوَابٍ وَلا يُحَيَّرُ فِيهِ عَنِ الصَّوَابِ فَهُوَ مَعْصُومٌ مُؤَيَّدٌ مُوَفَّقٌ مُسَدَّدٌ قَدْ أُمِنَ مِنَ الْخَطَايَا وَالزَّلَلِ وَالْعِثَارِ، يَخُصُّهُ اللهُ بِذَلِكَ لِيَكُونَ حُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَشَاهِدَهُ عَلَى خَلْقِهِ، ﴿ وَذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشٰاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾.

فَهَلْ يَقْدِرُونَ عَلَى مِثْلِ هَذَا فَيَخْتَارُونَهُ أَوْ يَكُونُ مُخْتَارُهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَيُقَدِّمُونَهُ؛ تَعَدَّوْا ـ وَبَيْتِ اللهِ ـ الْحَقَّ، وَنَبَذُوا كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ.

وَفِي كِتَابِ اللهِ الْهُدَى وَالشِّفَاءُ فَنَبَذُوهُ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ فَذَمَّهُمُ اللهُ وَمَقَّتَهُمْ وَأَتْعَسَهُمْ فَقَالَ جَلَّ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوٰاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ ﴾[1].

وَقَالَ: ﴿ فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمٰالَهُمْ ﴾[2].

وَقَالَ: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّٰارٍ ﴾[3].

وَصَلَّى اللهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً»[4].

هل كان بمقدور أحد بالأمس أن يعلن حبّه لأهل البيت عليهم السلام ؟!

ولقد أدّىٰ الانحراف في مسار الخلافة بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وعدم خضوع

---

١. سورة القصص (٢٨): ٥٠.
٢. سورة محمّد (٤٧): ٨.
٣. سورة غافر (٤٠): ٣٥.
٤. الاحتجاج: ٢/ ٤٣٥؛ بحار الأنوار: ٢٥/ ١٢٤؛ العيون: ١/ ١٩٨؛ الكافي: ١/ ١٩٨؛ كمال الدين: ٢/ ٦٧٨؛ معاني الأخبار: ٩٨.

الشيعة للحاكمين في توجّهاتهم وسياساتهم المعادية لأهل البيت عليهم السلام إلىٰ مسلسل من الاضطهاد والقهر عانىٰ منه الشيعة علىٰ مدىٰ العصور، وقد وصلت السياسات الظالمة في ملاحقة الشيعة ومطاردتهم لمجرّد حبّهم وولائهم لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله مديات لا تطاق فما بالك بالتعبير عن عقيدتهم.

يكفي أن نتابع تفاصيل المذبحة التي نفذها الملك محمّد خوارزم شاه في أهالي مدينة سبزوار الشيعة والتي نظمها مولانا جلال الدين في كتابه المثنوي تحت عنوان: «حكاية محمّد خوارزمشاه الذي استولىٰ علىٰ مدينة سبزوار التي أهلها جميعاً روافض (شيعة) فطلبوا منه الامان فقال لهم: احضروا لي شخصاً اسمه أبوبكر فأمنحكم الامان[1].

والآن نلاحظ اقامة الاحتفالات الرسميّة لرجال الصوفيّة وهم أعداء الشيعة فيتبارون في القاء الخطب في مركز التشيّع فيقلبون الحقائق والآن لنتأمّل في هذا المقطع:

«هل أن معارضة وتأييد الناس لعلي والحسن والحسين تستند إلىٰ الخصائص الأربع؟ أو انهم كانوا يرون في علي وآله العلم الواسع، والعمل المهذب والقرآن مجسّداً في سيرتهم الانسانيّة حيث يمكن أن يصبحوا مثلهم؟ فأين هذا من ذاك؟ انّ الموضوع هو في إثبات هذه المفاهيم الأربعة...».

في كلّ مجتمع ثمّة أشخاص يصبحون محبوبين بسبب صفاء باطنهم وسلوكهم المهذّب وبشاشة وجوههم وإن كانوا من ناحية المعتقد أقليّة.

---

١. مثنوي، الدفتر الخامس، ٨٦٢.

ومن خلال الاحتكاك مع أفراد المجتمع، فانّه كلّما زاد الاحساس بصدق الفرد أو الجماعة زادت محبوبيّة هذا الفرد أو الجماعة لدى الجميع ولقد عانىٰ علي من الأقصاء والتهميش مدّة ٢٥ سنة امضاها صابراً محتسباً وهو يرىٰ مسار الخلافة قد انحرف بعيداً عن الاسلام فكانت حياته تلك الفترة أمرّ من الموت الزؤام.

فَصَبرتُ وفي العينِ قَذىٰ، وفي الحَلْقِ شَجا»[1].

فهل كانت محبوبيّة عليّ بسبب عمله المهذّب وعلمه العميق والصيرورة مثله؟!

لم يكن الناس يومذاك ليحفلون بالعلم حتّىٰ يعرفوا للعالم قدره ولم يكونوا عارفين بالقرآن حتّى يرون عليّاً قرآناً مجسداً إنّما هذه الخصائص الأربع يعني النصب، النص، الولاية والعصمة للأئمّة المعصومين عليهم السلام كانت مثار الجدل بين معارض وموافق وها أنتم تنبرون إلىٰ تكذيبها اليوم.

لماذا كان الرسول صلى الله عليه وآله محبوباً؟

انّ الناس في صدر الاسلام وقبل تطبيق القرآن في الأمّة الاسلاميّة وحدوث حالة من الادراك للعلوم الوحيانيّة وقبل معرفة رسول الله صلى الله عليه وآله كقرآن مجسّم ومجسّد كانت محبوبيّة رسول الله لدىٰ كلّ من اعتنق الاسلام أمراً مسلّماً.

لماذا؟ لأنّه رسول من الله تعالى، وأنّ الله سبحانه قذف في قلوبهم حب من كان سلوكه وتصرّفه الهياً فجبل حبه في فطرتهم.

﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٣.

٢. سورة آل عمران: ٣١.

واذن فانّ الباعث علىٰ حبّ الناس لرسول الله صلى الله عليه وآله هو لكونه رسولاً من الله تعالى ولا غير.

أجل انّ رسول الله من مزاياه الخلق والأدب والعلم والسيرة التي تجسد القرآن الكريم إلّا انّ مبعث الحب يكمن في رسالته لا في شيء آخر؛ وكلّما زاد حبّ الله في القلب زاد الحب لرسول الله ومن اصطفاهم الله من بين عباده.

وهكذا فان حبّ علي مبعثه هو الاصطفاء الالهي الذي عبّر عنه تكريم الرسول صلى الله عليه وآله له واعلانه إماماً ووصيّاً وخليفة له من بعده، هذا التكريم الذي جاء في صور متعدّدة منهما:

«يا عليّ! أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي»[1].

وقوله صلى الله عليه وآله:

«مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ، وَمُوالاتُهُ مُوالاةُ اللهِ عزّوجلّ أنزلها عليّ»[2].

فنصب علي جاء من قبل الله سبحانه وهذا واضح من خلال قول النبي صلى الله عليه وآله: «أنزلها عليّ».

فالولاية لعلي هي من لدن الله سبحانه وفي هذا يكمن الحبّ للامام عليه السلام بسبب الولاية والسيادة التشريعيّة والامامة «القيادة التشريعيّة»؛ طبعاً ان من مستلزمات الولاية والامامة الخلق الرفيع في السيرة العمليّة وتجسيد القرآن الكريم.

يقول الامام علي عليه السلام في مضمار نصبه للولاية والامامة والخلافة:

«أما وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٣/ ١٠٩ و ٢١٠.

٢. خطبة الغدير.

يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ»[1].

ويكفي قوله عليه السلام: «لقد تقمّصها» للتعبير عن انّ الخلافة لم تكن حقّ فلان لأنّه ليس جديراً بها وأمّا الواقع فانّ كان الامام يخيّر نفسه بين استخدام القوّة في ظرف عصيب قلّ فيه الناصر والظهير وبين الصبر فاختار الصبر.

اذن كان الامام علي عليه السلام يعتبر الخلافة حقّه الطبيعي انطلاقاً من حادثة الغدير وحديث الغدير وقول الرسول صلى الله عليه وآله:

«مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ، وَمُوالاتُهُ مُوالاةُ اللهِ عزّوجلّ أنزلها عليَّ»[2].

وقوله صلى الله عليه وآله:

«فَاعْلَمُوا مَعَاشِرَ النَّاسِ! ذلِكَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيّاً وَإِماماً»[3].

وأحاديث غيرها مشابهة كلّها تؤكّد بصراحة النص على ولاية علي عليه السلام وامامته.

ولقد عانىٰ الامام من الانحراف الذي اعتور مسار الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وتحوّل الولاية «الحكومة التشريعيّة» إلىٰ سلطة (سلطان) وظهور حكومات راحت تحارب عليّاً وأبناء علي.

ومنذ ظهور الاسلام في مكّة جاء حديث الدار ليؤكّد موقع الامام علي بن أبي

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٣.
٢. خطبة الغدير.
٣. خطبة الغدير.

طالب عليه السلام كوزير للنبيّ صلى الله عليه وآله وقد جاء في الحديث الشريف:

«سُمّي الامام إماماً لأنّه قُدوةٌ (أُسوة) للناس منصوبٌ من قِبَل الله تعالى ذكره مفترض الطاعة على العباد»[١].

ولقد أعلن الرسول صلى الله عليه وآله نصبه إماماً في خطبة الغدير:

«قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيّاً وَإِمَاماً...».

وقد جاء عن الامام علي عليه السلام قوله:

«إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّه»[٢].

«لَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوَلَايَةِ وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ»[٣].

«إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُم...»[٤].

«وَ إِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْه»[٥].

«أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيل»[٦].

«قَدْ جَعَلَ اللهُ سبحانهُ لي عَلَيْكُم حَقّاً بِوِلايَةِ أَمْرِكُمْ»[٧].

وكذلك قوله:

«إِنَّ اللهَ جَعَلَنِي إِماماً لِخَلْقِهِ»[٨].

«إِنَّ اللهَ طَهَّرَنَا وَعَصَمَنَا وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَّتَهُ فِي أَرْضِهِ وَجَعَلَنَا

---

١. بحار الأنوار: ٢٥/١٠٤؛ معاني الأخبار: ٦٤.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٥.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ٢.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ٢٩٠.
٥. نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.
٦. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢.
٧. نهج البلاغة، الخطبة ٢١٦.
٨. الكافي: ١/٤١٠؛ بحار الأنوار: ٤٠/٣٣٦.

مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنَ مَعَنَا لا نُفَارِقُهُ وَلا يُفَارِقُنَا»[١].

وقال النبيّ ﷺ في هذا المضمار:

«... وقَدْ أُمَرَنِي رَبِّي أَنْ أَقُومَ فِي هٰذا الْمَشْهَدِ وَأُعْلِمَ كُلَّ أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ، أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخِي، وَوَصِيِّي، وَخَلِيفَتِي، وَالْإِمامُ مِنْ بَعْدِي... فَاعْلَمُوا مَعاشِرَ الناس! فإنَّ اللهَ قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيّاً وَإِماماً... فَإِنّ اللهَ مَولاكُمْ وعليٌّ إمامُكم، ثمّ الامامة في ولدي من صلبه إلىٰ يوم القيامة...»[٢].

وكذلك جاء في الأثر:

وقال النبي ﷺ في الخبر المُجمع عليه علىٰ روايته بين سائر فِرَق المُسلمين:

«أنتَ منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّهُ لا نبيّ بعدي»، فأثبتَ لهُ جميعَ مراتب هارون عن موسىٰ، فاذن هو وزير رسول الله ﷺ، وشادّ أزره ولو لا أنّه خاتم النبيّين لكان شريكاً في أمره[٣].

أجل لعليّ عليه السلام كلّ ما كان للنبي ﷺ إلّا النبوّة.

وهذا ما يفنّد ما يذهب إليه البعض في قوله:

«لم أر حتّىٰ الآن في موضع ما انّ الامام الحسين قد أجاب علىٰ هذا السؤال المهم: من هو الامام؟ فأجاب:

الامام هو المنصوب من الله، الامام هو المنصوب من قبل رسول الله!

أو قوله:

---

١. الكافي: ١/ ١٩١.
٢. خطبة الغدير.
٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد الشافعي: ١٣/ ٢١١.

«انّ هذه المفاهيم (يعني: الامامة والولاية والعصمة) لم ترد علىٰ لسان الأئمّة».

أو قوله:

«انّ هذه النقاط التي تشكل أضلاع مربع يدعىٰ الامامة لدينا يتألّف من العصمة، علم الغيب، النصب الالهي والنص من جانب النبي، نقاط أربع ظهرت من خلال المتكلّمين في حدود القرن الثالث والرابع وكلّما تقادم الزمن اتّسعت و«سمنت» انّ هذه المفاهيم لم ترد علىٰ لسان الأئمّة».

إنّ ما يدلّ بشكل واضح علىٰ انّ الأئمّة من آل الرسول صلى الله عليه وآله منصّبون من قبل الله تعالىٰ الذي اجتباهم واصطفاهم هو قول الله تعالىٰ:

﴿وَجَاهِدُوا فِي ٱللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[1].

وقد جاء في الحديث عن:

«عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَوْلَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ قَالَ: نَحْنُ الْأُمَّةُ الْوَسَطُ وَنَحْنُ شُهَدَاءُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَجُهُ فِي أَرْضِهِ، قُلْتُ: قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ

---

١. سورة الحج (٢٢): ٧٨.

هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ قَالَ: إِيَّانَا عَنَى وَنَحْنُ الْمُجْتَبَوْنَ وَلَمْ يَجْعَلِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ فَالْحَرَجُ أَشَدُّ مِنَ الضِّيقِ «مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ» إِيَّانَا عَنَى خَاصَّةً، «وَسَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ»، اللهُ سَمَّانَا الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ فِي الْكُتُبِ الَّتِي مَضَتْ وَفِي هَذَا الْقُرْآنِ «لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» فَرَسُولُ اللهِ ﷺ الشَّهِيدُ عَلَيْنَا بِمَا بَلَّغَنَا عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَنَحْنُ الشُّهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ فَمَنْ صَدَّقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَّقْنَاهُ وَمَنْ كَذَّبَ كَذَّبْنَاهُ».

انّ من عوامل انعدام الرؤية وغياب البصيرة والحرمان من ادراك الحقيقة هي العدوان وتجاوز الحدود:

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾[١].

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾[٢].

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُون﴾[٣].

﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[٤].

وحينئذٍ يحصل الطبع علىٰ القلوب فلا يعود المرء يدرك شيئاً وتختلط عليه الأُمور:

﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَيَفْقَهُونَ﴾[٥].

﴿وَطَبَعَ ٱللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَيَعْلَمُونَ﴾[٦].

﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَىٰ ٱلأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَي ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُور﴾[٧].

---

١. سورة البقرة (٢): ١٨٧.
٢. سورة البقرة (٢): ٢٢٩.
٣. سورة البقرة (٢): ٢٢٩.
٤. سورة يونس (١٠): ٧٤.
٥. سورة التوبة (٩): ٨٧.
٦. سورة التوبة (٩): ٩٣.
٧. سورة الحج (٢٢): ٤٦.

الفصل الثالث

العصمة أو الخصائص التي تتحقّق
من خلالها إمامة الإمام

نسب إلى المتكلّمين الحديث عن تلك النقاط الأربع والتي بضمنها العصمة فهو ينكرها لأنّها لم ترد على لسان الأئمّة بزعمه وإنّما ظهر الكلام عنها في القرنين الثالث والرابع!

١ ـ ماذا تعني العصمة ؟

العصمة تعني تنزيه الامام عليه السلام من المعصية والخطأ والسهو والنسيان فهل انّ العصمة كمال نسبه المتكلّمون إلى رسول الله وآله صلوات الله عليهم أجمعين ؟!

أم أنّ الله تبارك وتعالىٰ هو الذي وهبهم هذه المرتبة ؟

ماذا تعني هذه الآية الكريمة وما هو مدلولها ؟

﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ

مِنْكُمْ﴾[١].

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٢].

انّ الايمان بعصمة الله عزّوجلّ ورسوله من الخطأ والسهو والنسيان يستلزم الايمان بعصمة أولي الأمر حيث ورد الأمر بالطاعة لهم في سياق الطاعة لله عزّوجلّ والطاعة للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

والتكذيب بعصمة أولي الأمر يعني عدم الايمان بعصمة الله ورسوله، فلقد ورد وجوب الطاعة لله وللرسول ولأولي الأمر في سياق واحد.

وقد جاء في الأثر «لا طاعة في معصية الله» الأمر الذي يعني انّ الطاعة تجب فقط لفرد أو أفراد يتحقّق من خلالهم تطبيق النظام التشريعي الالهي حيث لا يجوز عليهم العصيان والخطأ والنسيان.

انّ معصية الله عزّوجلّ حتّى لو حصلت خطأ تعني القيام بفعل يعارض مسار النظام التشريعي.

من أجل ذلك طهّر الله أهل البيت من الرجس تطهيراً.

ومن أجل ذلك قال مولانا أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

«إِنَّ اللهَ طَهَّرَنَا وَعَصَمَنَا وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَّتَهُ فِي أَرْضِهِ وَجَعَلَنَا مَعَ الْقُرْآنِ وَ الْقُرْآنَ مَعَنَا لا نُفَارِقُهُ وَلا يُفَارِقُنَا»[٣].

أو:

---

١. سورة النساء (٤): ٥٩.
٢. سورة الأحزاب (٣٣): ٣٣.
٣. الكافي: ١/١٩١.

«عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: وَالْإِمَامُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْإِمَامَةِ لَهُ عَلَامَاتٌ فَمِنْهَا أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنَ الذُّنُوبِ كُلِّهَا صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا لا يَزِلُّ فِي الْفُتْيَا وَلا يُخْطِئُ فِي الْجَوَابِ وَلا يَسْهُو وَلا يَنْسَى وَلا يَلْهُو بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا»[1].

فالعصمة شرط لازم في الامامة لا تتحقّق إلّا به.

﴿ وَإِذْ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

من أجل هذا لا تنال عهد الله (الامامة) الظالمين ما يدلّ علىٰ عصمة الامام.

وقد أوردنا فيما مضىٰ ما قاله الامام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في توصيف الامام (القائد التشريعي):

«الْإِمَامُ الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمُبَرَّأُ عَنِ الْعُيُوبِ الْمَخْصُوصُ بِالْعِلْمِ الْمَوْسُومُ بِالْحِلْمِ نِظَامُ الدِّينِ وَعِزُّ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْظُ الْمُنَافِقِينَ وَبَوَارُ الْكَافِرِينَ»[3].

الأمر الذي يفنّد ما ذهب إليه من يقول:

«إنّ هذه المفاهيم (الامامة والولاية والعصمة) لم ترد علىٰ لسان الأئمّة».

لقد بحثنا فيما مضىٰ الامامة والولاية (الفصل الأوّل).

---

١. بحار الأنوار: ٢٥ / ١٦٤؛ كمال الدين: ١ / ١٠٨.

٢. سورة البقرة (٢): ١٢٤.

٣. الاحتجاج: ٢ / ٤٣٥؛ بحار الأنوار: ٢٥ / ١٢٤؛ العيون: ١ / ١٩٨؛ الكافي: ١ / ١٩٨؛ كمال الدين: ٢ / ٦٧٨؛ معاني الأخبار: ٩٨.

امّا ما يذهب إليه الغزالي في الامامة والامام والجواب عنه:

«الأصل السابع أنّ الامام الحق بعد رسول الله ﷺ أبوبكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان، ثمّ علي ولم يكن نصّ رسول الله ﷺ على إمام أصلاً؛ إذ لو كان لكان أولىٰ بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود في البلاد، ولم يخف ذلك، فكيف خفي هذا؟!

وإن ظهر فكيف اندرس حتّى لم ينقل إلينا؟

فلم يكن أبوبكر إماماً إلّا بالاختيار والبيعة.

وأمّا تقدير النص علىٰ غيره فهو نسبة الصحابة كلّهم إلىٰ مخالفة رسول الله ﷺ، وخرق الاجماع، وذلك ممّا لا يستجرئ على اختراعه إلّا الروافض، واعتقاد أهل السنّة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ وما جرى بين معاوية وعلي كان مبنيّاً على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الامامة، إذ ظنّ علي عليه السلام أنّ تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدّي إلىٰ اضطراب أمر الأُمّة في بدايتها، فرآىٰ التأخير أصوب، وظنّ معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالأئمّة ويعرض الدماء للسفك وقد قال أفاضل العلماء:

كلّ مجتهد مصيب، وقال القائلون: المصيب واحد، ولم يذهب إلىٰ تخطئة عليّ ذو تحصيل أصلاً»[1].

---

١. احياء العلوم: ٢/ ٢٠١.

وينطوي هذا النص علىٰ نقاط تنقضه فالغزالي يذهب إلىٰ:

١ ـ أنّ النبي ﷺ لم ينصّ علىٰ إمام من بعده ولو كان هناك نص لكان أولىٰ بالظهور من نصبه الولاة والقادة والأمراء.

٢ ـ ويذهب أيضاً إلىٰ أنّه لو كان هناك نص علىٰ إمام بعده، يعني انّنا ننسب المخالفة إلىٰ جميع الصحابة وبالتالي خرق الاجماع.

٣ ـ انّ أبابكر لم يكن إماماً إلّا بالانتخاب والبيعة.

الف. لو افترضنا صحّة القول بأنّ النبي ﷺ لم ينص علىٰ إمام وخليفة من بعده مع التأكيد علىٰ أنّ هذا الأمر أهم بكثير من تعيين قادة الجنود والولاة وكان النبي ﷺ يقوم بذلك باستمرار ان هذا يعني تقصير من النبي ﷺ في مسألة مصيريّة غاية في الأهميّة والخطورة، كيف يمكن أن نتصوّر اهمال النبي ﷺ لهذا الأمر؟!

ب. ولو افترضنا صحّة عدم وجود نص علىٰ امام في نظام التشريع يعني انتخاب شخص يقود الأمّة بعده، فكيف يهتمّ النبي ﷺ في أمر تعيين قادة الجند والولاة ويهمل موضوعاً بهذه الخطورة وهو قيادة أُمّته بعد رحيله؟!

وهذا كتاب الله عزّوجلّ يقول علىٰ لسانه:

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾[1].

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[2].

ان هذا يعني عدم اتمام الدين واكمال نظام التشريع فكيف ينسجم هذا مع قول الله عزّوجلّ:

---

١. سورة الاحقاف (٤٦): ٩.
٢. سورة النجم (٥٣): ٣ ـ ٤.

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلاَمَ دِيناً ﴾[١].

انّ القول بعدم إكمال الدين تكذيب لكتاب الله وكفر محض.

واذن لا مناص من القول بتعيين إمام الذي هو جزء من برنامج النظام التشريعي.

والحديث عن عدم تعيين النبي ﷺ لأحد إماماً وخليفة من بعده يعني اتّهام النبي ﷺ بالتقصير في تطبيق أحد أهم فقرات هذا النظام التشريعي الذي صمّمه الله عزّوجلّ لعباده ونسبة مخالفة النبي ﷺ لله تعالىٰ وبطلان هذا الأمر أظهر من الشمس في رابعة النهار.

وفي حالة عدم صحّة نسبة مخالفة الصحابة للرسول فهل تصحّ نسبة مخالفة الرسول الأكرم ﷺ لله عزّوجلّ وعدم امتثاله الأمر الالهي؟!

وهل أنّ الصحابة جميعهم عدول أتقياء طاهرون في حين انّ النقاء والطهر من مستلزمات حامل علم الكتاب والأمين علىٰ الرسالة ومن نصب للامامة من قبل الله عزّوجلّ وهو أمر منحصر في رسول الله وآله صلوات الله عليهم.

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[٢].

ولم يعرّف أحد من الصحابة بهذا التطهير الالهي، ولا يوجد من الصحابة كمحمّد وآله صلوات الله عليهم كان محلّاً للتمجيد والتكريم من لدن الله عزّوجلّ.

انّ الامامة لا يمكن أن تتحقّق وتستقى إلّا في المحل الذي تستقر فيه الولاية.

---

١. سورة المائدة (٥): ٣.
٢. سورة الأحزاب (٣٣): ٣٣.

فأين محلّ استقرار الولاية؟

انّ الله عزّوجلّ عيّن هذا المحل في قوله تبارك وتعالىٰ:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1].

ومعروف دلالة «إنّما» فهي تفيد الحصر العام في الموارد الواردة في النص المقدّس فقط.

وقد اتّفق الفريقان علىٰ شأن نزول الآية الكريمة وانّها نزلت في حقّ علي عليه السلام وهذه التفاسير تشهد علىٰ ذلك فعلى سبيل المثال:

«وانّها نزلت في علي عليه السلام حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه...

فإن قلت: كيف صحّ أن يكون لعليّ عليه السلام واللفظ لفظ جماعة؟

قلت: جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً، ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه، ولينبّه على أن سجيّة المؤمنين يجب أن تكون علىٰ هذه الغاية من الحرص على البرّ والاحسان وتفقّد الفقراء...»[2].

وقد بدأ العدوان علىٰ هذا المفهوم «الولاية العامّة» ومحاولة ابتلاعها من خلال الصاق الاضافات وتحطيم هذا السور علىٰ عادة المتصوّفة في التجاوز على الحدود الالهيّة والذي يفضي إلى الطبع علىٰ قلوب المعتدين.

---

١. سورة المائدة (٥): ٥٥.

٢. تفسير الكشّاف للزمخشري: ١/ ٦٤٩.

﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[١].

ولا مفرّ من أنّ الامامة منذ البداية غير قابلة للتحقّق إلّا في علي والأئمّة من ذريّته الذين لا يشاركهم أحد في الولاية ومع هذه التوصيفات هل يمكن انتخاب الامام من قبل الناس (علىٰ فرض انّه حصلت عمليّة انتخاب إنّما هو مجرّد ادّعاء) لكي يتّصف بصفة الحق فيكون إماماً بالحق؟! كما يقول الغزالي:

«الأصل السابع أنّ الامام الحق بعد رسول الله ﷺ ابوبكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان، ثمّ علي».

ذلك انّ الامامة بالحق يجب أن تتطابق تماماً في الموصوف كإمام بالحق يعني تطابق صفات الامام المنتخب من قبل الناس مع ما ورد من تعريف للامامة والامامة في النظام التشريعي، من حيث توصيفات الكمال.

انّ الامامة تعني الاستمرار في انتهاج طريق النبي ﷺ وهذه المسؤوليّة لا يمكن أن يتحمّلها أو يحملها وينهض بها إلّا فرد يتمتّع بمثل خصائص الرسول الأكرم ﷺ هذه الخصائص التي لا يطلع عليها إلّا اللطيف الخبير.

فلا مناص من الاذعان بأنّ الامامة كالرسالة وانتخاب وتعيين الامام هي من اختصاصات الله عزّوجلّ كما النبوّة والله سبحانه يصطفي من يشاء من عباده لحمل مسؤوليّة الرسالة وكذا تحمل أعباء الامامة.

وأن أيّ تدخّل بشري في هذه القضيّة الخطيرة هو تدخّل في شؤون النظام التشريعي وهو شرك محض.

---

١. سورة يونس (١٠): ٧٤.

قال الله عزّوجلّ في محكم كتابه يخاطب سيّدنا إبراهيم الخليل بعد امتحانه بالكلمات:

﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

وقال عزّوجلّ:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[2].

فالامامة عهد الهي ولهذا قال عزّوجلّ: «لا ينال عهدي الظالمين».

ومن هنا يتّضح انّ الامامة لا يمكن أن تحصل بالانتخاب البشري، وأن انتخاب شخص من قبل الناس باعتباره إماماً هو شرك.

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

ولهذا فانّ الناس أو معظم الناس يعانون من هذا اللون من الشرك.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُونَ﴾.

وقد طهّر الله عزّوجلّ رسوله وأهل بيته ورسوله من هذا اللوث وهذا الرجس:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[3].

ومن الأدلّة علىٰ طهر ونقاء أهل البيت عليهم السلام هو تكريمهم من لدن الله عزّوجلّ بالصلاة عليهم مع كلّ صلاة علىٰ رسوله الذي هو جزء من أجزاء فريضة الصلاة اليوميّة.

---

١. سورة البقرة (٢): ١٢٤.
٢. سورة الأنبياء (٢١): ٧٣.
٣. سورة الأحزاب (٣٣): ٣٣.

ولا تقبل الصلاة المفروضة اليوميّة إلّا بالصلاة علىٰ محمّد وآله بعد التشهّد وهذا ممّا يتّفق عليه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها.

ولهذا فان بعض الذين يتحدّث عنهم الغزالي كأئمّة بالحق قد أمضوا شطراً من حياتهم قبل الاسلام مستغرقين في الشرك من قبيل أبي بكر الذي أمضىٰ زهاء نصف قرن من عمره في حياة الشرك والوثنيّة.

ومن المستحيل أن ينال العهد الالهي الذي هو الامامة بصريح الآية الظالمين، لأنّ الشرك لظلم عظيم.

من أجل لا يمكن أن يكون الانتخاب البشري مؤدّياً إلى الامام الحق وإنّما حصل ذلك بعد غياب النبي ﷺ بالقوّة والقهر السياسي ولم يكن أيضاً بالاختيار والبيعة أيضاً كما يقول الغزالي:

«فلم يكن أبوبكر إماماً إلّا بالاختيار والبيعة».

وهذا ابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي يروي قصّة خلافة أبي بكر ويصف المشهد العام لتلك الظروف قائلاً:

«عَلِيٌّ وَبَعْضُ بَنِي هَاشِمٍ مُشْتَغِلُونَ بِإِعْدَادِ جَهَازِهِ وَغُسْلِهِ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِعَلِيٍّ وَهُمَا فِي الدَّارِ: امْدُدْ يَدَكَ أُبَايِعْكَ، فَيَقُولَ النَّاسُ: عَمُّ رَسُولِ اللهِ بَايَعَ ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ فَلا يَخْتَلِفَ عَلَيْكَ اثْنَانِ، فَقَالَ لَهُ عليّ: أَوَ يَطْمَعُ يَا عَمِّ فِيهَا طَامِعٌ غَيْرِي؟!

قَالَ: سَتَعْلَمُ؛ فَلَمْ يَلْبَثَا أَنْ جَاءَتْهُمَا الْأَخْبَارُ بِأَنَّ الْأَنْصَارَ أَقْعَدَتْ سَعْداً لِتُبَايِعَهُ، وَأَنَّ عُمَرَ جَاءَ بِأَبِي بَكْرٍ فَبَايَعَهُ وَسَبَقَ الْأَنْصَارُ بِالْبَيْعَةِ؛ فَنَدِمَ عَلِيٌّ عليه السلام عَلَى

تَفْرِيطِهِ فِي أَمْرِ الْبَيْعَةِ وَتَقَاعُدِهِ عَنْهَا»[١].

وهذا النص التاريخي يفند ما يذهب إليه الغزالي في قوله:

«ولم يكن نصّ رسول الله ﷺ على إمام أصلاً، إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأُمراء على الجنود في البلاد، ولم يخف ذلك، فكيف خفي هذا؟! وإن ظهر فكيف اندرس حتّى لم ينقل إلينا؟»[٢].

انّ حقيقة النص بالامامة والولاية لعلي عليه السلام ونصب الرسول الأكرم ﷺ له في هذا المقام لدى عودته من حجّة الوداع وتوقّفه في وادي غدير خم لا يمكن أن تخفىٰ علىٰ من هو في مستوى الغزالي.

ذلك انّ هذا الخبر من الروايات المتواترة والأخبار الظاهرة التي تزخر بها كتب الحديث لدى الجميع.

ولكنّها السياسة والتي انتهجها الحاكمون علىٰ مرّ العصور سواءً العرب منهم والفرس والترك وكلّ يدّعي خلافة الرسول وأنّه ولي أمر المسلمين وأميرالمؤمنين، وكان وعّاظ السلاطين يرسخون هذه الأُمور في اذهان الجماهير باستمرار.

لهذا كان هؤلاء يعملون علىٰ اخفاء الحقائق حتّى بلغ بهم الأمر إلىٰ محاولة طمس ما جرىٰ من فظائع وفجائع في كربلاء.

وحتّىٰ بعد أن استغلّ العبّاسيّون هذه الواقعة وراحوا يعبئون الجماهير ضد بني

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ١٦٠.

٢. احياء العلوم: ٢/ ٢٠١.

أُميّة باسم الدفاع عن أهل البيت عليهم السلام حتّى هؤلاء لما أطاحوا بالنظام الأموي الغاشم راحوا يرتكبون المذابح بحق أهل البيت وأتباعهم حتّى قال الشاعر:

يا ليت جور بني مروان دام لنا ... وليت عدل بني العبّاس في النار

ومع وضوح هذه المأساة لدى الرأي العام الاسلامي فان خلفاء بني أُميّة وملوك بني العبّاس وسلاطين آل عثمان وإيران ما انفكوا يعملون علىٰ اخفاء هذه الفاجعة عن جماهير الأمّة، بحيث يصل الأمر بالغزالي إلى القول:

«فان قيل: هل يجوز لعن يزيد، لأنّه قاتل الحسين أو أمر به، قُلنا: هذا لم يثبت أصلاً، فلا يجوز أن يقال إنّه قتله أو أمر به ما لم يثبت، فضلاً عن اللعنة، لأنّه لا تجوز نسبة مسلم إلىٰ كبيرة من غير تحقيق».

فهل تخفىٰ مثل هذه المأساة علىٰ أحد وهذه المدوّنات التاريخيّة تصل في حديثها عمّا جرىٰ في كربلاء إلى التفاصيل، بدءً من مصرع مسلم بن عقيل في الكوفة وانتهاء بالمأساة وسبي آل النبي والتشهير بهم في المدن!

بعد كلّ هذا يأتي الغزالي ليقول عن «قتل الحسين بن علي بن أبي طالب ومن معه من أهل بيته وشيعته»[1].

«هذا لم يثبت أصلاً» لماذا؟ لأن سياسات الحاكمين تقوم على اطفاء هذه الحقيقة ولقد بدأت سياسات الاخفاء في وقت مكبّر من تاريخ الاسلام وكانت البداية اخفاء حقيقة ما جرىٰ في حجّة الوداع ونزول آية البلاغ واعلان النبي صلى الله عليه وآله عن إمامة وولاية علي عليه السلام.

---

١. مروج الذهب: ٣/ ٥٤.

والطبري أبو جعفر محمّد بن جرير من مشاهير المورّخين وله مؤلّفات في التفسير والحديث والفقه وكان يعد إماماً في زمانه ولد سنة ٢٢٤ هـ في مدينة آمل في اقليم طبرستان (شمال إيران) وتوفّي سنة ٣١٠ هـ في بغداد، اشتهر بتاريخه (تاريخ الأُمم والملل) المعروف بـ«تاريخ الطبري» الذي يستعرض فيه التاريخ البشري من خلق آدم إلىٰ سنة ٣٠٢ هـ.

وأمّا الغزالي الملقّب بحجّة الاسلام فقد ولد في طوس شمال شرق إيران سنة ٤٥٠ هـ وسافر إلىٰ بغداد سنة ٤٨٠ هـ وأصبح مدرّساً في المدرسة النظاميّة عشر سنين.

ثمّ عاد بعدها إلىٰ موطنه ليدرس مدّة في المدرسة النظاميّة في نيسابور، ثمّ عاد إلىٰ مسقط رأسه «طوس» فبنىٰ فيها «خانقاه» ومدرسة وانصرف إلى العبادة والتدريس حتّى الرابع عشر من جمادي الآخرة سنة ٥٠٥ هـ وهو تاريخ وفاته اشتهر بكتابه احياء علوم الدين.

ومن العجيب أن يقول:

«ولم يكن نصّ رسول الله ﷺ على إمام أصلاً، إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود في البلاد، ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا؟! وإن ظهر فكيف اندرس حتّى لم ينقل إلينا»[1].

وكذلك محيي الدين ابن العربي:

وهو أبوبكر محي الدين علي حاتمي طائي أندلسي، أحد أبرز عظماء وحكماء الصوفيّة ولد في مرسية سنة ٥٦٠ هـ، سافر في سن الثامنة إلىٰ اشبيليّة ودرس مع

---

١. احياء العلوم: ٢/ ٢٠١.

أقرانه وأترابه مقدّمات العلوم وبعدها تتلمذ علىٰ أيدي علماء كبار من قبيل ابـن بشكوال في سنة ٥٩٠ هـ سافر إلىٰ تونس ثمّ سافر إلىٰ الشرق في سنة ٥٩٨ هـ وأقام هناك وفي هذا العام وفق لزيارة حجّ بيت الله الحرام ثمّ مرّتين احداهما في سنة ٦٠١ هـ والأخرىٰ سنة ٦٠٨ هـ، سافر إلىٰ بغداد وأقام فيها مدّة قصيرة وفي ٦١١ هـ حجّ مرّة أُخرىٰ، في ٦١٢ هـ سافر إلىٰ حلب ومنها إلىٰ الموصل وآسيا الصغرىٰ، وكان مقدماً لدى سلاطينها، خصصت له رواتب وأجريت عليه العطايا والهدايـا فكان يهبها إلى الفقراء، توفّي في دمشق سنة ٦٣٨ وقبره في سفوح جبل قاسيون مشهور ومعروف، اشتهر في المشرق بلقب «الشيخ الأكبر».

ولمحيي الدين كتب ومؤلّفات عديدة تناهز المئتين وما يزال حتّى الآن مـن مراجع أصحاب الطريقة وأعلامها وأشـهر كـتبه «الفـتوحات المكـيّة» وكـتاب فصوص الحكم.

وابن عربي مع كلّ ما جرىٰ من حوادث من خطبة الرسول ﷺ في غدير خم واعلان النبي ﷺ ولاية علي يقول في نصوصه:

«مات رسول الله ﷺ وما نصّ بخلافة عنه إلى أحد ولا عـيّنه... ولم يـحجر الأمر»[1].

ومن المؤكّد انّ صلات الحاكمين والسلاطين وما كانوا يغدقونه على الغزالي وابن عربي هي من وراء انكار هذه الحقيقة الساطعة؛ ويطري الغزالي علىٰ معاوية ويقول بتزكية جميع الصحابة دون استثناء:

«واعتقاد أهل السنّة تزكية جميع الصحابة والثـناء عـليهم كـما أثـنى الله

---

١. فصوص الحكم: ٢٧٣.

سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ وما جرىٰ بين معاوية وعليّ كان مبنيّاً على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الامامة...».

معاوية لدى الغزالي من الصحابة العدول باعتباره صحابيّاً بالرغم عن كلّ الجرائم التي ارتكبها والدماء التي سفكها وبالرغم من استيلائه على الخلافة بقوّة الحديد والنار وتحويلها إلىٰ ملك يورثه الآباء إلىٰ الأبناء.

معاوية الذي سعىٰ جاهداً إلىٰ طمس مناقب أميرالمؤمنين علي عليه السلام بكلّ ما أوتي من امكانات.

وهذا ابن أبي الحديد الشافعي المعتزلي يقف حائراً أمام مجد أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قائلاً:

«وَ مَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ أَقَرَّ لَهُ أَعْدَاؤُهُ وَخُصُومُهُ بِالْفَضْلِ، وَلَمْ يُمْكِنْهُمْ جَحْدُ مَنَاقِبِهِ، وَلا كِتْمَانُ فَضْلِهِ، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَوْلَى بَنُو أُمَيَّةَ عَلَى سُلْطَانِ الإِسْلامِ فِي شَرْقِ الأَرْضِ وَغَرْبِهَا، وَاجْتَهَدُوا بِكُلِّ حِيلَةٍ فِي إِطْفَاءِ نُورِهِ، وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهِ، وَوَضْعِ الْمَعَايِبِ وَالْمَثَالِبِ (العيوب) لَهُ، وَلَعَنُوهُ عَلَى جَمِيعِ الْمَنَابِرِ، وَتَوَعَّدُوا مَادِحِيهِ، بَلْ حَبَسُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ، وَمَنَعُوا مِنْ رِوَايَةِ حَدِيثٍ يَتَضَمَّنُ لَهُ فَضِيلَةً، أَوْ يَرْفَعُ لَهُ ذِكْراً، حَتَّى حَظَرُوا أَنْ يُسَمَّى أَحَدٌ بِاسْمِهِ...».

إلّا أنّ الغزالي يقول في الصراع الذي دار بين علي ومعاوية والحرب المدمّرة في صفّين:

«وما جرىٰ بين معاوية وعليّ كان مبنيّاً على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الامامة...».

فيبرر لمعاوية اجرامه وسفكه للدماء بأنّه قد اجتهد!!

انّ هذا الكلام الفارغ لا يعكس سوىٰ مدى الحقد الذي يكنه الغزالي ازاء الامام علي عليه السلام.

كلّ ما فعله معاوية من موبقات وكلّ ما سفكه من الدماء وسبّه للامام عليه السلام عشرات السنين في مدن وحواضر الاسلام ومن فوق المنابر كلّ هذا ومعاوية لم يكن ينازع الامام علي عليه السلام في الامامة!

هذا الكلام الذي يضحك الثكلى ولكنّه في الحقيقة يدمي القلوب.

الغزالي ينسىٰ كلّ ذلك وما فعله بنو أميّة في عهد يزيد وخلافته التي مهد لها معاوية بكلّ ما لديه من إمكانات.

«فكان معاوية أوّل من بايع ليزيد ابنه بولاية العهد... وأنفذت الكتب ببيعة يزيد إلى الأمصار، وكتب معاوية إلىٰ مروان بن حكم ـ وكان عامله على المدينة ـ يعلمه باختياره يزيد، ومبايعته إيّاه بولاية العهد، ويأمره بمبايعته، وأخذ البيعة له علىٰ من قبله...»[1].

كيف يسوّغ الغزالي لنفسه أن يقول ان كلّ ما حدث وكان بسبب اجتهاد حول مسائل فقهية وأنّ معاوية لم ينازع عليّاً في الامامة!!

ثمّة رسائل متبادلة بين معاوية ومحمّد بن أبي بكر الخليفة الأوّل، ومحمّد كان والياً علىٰ مصر من قبل عليّ عليه السلام وكان معاوية يتوعده بالويل والثبور وخلال هذه الرسائل تنكشف حقائق كثيرة حول ما حدث بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وحدوث «أوّل فلتة» في تاريخ الاسلام.

---

١. مروج الذهب للمسعودي: ٣/٢٨.

رسالة محمّد بن أبي بكر إلىٰ معاوية

«مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ إِلَى الغاوي مُعَاوِيَةَ بْنِ صَخْر.

سَلامٌ عَلَى أَهْلِ طَاعَةِ اللهِ مِمَّنْ هُوَ سَلَّمَ لأَهْلِ وَلايَةِ اللهِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ اللهَ بِجَلالِهِ وَعَظَمَتِهِ وَسُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ، خَلَقَ خَلْقاً بِلا عَبَثٍ مِنْهُ وَلا ضَعْفٍ فِي قُوَّةٍ، لا حَاجَةٍ بِهِ خَلقِهِمْ، وَلَكِنَّهُ خَلَقَهُمْ عَبِيداً، وَجَعَلَ مِنْهُمْ شَقِيّاً وَسَعِيداً وَغَوِيّاً وَرَشِيداً، ثُمَّ اخْتَارَهُمْ عَلَى عِلْمِهِ، فَاصْطَفَىٰ وَانْتَخَبَ مِنْهُمْ مُحَمَّداً ﷺ فَاخْتَصَّهُ بِرِسَالاتِهِ، وَاخْتارَهُ لِوَحْيِهِ، وَائْتَمَنَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَبَعَثَهُ رَسُولاً (وَمُبشّراً ونَذيراً وَوَكيلاً مروج الذهب)، مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكُتُبِ، وَدَلِيلاً على الشرائع، فدَعا إلىٰ سبيلِ أمرِهِ بالحكمةِ والموعِظَةِ الحَسَنَةِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَجَابَ وَأَنَابَ وَصَدَّقَ فَأَسْلَمَ وَسَلَّمَ، أَخُوهُ وَابْنُ عَمِّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَصَدَّقَهُ بِالْغَيْبِ الْمَكْتُومِ، وَآثَرَهُ عَلَى كُلِّ حَمِيمٍ، وَوَقَاهُ كُلَّ هَوْلٍ، وَوَاسَاهُ بِنَفْسِهِ فِي كُلِّ خَوْفٍ، حَارَبَ حَرْبَهُ، وَسَالَمَ سِلْمَهُ، فَلَمْ يَبرَحْ مُبتذِلاً لِنَفْسَهِ فِي سَاعَاتِ الأَزل (يعني: الشدّة والضيق) وَمقامات الروع، حتّىٰ برّز سابقاً لا نظير لهُ في جهاده (فيمن اتّبعه، مروج الذهب) وَلا مُقَارِبَ لَهُ فِي فِعْلِهِ».

«وَقَدْ رَأَيْتُكَ وَ أَنْتَ أَنْتَ وَهُوَ هُوَ الْمُبَرِّزُ فِي كلّ خير؛ أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلاماً، وَأَصْدَقُ النَّاسِ نِيَّةً، وَأَطْيَبُ النَّاسِ ذُرِّيَّةً، وَأَفْضَلُ (خَيرُ) النَّاسِ زَوْجَةً، وخَيرُ (أفضلُ) الناس ابْنُ عَمّ (وَأَخُوهُ الشَّارِي بِنَفْسِهِ يَوْمَ مُوتَةَ، وَعَمُّهُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَأَبُوهُ الذَّابُّ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ حَوْزَتِهِ مروج الذهب).

وَأَنْتَ اللَّعِينُ بْنُ اللَّعِينِ، لَمْ تَزَلْ أَنْتَ وَأَبُوكَ تَبْغِيَانِ لِدين الله الْغَوَائِلَ، وَتَجْهَدَانِ عَلَى إِطْفَاءِ نُورِ اللهِ، وَتَجْمَعَانِ عَلىٰ ذلِكَ الْجُمُوعَ، وَتَبْذُلانِ فِيهِ الْمَالَ، وَتُحالفان في ذلك القبائل، على هذا ماتَ أبوك وَعَلَى ذَلِكَ خَلَفْتَهُ، وَالشَّاهِدُ عَلَيْكَ بِذلِكَ مَنْ يَأْوِي وَ يَلْجَأُ إِلَيْكَ، مِنْ بَقِيَّةِ الْأَحْزَابِ وَرُءُوسِ النِّفَاقِ وَالشِّقَاقِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَالشَّاهِدُ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام مَعَ فَضْلِهِ وَسَابِقَتِهِ الْقَدِيمَةِ أَنْصَارُهُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ تَعالىٰ فِي الْقُرْآنِ، فَفَضَّلَهُمْ وَأَثْنَى اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَهُمْ مَعَهُ كَتَائِبُ وَعَصَائِبُ حَوْلِهِ بِأَسْيَافِهِمْ، ويُهريقُونَ دِمائهم دونهُ، يرَونَ الفَضلَ (الحقّ) في أتباعه، والشقاق والعصيان في خلافه.

فَكَيْفَ يَا لَكَ الْوَيْلُ! تَعْدِلُ نَفْسَكَ بِعَلِيٍّ، وَهُوَ وارِثُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَوَصِيُّهُ وَأَبُو وُلْدِهِ، وَأَوَّلُ النَّاسِ لَهُ اتِّبَاعاً، وَآخِرُهُمْ بِهِ عَهْداً، يُخْبِرُهُ بِسِرِّهِ، وَيُشْرِكُهُ فِي أَمْرِهِ.

وَأَنْتَ عَدُوُّهُ وَ ابْنُ عَدُوِّهِ، مَا اسْتَطَعْتَ بِبَاطِلِكَ، وَلْيَمُدَّكَ ابْنُ الْعَاصَ فِي غَوَايَتِكَ، فَكَأَنَّ أَجَلَكَ قَدِ انْقَضَى، وَكَيْدَكَ قَدْ وَهَى، وَسَوفَ تَسْتَبِينُ لِمَنْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ الْعُلْيَا.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تُكَايِدُ رَبَّكَ الَّذِي قَدْ أَمِنْتَ كَيْدَهُ، وَآيَسْتَ مِنْ رَوْحِهِ، وَهُوَ لَكَ بِالْمِرْصَادِ، وَأَنْتَ مِنْهُ فِي غُرُورٍ بِاللهِ وَبِأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِهِ عَنْكَ الْغَنَاءُ! وَالسَّلامُ عَلىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدىٰ.

رسالة معاوية الجوابيّة

مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى الزَّارِي عَلَى أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ.

سَلامُ الله علىٰ أهل طاعهِ الله.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ أتاني كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ مَا اللهُ أَهْلُهُ في (عظمته) وَقُدْرَتِهِ وَسُلطانِهِ، وَ مَا أَصْفىٰ بِهِ نَبيَّهُ (رسول الله ﷺ) مَعَ كَلامٍ أَلَّفْتَهُ وَوَضَعْتَهُ كَثيرٍ لِرَأْيِكَ فِيهِ تَضْعِيفٌ (مع كلامٍ كثير، لكَ فيه تضعيفٌ) وَلِأَبِيكَ فِيهِ تَعْنِيفٌ وَذَكَرْتَ فيه حقّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدِيمَ سَوَابِقِهِ، وَقَرَابَتَهُ إلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ (وَنُصْرَتَهُ لَهُ) وَمُوَاسَاتَهُ إِيَّاهُ، فِي كُلِّ خَوْفٍ وَهَوْلٍ، وَاحْتِجَاجُكَ عَلَيَّ وَفَخرك (وَعَيْبَكَ لِي مروج الذهب) بِفَضْلِ غَيْرِكَ لا بِفَضْلِكَ.

فَأَحْمَدُ إلهاً صَرَفَ ذَلِكَ الْفَضْلَ عَنْكَ وَجَعَلَهُ لِغَيْرِكَ.

فَقَدْ كُنَّا وَأَبُوكَ (فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحقّه مروج الذهب) مَعَنَا فِي حَيَاةِ نَبِيِّنَا، نَرَى حَقَّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ لازِماً لَنَا (مبروراً علينا مروج الذهب) وَفَضْلَهُ مُبْرَزاً عَلَيْنَا، فَلَمّا اخْتَارَ اللهُ لِنَبِيِّهِ مَا عِنْدَهُ، وَأَتَمَّ لَهُ وَعْدَهُ، وَأَظْهَرَ دَعْوَتَهُ، وَأَفْلَجَ (أبلجَ) حُجَّتَهُ، قَبَضَهُ اللهُ إِلَيْهِ، فَكَانَ أَبُوكَ وَفَارُوقُهُ أَوَّلَ مَنِ ابْتَزَّهُ (حَقَّهُ) وَخَالَفَاهُ (علىٰ أَمْرِهِ) عَلَى ذَلِكَ اتَّفَقَا وَاتَّسَقَا، ثُمَّ (انّهما) دَعَوَاهُ إلىٰ نفسهما (بَيْعَتِهِمَا فَأَبْطَأَ عَنْهُمَا، وَتَلَكَّأَ عَلَيْهِمَا، فَهَمَّا بِهِ الْهُمُومَ، وَأَرَادَا بِهِ الْعَظِيمَ، فَبايعهما (ثُمَّ إِنَّهُ بَايَعَ لَهُمَا) وَسَلَّمَ لَهما (وأقاما) لا يُشْرِكَانَهُ فِي أَمْرِهِمَا، وَلَمْ يُطْلِعَاهُ عَلَى سِرِّهِمَا، حَتَّى (قُبِضَهُما اللهُ) قُبضا وانقضىٰ أمرهما.

ثُمَّ أَقَامَ بَعْدَهُمَا ثَالِثُهُمَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ يَهتَدي بِهَدْيِهِمَا وَيسير بسيرتهما (سار بسيرهما)، فَعِبْتَهُ أَنْتَ وَصَاحِبُكَ، حَتَّى طَمِعَ فِيهِ الْأَقَاصِي مِنْ أَهْلِ

الْمَعَاصِي، (فَطلبتما الغوائل وَأَظْهَرْتُمَا عداوتكما فيهِ حَتَّى بَلَغْتُمَا مِنهُ مُنَاكُمَا) وبَطنتُما لهُ وظهرتُما وَكَشَفتُما لهُ عداوتكما وغلّكُما، حتّى بلغتما منه مناكما.

فَخُذْ حِذْرَكَ يَا ابْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَتَرَى وَبَالَ أَمْرِكَ، وَقِسْ شِبْرَكَ بِفَتْرِكَ، تقصر عن أن تساوي أو تُوَازِي مَنْ يَزِن الْجِبَالَ حِلْمَهُ (بحلمه)، وَلا تَلِينُ علىٰ قصر قناته، وَلا يدرك ذو مدىً أناته، أَبُوكَ مَهَّدَ لَهُ مِهَادَهُ، وبنىٰ مُلكه وشادّه (لِمُلْكِهِ وِسَادَهُ)، فَإِنْ يَكُنْ مَا نَحْنُ فِيهِ صَوَاباً فَأَبُوكَ (استبدّ به) أَوَّلُهُ وَإِن يكن جوراً، فَأَبُوكَ أُسّهُ وَنحَنُ شُركاؤه (وَلو لا ما فَعَلَ أَبُوكَ مِنْ قَبلُ مَا خَالَفْنَا إبن أبي طالبٍ وَلَسَلَّمْنَا إِلَيْهِ) فبهديه أخذنا، وبفعله اقتدينا، رأينا فعل (ذلك من قبلنا) ما فعل، فاحتذينا مثاله (فأخذنا بمثله)، واقتدينا بفعاله، فعل أباك بما بدا لك، أو دع (ذلك).

السلام على من أناب ورجع من غوايته»[1].

وتكشف هذه الرسالة التي جاءت في ظروف تاريخيّة عاصفة عن حقائق مثيرة.

١ ـ حق علي في الخلافة أو النص علىٰ خلافته عليه السلام في عهد النبي صلى الله عليه وآله:

«فقد كنّا وأبوك (فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحقّه مروج الذهب**) معنا في حياة نبيّنا، نرى حقّ ابن أبي طالب لازماً لنا (مبروراً علينا** مروج الذهب**) وفضله مبرّزاً علينا».**

---

١. جمهرة رسائل العرب: ١/٤٧٧؛ مروج الذهب للمسعودي: ٣/١٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣/١٨٨.

ترىٰ ما هذا الحقّ للامام علي بن أبي طالب الذي كان يعترف به ؟!

٢ ـ اغتصاب هذا الحق بعد رحيل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلىٰ من قبل أبي بكر وعمر.

«فَكَانَ أَبُوكَ وَفَارُوقُهُ أَوَّلَ مَنِ ابْتَزَّهُ (حَقَّهُ) وَخَالَفَاهُ (علىٰ أَمْرِهِ) عَلَى ذَلِكَ اتَّفَقَا وَاتَّسَقَا».

(وَلو لا ما فَعَلَ أَبُوكَ مِنْ قَبلُ مَا خَالَفْنَا إبن أبي طالبٍ وَلَسَلَّمْنَا إِلَيْهِ) فبهديه أخذنا، وبفعله اقتدينا، رأينا فعل (ذلك من قبلنا) ما فعل، فاحتذينا مثاله (فأخذنا بمثله)،واقتدينا بفعاله، فعب أباك بما بدا لك، أو دع (ذلك).

لهذا يبرر معاوية موقفه من علي عليه السلام بأنّه جاء اقتداءً بالخليفة الأوّل والثاني.

وجاء في الرسائل المتبادلة بين الامام علي عليه السلام ومعاوية ما يكشف بوضوح طموحات معاوية في الانفراد بحكم الشام على الأقل ثمّ الاستيلاء على الخلافة فيما بعد.

كتب معاوية إلى الامام علي عليه السلام بعد انتهاء حرب صفّين وتوقيع الهدنة:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّكَ لَوْ عَلِمْتَ (فَلَو عَلمنا) أَنَّ الْحَرْبَ تَبْلُغُ بِنَا وَبِكَ مَا بَلَغَتْ لَمْ يَجُنَّهَا بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، وَإِنَّا إِنْ كُنَّا قَدْ غُلِبْنَا عَلَى عُقُولِنَا فَقَدْ بَقِيَ مِنْهَا مَا (نندم) نَرُمُّ بِهِ (على) مَا ما مضىٰ، ونُصلحُ بِهِ ما بَقِيَ وَقَدْ كُنْتُ سَأَلْتُكَ الشَّامَ عَلَى أَنْ (لا) تُلْزِمَنِي لَكَ طَاعَةً وَبَيْعَةً، فَأَبَيْتَ ذَلِكَ عَلَيَّ، فَأَعْطَانِيَ اللهُ مَا مَنَعْتَ، وَأَنَا أَدْعُوكَ الْيَوْمَ إِلَى مَا دَعَوْتُكَ إِلَيْهِ أَمْسِ، فَإِنِّي لا أَرْجُو مِنَ الْبَقَاءِ إِلّا مَا تَرْجُوه، وَلا أَخَافُ مِنَ الْفَنَاءِ إِلّا مَا تَخَافُ، وَقَدْ وَاللهِ (رَقَّتِ) الأَجنادُ (الأَكْبَادُ) وَذَهَبَتِ الرِّجَالُ، وَنَحْنُ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، وَلَيْسَ لِبَعْضِنَا عَلَى بَعْضٍ إِلّا فَضْلٌ لا يُسْتَذَلُّ

بِهِ عَزِيزٌ، وَلا يُسْتَرَقُّ بِهِ حرّ (ذَلِيلٌ) وَالسَّلام.

وجاء جواب الامام علي عليه السلام كما يلي:

«مِن عليّ بن أبي طالب إلىٰ معاوية بن أبي سفيان:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ جَاءَنِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ أَنَّكَ لَوْ عَلِمْتَ وَعَلِمْنَا أَنَّ الْحَرْبَ تَبْلُغُ بِنَا وَبِكَ مَا بَلَغَتْ لَمْ يَجُنَّهَا بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِنِّي لَوْ قُتِلْتُ فِي ذَاتِ اللهِ وَحَيِيتُ ثُمَّ قُتِلْتُ ثُمَّ حَيِيتُ سَبْعِينَ مَرَّةً لَمْ أَرْجِعْ عَنِ الشِّدَّةِ فِي ذَاتِ اللهِ وَالْجِهَادِ لِأَعْدَاءِ اللهِ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّهُ قَدْ بَقِيَ مِنْ عُقُولِنَا مَا نَنْدَمُ بِهِ عَلَى مَا مَضَى، فَإِنِّي مَا نَقَصْتُ عَقْلِي، وَلا نَدِمْتُ عَلَى فِعْلِي.

وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ.

وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْخَوْفِ وَ الرَّجَاءِ فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ لَيْسَ لِبَعْضِنَا فَضْلٌ عَلَى بَعْضٍ! فَلَعَمْرِي إِنَّا بَنُو أَبٍ وَاحِدٍ وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ وَلا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ (وَلا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ) وَلا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ، وَلا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا (قلنا) الْعَزِيزَ وَأَعْزَزْنا بِهَا الذَّلِيل (وبعنا بها الحرّ ـ مروج) والسلام»[1].

ويكشف معاوية في رسالته عن السبب الحقيقي الذي يكمن وراء تمرّده على

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٥/١٢٢؛ مروج الذهب: ٣/١٣.

الشريعة ومحاربته لامام زمانه وهو حكومة اقليم الشام، ورفض الامام عليه السلام لذلك.

«وَقَدْ كُنْتُ سَأَلْتُكَ الشَّامَ عَلَى أَنْ (لا) يَلْزَمَنِي لَكَ طَاعَةٌ وَلا بَيْعَةٌ، فَأَبَيْتَ ذَلِكَ عَلَيَّ فَأَعْطَانِيَ اللهُ مَا مَنَعْتَ».

ثمّ يكرّر طلبه ذلك بعد انتهاء الحرب:

«وَأَنَا أَدْعُوكَ الْيَوْمَ إِلَى مَا دَعَوْتُكَ إِلَيْهِ أَمْس».

معاوية يصرّح بذلك ويأتي الغزالي ليقول بلا حياء:

وما جرى بين معاوية وعلي كان مبنيّاً على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الامامة.

ونموذج آخر يدلّ على العمىٰ الفكري الذي يعاني منه الغزالي نلاحظه في مناقشته للحديث النبوي الشريف المجمع عليه لدى الفريقين سنّة وشيعة:

وقد قال صلى الله عليه وآله «من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار».

وخلال مناقشته لهذا الحديث الشريف يتهرب الغزالي من الالتزام بعدم تفسير القرآن الكريم بالرأي فيقول تحت عنوان:

الباب الرابع: في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل.

لعلّك تقول: عظمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القرآن وما ينكشف لأرباب القلوب الزكيّة من معانيه فكيف يستحبّ ذلك وقد قال صلى الله عليه وآله «من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار»؟ وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصرّف من المقصّرين المنسوبين إلى التصوّف في تأويل كلمات القرآن علىٰ خلاف ما نقل عن ابن عبّاس وسائر المفسّرين وذهبوا إلى أنّه كفر.

فان صحّ ما قاله أهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره؟

وإن يصحّ ذلك فما معنى قوله ﷺ: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار»؟

فاعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلّا ما يترجمة ظاهر التفسير فهو مخبر عن حدّ نفسه وهو مصيب في الإخبار عن نفسه، ولكنّه مخطئ في الحكم بردّ الخلق كافّة إلى درجته التي هي حدّه ومخطاه، بل الأخبار والآثار تدلّ على أنّ في معاني القرآن متّسعاً لأرباب الفهم.

قال علي عليه السلام: «إلّا أن يُؤتي اللهُ عبداً فهماً في القرآن».

فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم؟ وقال عليه السلام: «إنّ للقرآن ظهراً وبطناً وحدّاً ومطلعاً».

ويُروى أيضاً عن ابن مسعود موقوفاً عليه وهو من علماء التفسير. فما معنى الظهر والبطن والحدّ والمطلع؟ وقال عليّ عليه السلام: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب» فما معنىٰ ذلك؟ وتفسير ظاهرها في غاية الاقتصار؟

وقال أبو الدرداء: لا يفقه الرجل حتّى يجعل للقرآن وجوهاً وقد قال بعض العلماء:

لكلّ آية ستّون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر وقال آخر:

القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومأتي ألف علم، إذ لكلّ كلمة علم ثمّ يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكلّ كلمة ظاهر وباطن وحدّ ومطلع وترديد رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم» عشرين مرّة، لا يكون إلّا لتدبّره

باطن معانيها وإلّا فترجمتها وتفسيرها ظاهرٌ لا يحتاج مثله إلى تكريره.

وقال ابن مسعود: من أراد علم الأوّلين والآخرين فليتدبّر القرآن وذلك لا يحصل بمجرّد تفسيره الظاهر. وبالجملة فالعلوم كلّها داخلة في أفعال الله عزّوجلّ وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن إشارة إلى مجامعها والمقامات في التعمّق في تفصيله راجعة إلى فهم القرآن.

ومجرّد ظاهر التفسير لا يشير إلىٰ ذلك، بل كلّ ما أشكل فيه على النظّار واختلف فيه الخلائق في النظريّات والمعقولات ففي القرآن إليه رموزٌ ودلالات عليه يختصّ أهل الفهم بدركها فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهر وتفسيره؟ ولذلك قال: «اقرؤوا القرآن والتمسوا غرائبه».

وقال ﷺ في حديث علي عليه السلام: «والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لتفترقنّ أُمّتي عن أصل دينها وجماعتها على إثنين وسبعين فرقة كلّها ضالّة مضلّة يدعون إلى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عزّوجلّ فانّ فيه نبأ ما كان قبلكم، ونبأ ما يأتي بعدكم، وحكم ما بينكم، من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغىٰ العلم في غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع، عصمةٌ لمن تمسّك به، ونجاةٌ لمن اتّبعه، لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلقه كثرة الردّ».

وفي حديث حذيفة: لمّا أخبره رسول الله بالاختلاف والفرقة بعده، قال: قلت: يا رسول الله! فماذا تأمرني أدركت ذلك؟ فقال: «تعلّم كتاب الله واعمل بما فيه، فهو المخرج من ذلك».

قال: فأعدت عليه ذلك ثلاثاً.

فقال ثلاثاً: «تعلّم كتاب الله عزّوجلّ واعمل بما فيه ففيه النجاة».

وقال علي عليه السلام: «من فهم القرآن فسّر به جُمل العلم».

أشار به إلى أنّ القرآن يشير إلى مجامع العلوم كلّها.

وقال ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيراً كَثيراً ﴾ يعني الفهم من القرآن وقال عزّوجلّ: ﴿ فَفَهَمناها سُليمان وَكُلّاً اتَينا حُكماً وعِلماً ﴾ سمّي ما آتاهما علماً وحكماً وخصّص ما انفرد به سليمان بالتفطّن له باسم الفهم وجعله مقدّماً على الحكم والعلم. فهذه الأمور تدلّ على أن في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ومتّسعاً بالغاً وأنّ المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه.

فأمّا قوله: «من فسّر القرآن برأيه» ونهيه عنه وقول أبي بكر: أيّ أرض تقلني وأيّ سماء تظلّني إذا قلت في القرآن برأيي؟ إلى غير ذلك ممّا ورد في الأخبار والآثار في النهي عن تفسير القرآن بالرأي فلا يخلو إمّا أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم، أو المراد به أمر آخر وباطلٌ قطعاً أن يكون المراد به أن لا يتكلّم أحدٌ في القرآن إلّا بما يسمعه لوجوه:

(أحدهما) أنّه يشترط أن يكون ذلك مسموعاً من رسول الله ومسنداً إليه وذلك ممّا لا يصادف إلّا في بعض القرآن، فأمّا ما يقوله ابن عبّاس وابن مسعود من عند أنفسهم، فينبغي أن لا يُقبل ويقال هو تفسير بالرأي لأنّهم لم يسمعوه من رسول الله وكذا غيرهم من الصحابة.

(والثاني) أنّ الصحابة والمفسّرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها، وسماع جميعها من رسول الله محال، ولو كان الواحد مسموعاً لردّ الباقين (فتبيّن على القطع أن كلّ مفسّر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه) حتّى قالوا في الحروف التي في أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها... والجمع بين الكلّ غير ممكن فكيف يكون الكلّ مسموعاً؟

(والثالث) أنّه دعا لابن عبّاس وقال:

«اللّهمّ فقّههُ في الدين وعلّمه التأويل».

فان كان التأويل مسموعاً كالتنزيل ومحفوظاً مثله، فما معنى تخصيصه بذلك؟

(الرابع) أنّه قال عزّوجلّ: ﴿ لَعَلِمَهُ الذينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُم ﴾، فأثبت لأهل العلم استنباطاً ومعلوم أنّه وراء السماع وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيال، فبطل أن يشترط السماع في التأويل، وجاز لكلّ واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحدّ عقله.

وأمّا النهي فانّه ينزل على وجهين:

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأوّل القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتجّ على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوىٰ لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتجّ ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنّه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه.

وتارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه ويرجع ذلك الجانب برأيه وهواه، فيكون قد فسّره برأيه أي رأيه هو الذي حمله على ذلك، ولو لا رأيه لما كان يترجّح عنده ذلك الوجه[١].

وجواب الغزالي يتّجه إلىٰ تكذيب رسول الله في نفس الآية التي يستشهد بها وهي: (الرابع) أنّه قال عزّوجلّ: ﴿لَعَلِمَهُ الذينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُم﴾ وتمام الآية الكريمة:

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٢].

وفي هذه تحديد مرجعيّة للأخبار:

١ ـ النبي ﷺ ٢ ـ أولوا الأمر.

ومن المؤكّد انّ أولي الأمر في هذه الآية الكريمة هم نفسهم في الآية الكريمة التي توجب طاعتهم.

﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٣].

واذن فالرجوع إلى أولى الامر أيّاً منهم هو عين إلىٰ شخص رسول الله ﷺ وفي

---

١. احياء العلوم: ١/٢٥٨.
٢. سورة النساء (٤): ٨٣.
٣. سورة النساء (٤): ٥٩.

النتيجة فأن منزلة أيّاً من أولي الأمر في الأمّة يجب أن تكون تماماًكمنزلة رسول الله ﷺ وقد قال ﷺ:

«وهُوَ (عليّ) فيكُم بمنزلتي فيكم»[1].

وقال الامام الصادق عليه السلام في هذا المضمار:

«الأئمّة بمنزلة رسول الله ﷺ إلّا انّهم ليسوا بأنبياء».

أفلا يؤيّد هذا ما ذهبنا إليه في أن أولي الأمر هم الأئمّة من آل الرسول ﷺ وهم خلفاؤه الذين اصطفاهم الله عزّوجلّ ونصبهم أئمّة لعباده ومنزلتهم نفس منزلة رسول الله ﷺ الّا انّهم ليسوا بأنبياء وإنّما أئمّة يهدون بأمره.

ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن يكون الأئمّة السياسيّين المنتخبين من قبل الناس أن يتمتّعوا بهذه المواصفات وتكون طاعتهم واجبة مفروضة على الجميع.

وبما انّه «لا طاعة في معصية الله» فانّه تثبت العصمة لأولي الأمر.

فهل من المعقول أنّ الغزالي وهو يستند إلى قوله عزّوجلّ: «لعلمه الذين يستنبطونه منهم» لم يلاحظ ما سبق هذه العبارة من الاشارة إلى أولي الأمر؟! باعتبارهم المرجعيّة الثانية بعد الرسول ﷺ.

فاذا لم يرها فهو مصداق قوله تعالى:

﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى ٱلأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَي ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُور﴾.

ويحصل هذا العمىٰ نتيجة الطبع على القلب بسبب التجاوز على الحدود الالهيّة.

---

١. الاحتجاج: ١/١٤٨؛ بحار الأنوار: ٣١/٤١٣؛ مناشدة علي عليه السلام حول خطبة الغدير في آخر الكتاب.

واذن فان عدم تحديد سماع تفاسير الآيات القرآنيّة بمرجع واحد يعني برسول الله ﷺ وحده بل بتوسعته إلى مرجعيّات متعدّدة بعدد أولي الأمر دليل على بطلان ادّعاء الغزالي في قوله: «وسماع حميعها من رسول الله محال».

لأنّ السماع (سماع التفسير للآيات القرآنيّة) من أولى الأمر هو عين السماع من رسول الله ﷺ وتأكيد علىٰ:

«من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار».

والآن من يكون أولى الأمر هؤلاء فهذا موضوع آخر ومن المؤكّد أن أيّ تفسير لا يصدر عن رسول الله ﷺ وأولي الامر صلوات الله عليهم أجمعين هو تفسير بالرأي ومصيره إلى النار يتبوّأ مقعده فيها.

ومن خلال الأحاديث النبويّة الشريفة المثبتة في كتب الحديث لدى الفريقين لا يمكن أن يكون أولوا الأمر سوى آل النبيّ الأكرم ﷺ والأئمّة من أهل بيته الكرام.

هذا البيت الكريم الذي لا تقبل صلاة المسلم اليوميّة حتّى الغزالي ومن هم على شاكلته إلّا بالصلاة علىٰ أهل هذا البيت الذين طهّرهم الله من الرجس تطهيراً.

وهذا النيسابوري يقول بصريح العبارة:

قال النيسابوري في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ كفىٰ شرفاً لآل الرسول وفخراً التشهّد بذكرهم والصلاة عليهم.

الفصل الرابع

الامامة وعلم الغيب

يذهب البعض إلىٰ القول بأنّ العصمة والعلم بالغيب والنصب الالهي والنص من قبل النبي طرحت من قبل متكلّمي الشيعة في القرنين الثالث والرابع ثمّ شهدت اتّساعاً بتقادم الزمن، في حين ان هذه المفاهيم لم ترد على لسان الأئمّة ثمّ يقول مستطرداً:

«إنّ الموضوع ليس في نفي أو إثبات مراتب آل علي انّ الموضوع هو في هل أن علم الغيب شرط في الامامة أم لا؟»

ماذا يعني علم الغيب ؟

واضح انّ علم الغيب هو العلم بما هو خفي ومجهول.

﴿ذٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾[1].

---

١. سورة آل عمران (٣): ٤٤.

وقال تعالىٰ:

﴿ذٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾[١].

وقال عزّوجلّ:

﴿قِيلَ يَا نُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِمَّن مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

هذه أنباء من الغيب وقد خرجت من دائرة الغيب بعد أن أوحى الله عزّوجلّ إلى رسوله جانباً من قصص رسله وأنبيائه.

ثمّة مغيّبات هي جزء من العلم غير المكنون الذي اختصّ به الله سبحانه ذاته ليس من مستلزمات النظام التشريعي وكانت من مستلزمات الولاية التي فوّضها الله إلىٰ محمّد وآله عليهم السلام.

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[٣].

وهذا العلم بالأُمور التي تندرج تحت الولاية التفويضيّة:

«إنّما الأئمّة قوّام الله على خلقه»[٤].

انّ كلّ المراحل العلميّة وقبل بلوغها وتصبح في دائرة المعلوم هي غيب وخفاء

---

١. سورة يوسف (١٢): ١٠٢.
٢. سورة هود (١١): ٤٨ ـ ٤٩.
٣. سورة الأحزاب (٣٣): ٦.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٢.

من قبيل الوقايع في الماضي أو التي تقع في المستقبل؛ فهل سأبقىٰ حيّاً إلى أيّام أُخرىٰ! ان هذا غيب بالنسبة لي هل يمكن الاطّلاع علىٰ ما هو خاف وراء أستار الغيب؟

إذا كانت الأُمور التي هي في نظام الوجود يمكن أن تكون متعلّقة بعلم الانسان فنعم وإلّا فلا.

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾[1].

يقول الامام علي عليه السلام:

«... وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا عَدَّدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَا ذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ...﴾ الآيَةَ فَيَعْلَمُ اللهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً، أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً. فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلّا اللهُ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي»[2].

أو:

«عن محمّد بن علي الباقر عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ قَامَ أَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْ مَجْلِسِهِمَا فَقَالا: يَا رَسُولَ اللهِ! هُوَ التَّوْرَاةُ؟ قَالَ: لا، قَالا: فَهُوَ الإِنْجِيلُ؟ قَالَ: لا،

١. سورة الأنعام (٦): ٥٩.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٨.

قَالا: فَهُوَ الْقُرْآنُ؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَأَقْبَلَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله هُوَ هَذَا إِنَّهُ الإِمَامُ الَّذِي أَحْصَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ»[١].

وجاء:

«عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ لِلّهِ عِلْمَيْنِ: عِلْمٌ مَكْنُونٌ مَخْزُونٌ لا يَعْلَمُهُ إِلّا هُوَ، مِنْ ذَلِكَ يَكُونُ الْبَدَاءُ، وَعِلْمٌ عَلَّمَهُ مَلائِكَتَهُ وَرُسُلَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ فَنَحْنُ نَعْلَمُهُ»[٢].

وهذا دليل علىٰ عدم امكانيّة بلوغ ما هو من مختصّات الامامة وخصائصها ومن هنا لا يمكن مقارنة أحد من الناس بآل محمّد صلى الله عليه وآله الأئمّة الأطهار ولذا قال الامام علي عليه السلام:

«لا يُقاس بآل محمّد صلى الله عليه وآله من هذه الأُمّة أحدٌ...»[٣].

والمراد عدم امكانيّة بلوغ المكانة التي بلغها أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله والدرجة العلميّة التي وصلها الأئمّة المعصومون عليهم السلام وبسبب التقدّم العلمي الذي أحرزه الانسان والشوط الذي قطعه في هذا المضمار أصبح العديد من خصائص النظام التكويني في دائرة المعلوم؛ ومن خلال الكشف عن العديد من أسرار الوجود تمكّن الانسان من صناعة أدوات وآلات لتكون في خدمة البشر ورفاههم وكان بعض هذه الأُمور في دائرة الغيب بالنسبة للناس الذين عاشوا في عصور الماضي وقد كان من الممكن ظهورها وتصبح في دائرة المعلوم.

جاء في القرآن الكريم في قصّة سيّدنا سليمان وملكة سبأ:

---

١. بحار الأنوار: ٣٥/٤٢٨؛ معاني الأخبار: ٩٥؛ تفسير الميزان: ١٧/٧٠.

٢. الكافي: ١/١٤٧.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٢.

﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَم أَكْفُرُ ﴾[1].

وقد تمكّن آصف بن برخيا أن يحضر عرش بلقيس من اليمن والذي تستغرق عمليّة نقله شهرين على الأقل إذا به يحضره في طرفة عين!

وآصف بن برخيا كان عنده علم من الكتاب فما بالك بمن عنده علم الكتاب.

﴿ قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ ﴾[2].

وقد وصف الله سبحانه قرآنه الذي أنزله علىٰ رسوله بـ«الكتاب».

﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[3].

وقال سبحانه:

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْء ﴾[4].

وعن جعفر بن محمّد الصادق، صادق آل محمّد عليهم السلام:

عن... عن عبدالأعلى مولى آل سام، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «والله إنّي لأعلمُ كتاب الله من أوّله إلىٰ آخره كأنّه في كفّي فيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن، قال الله عزّوجلّ ﴿ فيهِ تِبيانُ كُلِّ

---

١. سورة النمل (٢٧): ٣٨ ـ ٤٠.
٢. سورة رعد (١٣): ٤٣.
٣. سورة الأنعام (٦): ٣٨.
٤. سورة النحل (١٦): ٨٩.

شيءٍ﴾»[١].

محمّد بن يحيى، عن أحمد بن أبي زهراء، عن الخشّاب، عن عليّ بن حسان، عن عبدالرحمن بن كثير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[٢].

قال: ففرّج أبو عبدالله عليه السلام بين أصابعه، فوضعها في صدره، ثمّ قال: «وعندنا والله علم الكتاب كلّه»[٣].

وقال الامام علي عليه السلام: .

«مَا مِنْ شَيْءٍ تَطْلُبُونَهُ إِلّا وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ فَمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ فَلْيَسْأَلْنِي عَنْهُ»[٤].

وقال عليه السلام أيضاً:

«وَاللهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلَجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ، لَفَعَلْتُ، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه»[٥].

وقال عليه السلام أيضاً:

«أيّها الناس! سَلوني قَبلَ أنْ تَفقِدوني، فلأنا بطرق السماء أعلمُ منّي بطرق الأرض»[٦].

قال الامام عليه السلام ذلك في زمن كانت نظريّات بطليموس هي السائدة وامتناع خرق والتئام الأفلاك وفي النتيجة عدم قبول المعراج الجسماني لرسول الله صلى الله عليه وآله أمّا

---

١. الكافي: ١/٢٢٩.
٢. سورة النمل (٢٧): ٤٠.
٣. الكافي: ١/٢٢٩؛ بحار الأنوار: ٤٠/٢١١؛ الوسائل: ٢٧/١٨١.
٤. الكافي: ٢/٦٢٤.
٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٧٥.
٦. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٩.

نظريّات وكشوفات كوپر كانت يومذاك غيباً من الغيب.

أمّا علم الامام عليه السلام واستناداً إلىٰ ما جاء في القرآن الكريم فهو يشتمل ما كان غيباً في ما مضىٰ.

وأمّا قوله:

أيّها المتكلّمون: «إن ما أخذ الله من العلماء من الميثاق...» ان الامام علي هنا يتحدّث عن نفسه وليس حول الحسن البصري، أبو حنيفة والشيخ الطوسي والشيخ المفيد... الامام علي في نهج البلاغة لم يعرّف نفسه عالماً بالغيب (يعني كما يقول المتكلّمون) فانّه يتحدّث عن الميثاق الذي أخذه الله على العلماء وفي رأينا انّه كان الأعلم بينهم انّ عليّاً وافق على البيعة (للخلافة بعد مصرع عثمان) بسبب الميثاق الذي أخذه الله على العلماء وبدأ خلافته.

إنّنا نكتفي بالنموذجين اللذين ذكرا آنفاً وتحديداً ما قاله الامام علي والامام الرضا عليهما السلام ومن خلال الأحاديث المرويّة في كتب أهل السنّة نلاحظ:

انّ كلّ ما ينكره البعض إنّما هي حقائق وردت علىٰ لسان الرسول وآله الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين لذا يستوجب عليه وبدل أن يخاطب المتكلّمين معاتباً قائلاً: «أيّها المتكلّمون» عليه أن يقول: «أيّها الرسول وأهل بيته؟»!

هذا علي بن أبي طالب يعلن بصراحة في خطبة له:

«لا يقاس بآل محمّد من هذه الأُمّة أحد... ولهم خصائص حقّ الولاية، وفيهم

الوصيّة والوراثة الان إذ رجع الحقُّ إلىٰ أهله، ونقل إلى منتقله»[١].

ان هذا النص يشير بكلّ وضوح ومرارة إلى الانحراف الذي حصل في مسار الخلافة بعد الرسول ﷺ؛ ولذا قال عاد الحق إلىٰ أهله، وقد صرّح بهذه الحقيقة بعد مصرع عثمان واصرار الجماهير على مبايعته.

ومن خلال هذا النص يميز الامام علي عليه السلام بين الخلافة التشريعيّة والولاية وبين الخلافة السياسيّة.

وكان الامام قد وضّح وجه التمايز في نص آخر:

«أيّها الناس إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم وأعلمهم بأمر الله فيه»[٢].

وقد اعترف الخلفاء الذين سبقوا الامام عليه السلام في تولّي الخلافة السياسيّة بعدم توفّرهم على العلم اللازم وعلى النظام التشريعي الذي يؤهلهم في ادارة البلاد وهداية العباد.

وبعد تصدّيه للخلافة قال الامام عليه السلام:

«الآن إذ رجع الحقُّ إلىٰ أهله، ونُقل إلىٰ مُنتقله».

فما هو الحق الذي عاد إلىٰ أهله؟

أليس هو حقّه في الخلافة والولاية والامامة حيث كان عند غير أهله؟

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٧٣.

الفصل الخامس

الامامة والتفويض والوحي

«وقد اشتهر هؤلاء الأفراد في التاريخ بـ «المفوّضة»... إلّا ان درجات التفويض فيما بعد قد بقي منها مثلاً التفويض في أمر الدين، يعني انّ الله أوكل دينه إلى النبيّ والامام».

وقوله أيضاً:

«لذا فانّ المتكلّم الرسمي الشيعي يقول: أساساً انّ موضوع تفويض أمر الدين والدنيا إلى الأئمّة من البديهيّات الأوليّة لمذهب التشيّع وبيان هذا الموضوع فانّه لم يعد يطلق على نفسه اسم التفويضي أصبح اسمه الشيعي الأصيل هذه معالم المذهب التي استحالت إلى مغالط».

نقول:

انّ هذه المسائل من الأُمور التي بيّنها الله تعالى ومن ثمّ بيّنها رسول الله محمّد وآله لنا، فهم المعلّمون ونحن المتعلّمون.

ولقد أرسل الله سبحانه محمّداً رسولاً ومعلّماً للبشريّة جمعاء:

﴿... وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[1].

فهل كلّ الناس في عمليّة التعليم والتلقي سواء؟ هل جميعهم في تعلم نظام التشريع في مستوى واحد؟

انّ هذا التفاوت في تلقي الموضوعات الجديدة في نظام التشريع وعدم تساويهم في عمليّة التلقي والتعليم يقتضي بسط يد المعلّم في عمليّة التعليم من دون أن يؤدّي بسط اليد هذا إلىٰ ايجاد خلل في التصميم المطروح للتطبيق.

هذا هو معنى التفويض وتوكيل أمور الدين؛ يعني تفويض تطبيق نظام التشريع إلى الأنبياء والأوصياء.

والآن ما هي المغلطة والاستحالة التي طرأت على معالم الدين ونظام التشريع؟

النظام علىٰ نحوين: التكوين والتشريع.

انّ النظام التكويني بيد الله سبحانه فهو الخالق والناظم، وضع هذا النظام في مسار يتحكّم به من الذرّة إلى المجرّة ولا يوجد غيره سبحانه يتصرّف من عنده فكلّ أجزاء الكون هذا تتحرّك في مسار محدّد لا تتعدّاه قيل أنملة.

ومن أجل هذا وصف الله عزّوجلّ نفسه بـ«جبّار السماوات» أمّا في النظام التشريعي فقد أوكل الله سبحانه إلى رسله وقد أرسلهم هداة معلّمين مهمة تطبيق النظام التشريعي في واقع حياة البشر.

---

١. سورة البقرة (٢): ١٥١.

انّ الله سبحانه أنزل كتباً وشرائع علىٰ عباده حملها إليهم رسل وأنبياء نهضوا بمهام الدعوة إلى الله وتطبيق شريعة السماء.

وهذه المهام في تطبيق الشريعة الالهيّة تقتضي وجود معلمين من سنخ البشر لكي تتمّ عمليّة التعليم وانتقال التعاليم الالهيّة إليهم.

وتبدأ عمليّة التعليم بالتزكية حيث يقوم النبي والرسول واعداد النفوس والقلوب لتلقي الاشراق والمعرفة والوعي.

﴿ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[1].

وعادة ما تكون استجابة الأمم والمجتمعات للتعاليم الجديدة التي تتناقض مع ثقافة الأجداد وتقاليدهم بطيئة بل انّها تهب لمحاربة هذه التعاليم، ويحصل جرّاء ذلك صراع مرير ويعاني الأنبياء والرسل الأمرين في اداء رسالتهم والقيام بمهام تطبيق النظام التشريعي في واقع الحياة.

ومن هنا فان نجاح النبي والرسول في هذه المهمّة مرتبط بمدى نجاحه في عمليّة التزكية والتمهيد لتلقي المعارف الالهيّة.

ويلاحظ المعلّم خلال القيام بمهام التعليم التفاوت والاختلاف في مستويات تلامذته.

احياناً يتعلّم التلميذ ويستوعب ما يقوله المعلّم منذ البداية في حين يصعب ذلك علىٰ غيره فيحتاج إلى توضيح الدرس مرّة أو أكثر، وهذا يعد تمييزاً يمارسه المعلّم مع تلامذته وإنّما مردّ ذلك إلى الاختلاف في مستويات ذكاء تلامذته فاذا

---

١. سورة البقرة (٢): ١٥١.

سلب المعلّم هذا التوكيل في عمليّة التعليم وهـذه الصـلاحية فـي أداء بـرنامجه التعليمي فلن يكتب له النجاح في مهمّته.

وعليه فان كيفيّة التعليم توكّل إلى المعلّم حيث يقوم بتطبيق مناهج مختلفة مع تلامذته فهو أعرف بقابلياتهم ما يؤدّي إلى نجاحه في عمليّة التعليم.

واذن فان توكيل وتفويض عمليّة التعليم في النظام التشريعي واعتبار المعلّم مسؤولاً في نسبة نجاح التلاميذ والطلبة هو أفضل المناهج في تـطبيق البـرنامج التعليمي.

فهل ان هذا المنهج التعليمي يحدث خللاً في النظام التعليمي العام؟! اضافة إلىٰ ذلك لنتأمّل في مقولة الامام علي عليه السلام حول الأئمّة:

«إنّما الأئمّة قُوّامُ اللهِ علىٰ خَلقِهِ»[1].

والقيّم هو المسؤول فالأئمّة المعصومون اذن مسؤولون عن الخلق.

فهل يمكن أن ينصب الأئمّة قوّاماً على الخلق مـن دون اطّـلاع عـلىٰ كـيفيّة وخصائص هؤلاء الخلق وهل يمكن أن يمارسوا مهامهم في القـوامـة مـن دون تفويض؟

ومن المؤكّد جدّاً انّني وأمثالي غافلون على الخصائص التي نتمتع بـها إلّا أنّ الامام عليه السلام الذي هو القيم والوالي على الخلق مطلع عليها ومن أجل هذا جاء في القرآن الكريم:

﴿ اَلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[2].

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٢.
٢. سورة الأحزاب (٣٣): ٦.

وقال رسول الله ﷺ:

«أنا مولى المؤمنين وأنا أولىٰ بهم من أنفسهم».

فهل ان عبارة: «إنّما الأئمّة قوّام الله على خلقه» من اختراعات الغلاة والمفوّضة وأمليت على عليّ عليه السلام أو وضعت في نهج البلاغة!!

الامامة والوحي

يقول:

يؤدّي الوحي في الرسالة دوراً محوريّاً هو منشأ الاختلاف بين الأنبياء والآخرين.

واطلاعه (النبي) غير العادي ناجم من الوحي اما إذا قلنا انّ الوحي ليس بهذه المحوريّة، طبعاً هذا الكلام لم يقل صراحة وإنّما من خلال القول: ان كلّ ما فوّض للنبي ﷺ مفوّض للأئمّة فكلّ ما هو مفوّض إلى النبي في أمور الدين هو عيناً مفوّض إلى علي بن أبي طالب وأبنائه.

والسؤال: ما هو دور الوحي هنا؟

هناك من الروايات الكثير في هذا الموضوع وقد وردت في كتب الحديث من قبيل بصائر الدرجات المنسوب إلى أحد أصحاب الامام الحسن العسكري وقد ظهر في أواخر القرن الثاني[1] وبعد في طليعة مؤلّفات الشيعة وكذلك في أُصول الكافي للكليني وفي الاختصاص للشيخ المفيد وفي تفسير علي

---

١. القرن الثالث ـ المترجم.

بن إبراهيم القمّي وفرات الكوفي ونص هذه الرواية يمكن القول انّه مستفيض وله أشباه كثيرة جدّاً والنص يقول:

«ما فوّض النبيّ صلوات الله عليه فهو مُفوّض إلينا».

فكلّ ما يمكن للنبي القيام به في أمر الدين يمكن للأئمّة القيام به أيضاً.

والسؤال هنا: وماذا عن دور الوحي الرسالي؟ ترىٰ ما هو الدور الذي يقوم به؟.

نقول:

قبل أن يتطرّق المرء إلىٰ إنكار قضايا من أُصول الدين في المحافل العامّة وأمام الجماهير الذين يجهل معظمهم العلوم الوحيانيّة فانّه من المنطقي جدّاً وما يقتضيه العقل السليم أن يناقش هذا المنكر هكذا قضايا حسّاسة وخطيرة مع المختصّين في علوم الوحي والتحاور معهم قبل أن يستخدم حربته: «لم أجد» «لم أر» في طعن الأُصول العقيديّة وزعزعتها في وجدان الجماهير.

ما هو الوحي ؟

يعني الوحي الارسال التدريجي لمفردات النظام التشريعي من لدن الله عزّوجلّ يحملها ملك امين إلى الأنبياء في عصورهم من أجل أن يقوموا بالدعوة والقيام بمهام تطبيق الشريعة.

والدين الاسلامي هو آخر الأديان السماويّة جاء به جبرئيل الأمين من قبل الله عزّوجلّ إلى نبيّنا محمّد ﷺ آخر الأنبياء وخاتم المرسلين وبعد ثلاث

وعشرين سنة من الوحي الالهي للشريعة ظهر في كتاب الله القرآن الكريم، وقد اكتمل الدين وتمّت نعمة الله على عباده باعلان الولاية.

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِيناً ﴾[١].

وهكذا أورث الله عزّوجلّ الكتاب عبده المصطفى محمّد ﷺ وأورثه آل رسوله وهم الأئمّة الأطهار.

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[٢].

فكلّ ما أخذ النبي ﷺ عن طريق الوحي وضعه بين يدي عباده الذين اصطفاهم الله وأوّلهم علي بن أبي طالب وصيّ النبيّ ثمّ أبنائه من الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

أفلا يعني ميراث الكتاب التفويض والتوكيل؟

ولهذا قال الامام علي عليه السلام

«... **فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلّا اللهُ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي**»[٣].

وقوله أيضاً:

«**نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلائِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ**»[٤].

---

١. سورة المائدة (٥): ٣.
٢. سورة فاطر (٣٥): ٣٢.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٨.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.

وقوله أيضاً:

«فَنَحْنُ الَّذِينَ اصْطَفَانَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَأَوْرَثَنَا هَذَا الَّذِي فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ»[١].

وقوله أيضاً:

«وَعِندَنا واللهِ عِلمُ الكتابِ كُلُّه»[٢].

فهذا اعلان رسمي من الله عزّوجلّ في ان كلّ الفرائض الدينيّة التي جاء بها الوحي جبرئيل الأمين في صورة كتاب أورثه الله عزّوجلّ عباده الذين اصطفى:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[٣].

انّ هذا الاعلان هو اخبار في أنّ ميراث الكتاب لدى عباده الذين اصطفاهم الله وهم الأئمّة المعصومون من أهل بيت رسول الله ﷺ وهم شجرة النبوّة ومحطّ الرسالة.

وقد سعيت إلىٰ ذكر العديد من الموضوعات من المصدر الذي يذعن له المحاضر كما أعلن ذلك؛ ألا وهو كتاب نهج البلاغة.

انّ العلم بنظام التشريع هو أسمىٰ العلوم دائماً؛ وكيفيّة تطبيق هذا النظام ومستوىٰ هذا التطبيق ونسبته المئويّة أمر يرتبط بمستوىٰ قابليّة التزكية لدى الأمّة.

أحياناً تنتهي عمليّة التزكية لدى أمّة من الأمم إلىٰ عدم تطبيق نظام الشريعة الالهيّة كما حصل ذلك لقوم نوح عليه السلام واذن فان تطبيق نظام التشريع في الأمم يستلزم العلم الكامل بهذا النظام ومهارة المعلّم يعني النبي في عمليّة التعليم وفق

---

١. الكافي: ١/٢٣٦.
٢. الكافي: ١/٢٢٩.
٣. سورة فاطر (٣٥): ٣٢.

مراحله والتقليل من ردود الفعل المضادة من قبل الأمّة ازاء المعارف الالهيّة الجديدة من خلال التزكية وهي عمليّة شاقّة تستغرق زمناً طويلاً.

وبسبب بشريّة الأنبياء ومشاق التزكية والتعليم واستغراقها زمناً نصب الله عزّوجلّ للأنبياء أوصياء يكونوا وزراء وأنصاراً لهم في أداء مهام الرسالة وتطبيق نظام الشريعة المنزل من لدن الله عزّوجلّ وقد مرّ البحث في موضوع الامامة في الفصل الأوّل.

من أجل هذا ومع ظهور الاسلام وفي ما يعرف تاريخيّاً بـ«حديث الدار» وبعد نزول قوله تعالى: «وأنذر عشيرتك الأقربين» أعلن النبي ﷺ انّ عليّاً وزيره في حياته وخليفته بعد وفاته، وقد استمرّت فاعليّة هذا النص وكان النبي ﷺ يؤكّد ذلك باستمرار منذ حديث الدار إلى حجّة الوداع وفي مناسبات عديدة من قبيل:

«هَذَا أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا»[1].

فانّ الله قد نصبه لكم وليّاً وإماماً، وموالاتُه موالاة الله أنزلها عليّ»[2].

وهذه النصوص صادرة عن انسان هو رسول الله وهؤلاء الرسل:

﴿ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾[3].

وإنّما هو تنفيذ ما أمر الله به:

﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَايُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾[4].

وقد أيّد الله عزّوجلّ رسوله في انّه لا يتصرّف من نفسه:

---

١. خطبة الغدير.
٢. خطبة الغدير.
٣. سورة الأنبياء (٢١): ٢٧.
٤. سورة النساء (٤): ٥٠.

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[١].

وفي النتيجة فان انتخاب الرسول ﷺ علياً وزيراً له في حكومته الاسلاميّة منذ الأيّام الأولىٰ لظهور الاسلام واشراكه في أداء رسالته وتعيينه خليفة بعد وفاته للاستمرار في عمليّة تطبيق نظام الشريعة الالهيّة لم يكن قراراً اتّخذه الرسول الأكرم وإنّما هو تنفيذ لقرار الهي.

انّ الاطلاع والعلم بالقرآن الذي يشتمل على قانون الشريعة والنظام الاسلامي الذي يمتاز به الأوصياء لم يكن يتمّ بطريقة عادية.

يقول الامام علي بهذا الصدد:

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ... وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلَّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَلا يَرَاهُ غَيْرِي. وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلامِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ»[٢].

فلقد كان علي يرىٰ نور الوحي والرسالة ويشمّ شذىٰ النبوّة، وقد سمع رنّة الشيطان فوق سفوح جبل حرّاء لمّا نزل جبريل فقال يسأل معلّمه العظيم ما هذه الرنّة؟!

فقال رسول الله ﷺ: انّها رنّة الشيطان، قد يئس من عبادته؛ ثمّ خاطب وصيّه ووزيره قائلاً:

«إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ

---

١. سورة النجم (٥٣): ٣ ـ ٤.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

لَعَلَى خَيْرٍ»[١].

وقد قال رسول الله ﷺ في خطبة الغدير:

«فما من علم إلّا وقد أحصاه الله فيّ ونقلته إليه»[٢].

وقوله ﷺ:

«ما من علمٍ إلّا وقد علّمته عليّاً وهو الإمام المُبين»[٣].

واذن فان عليّاً عليه السلام ومن خلال اطّلاعه الكامل على نظام التشريع وهو القرآن الكريم كان شريكاً لرسول الله ﷺ في حياته ووزيراً في أدائه رسالة الله وفي تزكية وتعليم الناس وكان خليفته من بعده، من أجل الاستمرار في طريق الرسالة.

ومن هنا فان حكمه في الناس حكم رسول الله ﷺ إلّا النبوّة.

وقد جاء في الحديث الشريف:

«الأئمّة بمنزلة رسول الله إلّا أنّهم ليسوا بانبياء»[٤].

وقال رسول الله ﷺ في حقّ علي عليه السلام:

«وَهُوَ فيكُم بِمنزلتي».

كما جاء في خطبة الغدير قوله ﷺ:

«أَيُّهَا النَّاسُ! قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ مَفْزَعَكُمْ بَعْدِي وَإِمَامَكُمْ وَوَلِيّكُمْ وَهَادِيَكُمْ، وَهُوَ أَخِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَهُوَ فِيكُمْ بِمَنْزِلَتِي فِيكُمْ، فَقَلِّدُوهُ دِينَكُمْ وَأَطِيعُوهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ، فَإِنَّ عِنْدَهُ جَمِيعَ مَا عَلَّمَنِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.
٢. خطبة الغدير.
٣. بحار الأنوار: ٣٥/٤٢٨.
٤. الكافي: ١/٢٧٠.

فَاسْأَلُوهُ وَتَعَلَّمُوا مِنْهُ وَ مِنْ أَوْصِيَائِهِ بَعْدَه...»[١].

والآن لنتأمّل في هذا المثال:

من أجل تنفيذ مشروع ما من قبيل بناء مصنع كيمياوي عملاق فانّ البداية تكون من إعداد الخرائط يعني اجراء التخطيطات فوق الأوارق في رسم خرائط لهذا المصنع الكبير وهذا يستلزم وجود شخص يمتلك قابليّات وإمكانات علميّة تؤهله للقيام بهذا المشروع بحيث يمكنه نقل التخطيط والتصميم وتنفيذه علىٰ أرض الواقع؛ وبالتالي توكل إليه مهمّة تنفيذ وبناء واقامة هذا المصنع.

يقوم هذا الشخص الذي فوّضت إليه مسؤوليّة بناء المصنع بانتخاب مهندسين يجد فيهم الأهلّية واللياقة في اجراء وتنفيذ المشروع وبعد جلسات واجتماعات واجراء مشاورات ووضع الخطط اللازمة تبدأ أعمال التنفيذ.

وتتكفّل تلك الاجتماعات بانتقال أفكار ومعلومات جوهريّة من هذا الشخص إلى مهندسية الاستشاريّين وبدون ذلك لا يمكن تنفيذ المشروع.

هذا في بناء مصنع فلو افترضنا أنّ عمليّات البناء تستغرق فترة طويلة إلى الأجيال التالية انّ هذا سيتطلّب نقل تلك الخبرات إلىٰ تلك الأجيال لمتابعة تنفيذ المشروع.

إنّ المصمّم شخص آخر وقد أوكل مهمّة التنفيذ إلى مسؤول اختاره بنفسه وقد قام الشخص المسؤول باستخدام مهندسين استشتاريّين قديرين.

وفي النتيجة فان أيّ سؤال فنّي من هؤلاء المهندسين في هذا المشروع

---

١. الاحتجاج: ١/١٤٨؛ بحار الأنوار: ٣١/٤١٠؛ كمال الدين: ١/٢٧٧.

واجابتهم عليه هو في حكم السؤال من مسؤول المشروع.

وبسبب انتقال المعلومات ذات الصلة بالمشروع والتصميم إلىٰ غيره من المهندسين الاستشاريّين فانّه في حالة وفاة المسؤول الذي أوكلت إليه خرائط ومخطّطات المشروع فانّ العمل في تنفيذ هذا المشروع لن يتوقّف أو أن يفضي إلىٰ نقص في المشروع.

انّ المصمّم في النظامين معاً يعني التكوين والتشريع هو الله سبحانه وتعالىٰ.

في نظام التشريع أوكلت مهمّة ومسؤوليّة تنفيذ المشاريع الالهيّة إلى الأنبياء والرسل فان مسؤوليّة اقامة النظم التشريعيّة ومسؤوليّة أوصياء الرسل أولي العزم هي عيناً مسؤوليّة الأنبياء أي قيامهم بمهام تزكية وتعليم الأمّة، من دون أن تؤدّي هذه المشاركة إلى الاخلال في أمر رسالة أولي العزم.

انّ مسؤوليّة تنفيذ وتطبيق آخر الأنظمة التشريعيّة هذا النظام الذي جاء به ملك كريم هو جبريل المسؤول عن الايصال التدريجي للتعاليم فأوكلها إلى رسول الله ﷺ ليكون وفقاً لذلك آخر الرسل وخاتم النبيّين وحيث الوحي هو استكمال جميع التعاليم في كتاب هو القرآن الكريم.

وبانتقال القرآن الكريم الذي هو قانون النظام التشريعي الاسلامي مع كلّ علومه إلى أهل البيت ليكون الميراث الذي تحدّثت عنه الآيات والروايات.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[1].

«فما من علمٍ إلّا وقد أحصاهُ الله تعالى فيّ ونقلته إليه (علي)»[2].

---

١. سورة فاطر (٣٥): ٣٢.

٢. خطبة الغدير.

«وما من علم إلّا وقد علّمتُهُ عليّاً وهو الامام المبين»[١].

«... وما سوى ذلك فعلمٌ علّم الله نبيّهُ فعلّمنيه»[٢].

لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ فقال الرسول ﷺ إنّه «عليّ» الإمام الذي أحصى اللهُ تبارك وتعالى فيه علم كلّ شيء»[٣].

من هنا لن يحدث خلل في مسألة تطبيق نظام التشريع برحيل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى أبداً.

ذلك انّ الاستمرار في هذه المهمّة يعني تطبيق ما كان يمكن للرسول ﷺ تطبيقه في أمر الدين وما قام به في حياته فانّ القيام به من خلال أهل البيت عليهم السلام أمر بديهي.

انّ طرح هذه المسألة كانتقاد للتشيّع أمام جماهير الأمّة وقوله:

«... ولا يسأل شخص ما هو دور الوحي؟

كيف يمكن تفويض جميع صلاحيّات للنبي مع امتلاكه للوحي إلى الأئمة من دون امتلاكهم للوحي؟».

انّ هذا الاشكال الذي يطرحه البعض يعبر عن انعدام الرؤية للوحي وعلاقته بنظام التشريع وهذا الانعدام في الرؤية الذي يفضي إلىٰ إنكار أُصول الدين يعني إنكار: النصب والنص والعصمة.

---

١. بحار الأنوار: ٣٥/٤٢٨.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٨.
٣. بحار الأنوار: ٣٥/٤٢٨؛ معاني الأخبار: ٩٥؛ الميزان: ١٧/٧٠.

وقد ذكرنا انّ الوحي عبارة عن الانتقال التدريجي للطروحات ذات الصلة بالنظام التشريعي الجديد إلى رسول الله ﷺ من خلال جبريل الأمين الذي يحمل الوحي من الله إلى رسوله فكان رسول الله ﷺ يتلقّىٰ بالأصالة كلّ هذه التعاليم والتعليمات ثمّ ينقلها ويعلمها إلىٰ وصيّه عليّ عليه السلام ومن خلال الوحي تنتقل إلى سائر الأوصياء عليهم السلام.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[1].

انّ العلم بالحقائق لدى الناس ينتقل من فرد إلىٰ فرد آخر ويطلق علىٰ هذا الانتقال التعليم والتعلّم فالذي يقوم بنقل العلم يطلق عليه المعلّم والذي يتلقّىٰ العلم يطلق عليه التلميذ والطالب.

والآية أعلاه تصرّح بنصب الأئمّة ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا يعني نصب الأئمّة وأوصياء الرسول من لدن الله عزّوجلّ واذن فانّ الفرق بين النبي والامام هو تلقي النبي للنظام التشريعي بالاصالة ثمّ انتقال هذا النظام من خلاله ﷺ إلى الأئمّة المعصومين أو انّ النبي ﷺ هو الحامل للوحي والعالم به بالاصالة أمّا الامام فهو العالم بموضوع الوحي.

وحتّى لو تيسّر تعلّم علم الكتاب للآخرين من غير الأئمّة المعصومين بنفس المستوىٰ الذي قام به النبي ﷺ ولكن من دون خصيصة العصمة فانّه سيكون نقل للقدرة الحاصلة عن علم الكتاب وما يتبع هذا من الفساد في نظام التكوين.

وعليه فانّ المحلّ الوحيد لاستقرار وتمركز علم الكتاب يجب أن يكون مطهّراً

---

١. سورة فاطر (٣٥): ٣٢.

معصوماً بذاته وهذه الخصيصة هي التي تمنع حامل علم الكتاب عن استخدام القدرة الناجمة في غير برنامج النظام الحاكم يعني في غير رضا الله تبارك وتعالىٰ.

وهذا كتاب الله عزّوجلّ يعلن بصراحة ووضوح وقوّة طهارة أهل البيت وعصمتهم:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[١].

ولهذا قرنت الصلاة على النبي ﷺ بالصلاة علىٰ آله: «اللّهمّ صلّ علىٰ محمّد وآل محمّد».

ولا تتمّ صلاة الفريضة إلّا بالصلاة علىٰ محمّد وآل محمّد وعند ما تمّ الاعلان عن آخر فريضة وهي الولاية نزل قوله تعالىٰ:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلاَمَ دِيناً﴾[٢].

وهو اشعار بانتهاء الوحي واستكمال نزول النظام التشريعي.

وجاء في كتب الحديث ما يشير إلىٰ هذه الحقيقة:

«وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: وَكَانَتِ الْفَرِيضَةُ تَنْزِلُ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ الْأُخْرَى وَكَانَتِ الْوَلايَةُ آخِرَ الْفَرَائِضِ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي»، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: لا أُنْزِلُ عَلَيْكُمْ بَعْدَ هَذِهِ فَرِيضَةً قَدْ أَكْمَلْتُ لَكُمُ الْفَرَائِضَ»[٣].

---

١. سورة الأحزاب (٣٣): ٣٣.
٢. سورة المائدة (٥): ٣.
٣. الكافي: ١/٢٨٩.

واستكملت فرائض الدين في الكتاب العزيز حيث أورثه الله الذين اصطفاهم من عباده.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[1].

وبعد رحيل النبي ﷺ ينبغي أن يحل مكانه الذي يحمل الميراث وهو ميراث الكتاب والقرآن الكريم بعد انتهاء مرحلة الوحي.

لذلك نلاحظ النبي ﷺ يخاطب الوصي عليه السلام قائلاً:

«يَا عَلِيُّ أَنْتَ أَخِي وَأَنَا أَخُوكَ، وَأَنَا الْمُصْطَفَى لِلنُّبُوَّةِ، وَأَنْتَ الْمُجْتَبَى لِلْإِمَامَةِ، وَأَنَا صَاحِبُ التَّنْزِيلِ وَأَنْتَ صَاحِبُ التَّأْوِيل»[2].

انّ مسؤوليّة هؤلاء العباد المصطفين الوحيدة هي في الارتقاء بمستوىٰ الأمّة من حيث تلقي تعاليم القرآن الكريم وتعليمهم العلوم الوحيانيّة.

ونعود إلىٰ مثال يشبه المثال السابق فعلىٰ سبيل المثال تنهض مؤسّسة ما بمسؤوليّة تنفيذ مشروع ما؛ يستلم المهندس الخبير جميع الخرائط والأفكار والمعلومات ذات الصلة بالمشروع من مبعوث أمين، هذا الخبير يطّلع بالاصالة علىٰ تفاصيل المشروع تماماً فيقوم هذا الخبير بوضع المشروع وتفاصيله بين يدي سائر المهندسين المسؤولين والاستشاريّين.

فيقوم هؤلاء وبعد الاطّلاع علىٰ تفاصيل المشروع بالمشاركة في أعمال التنفيذ وبعد استكمال تفاصيل المشروع فانّه لم تعد تبقىٰ مهمّة أُخرىٰ للمبعوث الذي سلّم

---

١. سورة فاطر (٣٥): ٣٢.

٢. بحار الأنوار: ٣٩/ ٩٣؛ كشف الغمّة: ٢/ ٣٣٩؛ الوسائل: ٢٧/ ١٨٨.

جميع الخرائط المتعلّقة بالمشروع.

ومن المؤكّد انّ الخبير الذي تسلّم المشروع من المبعوث مباشرة هو أكثر علماً واحاطة من سائر المهندسين الذين ستوعبوا تماماً تفاصيله من خلال الاجتماعات وعقد الجلسات مع الخبير.

هل من الصواب أن نقول: «لا يسأل شخص: ما هو دور المبعوث أذن؟!

إن ارتباط الخبير المباشر مع مصدر المشروع هو الامتياز الذي يتمتّع به دون سائر المهندسين وهو في حكم المعلّم والاستاذ لهم.

ومن أجل ذلك قال الامام علي عليه السلام:

«إنّما أنا عبدٌ من عبيد محمّد»[1].

وفي خصوص التفويض والوحي يستطرد أحدهم قائلاً:

«عند ما يتمّ الاستغراق في تقديس الأئمّة ونسبة التفويض لهم في التدبير والأرزاق والتشريع ولا يسأل أحد: ما هو دور الوحي إذن؟ كيف يمكن تفويض صلاحيّات النبي مع امتلاكه الوحي إلى الأئمّة بدون امتلاكهم الوحي؟ ففي هذه الحالة يكون وجود الوحي وعدم وجوده سواء».

قلنا:

إنّ الاشكال يكمن في عدم معرفة الوحي وكما بيّنا سابقاً مهمّة الوحي ينتفي هذا الاشكال.

فالوحي بالنسبة للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يعني ارسال مشروع النظام التشريعي من

---

١. الكافي: ١/ ٨٩.

لدن الله عزّوجلّ وعلىٰ مدىٰ فترات متوالية من خلال مبعوث الهي هو جبريل الأمين والذي كان يضعه بين يدي الرسول ﷺ.

ومع استكمال ارسال المشروع ونزول مسألة الولاية والاعلان عنها نزل قوله تعالىٰ:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِيناً﴾[1].

ومع افتراض استمرار النبي ﷺ علىٰ قيد الحياة فهل ثمّة شيء يأتي به الوحي مع الاعلان الواضح في الآية أعلاه.

وقد قال تعالىٰ بشأن كتابه:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[2].

وما روي عن أهل البيت الكرام عليهم السلام في أحاديث عديدة تتحدّث عن حقيقة علم الغيب وأنّ الأئمّة وضعوا اطاراً لهذا العلم المستور اما ما عداه فعلم أخذوه عن لنبي ﷺ.

«فهذا علمُ الغيب الذي لا يعلمه أحدٌ إلّا الله وما سوىٰ ذلك فعلمٌ علّمه الله نبيّه فعلّمنيه»[3].

وعليه من غير الصواب أن يتمّ الخلط بين علم الغيب وعلم الكتاب وقد أورثه الله عباده الذين اصطفاهم لذلك.

---

١. سورة المائدة (٥): ٣.
٢. سورة فاطر (٣٥): ٣٢.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٨.

قال أئمّة أهل البيت عليهم السلام :

«نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلائِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ»[١].

وأيضاً ما ورد عنهم عليهم السلام :

«فَنَحْنُ الَّذِينَ اصْطَفَانَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَأَوْرَثَنَا هَذَا الَّذِي فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ»[٢].

وقولهم :

«وَعِنْدَنا واللهِ عِلمُ الكتابِ كُلُّه»[٣].

يقول :

«من أجل هذا نرىٰ في العصور التالية ظهور أشخاص يقولون : إذا كانت الفريضة الأولى (التفويض إلىٰ أهل البيت) صحيحة فانّه يتعيّن تفويض الفقهاء كلّ ما تمّ تفويضه إلىٰ أهل البيت من دون أدنىٰ نقيصة ، انظروا إلىٰ هذا الاعوجاج من أين بدأ».

قلنا :

انّ الاصطفاء حقيقة تنحصر في رسول الله وآله الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين وفي النتيجة أن علم الكتاب هو الميراث الذي أورثه الله سبحانه عباده الذين اصطفىٰ يعني أهل البيت الكرام عليهم السلام .

وأن بطلان المشاركة مع أهل البيت عليهم السلام في هذا الميراث لأظهر من الشمس في

---

١. نهج البلاغة ، الخطبة ١٠٩.
٢. الكافي : ١ / ٢٣٦.
٣. الكافي : ١ / ٢٢٩.

الظهيرة العظمىٰ.

يقول الامام الباقر عليه السلام:

«لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ عُقُولِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، إِنَّ الْآيَةَ يَكُونُ أَوَّلُهَا فِي شَيْءٍ وَآخِرُهَا فِي شَيْءٍ وَهُوَ كَلامٌ مُتَّصِلٌ مُتَصَرِّفٌ عَلَى وُجُوهٍ»[1].

ويقول الامام علي عليه السلام في هذا المضمار:

«... فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَالنُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ، ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ، أَلا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ»[2].

---

١. بحار الأنوار: ٩١/٨٩؛ تفسير العيّاشي: ١٧/١؛ الوسائل: ١٩٢/٢٧.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٨.

الفصل السادس

أهل البيت عليهم السلام والقرآن الكريم

١ ـ آية البلاغ

وهي الآية التي نزلت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله لدىٰ عودته من حجّة الوداع وقوله تعالىٰ:

﴿ يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[1].

وقد تطرّقنا في الحديث عنها في بحث خطبة الغدير.

٢ ـ اكمال الدين واتمام النعمة بعد انزال آخر فريضه وهي الولاية لعليّ عليه السلام

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاَمَ دِيناً ﴾[2].

---

١. سورة المائدة (٥): ٦٧.
٢. سورة المائدة (٥): ٣.

وقد نزلت هذه الآية الكريمة بعد ما أعلن رسول الله صلى الله عليه وآله الولاية لعلي عليه السلام وأبلغ الأمّة بما أمره الله سبحانه في نصب علي إماماً وخليفة وذلك في وادي غدير خم وبنزول الولاية نزل قوله تعالىٰ في اكمال الدين وإتمام النعمة وهكذا اكتمل نظام التشريع.

ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله في نهاية خطبة الغدير:

«اللّٰهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَ عِنْدَ تَبْيِينِ ذٰلِكَ فِي عَلِيٍّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بِإِمَامَتِهِ، فَمَنْ لَمْ يَأْتَمَّ بِهِ وَبِمَنْ كانَ مِنْ وُلْدِي مِنْ صُلْبِهِ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ فَأُولٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ وَفِي النّارِ هُمْ خالِدُونَ»[1].

وجاء في الروايات فيما يخصّ شأن نزول هذه الآية الكريمة في المصادر الروائيّة لدى الفريقين ما يتحدّث حول الموضوع بشكل مستفيض ونكتفي بعدد منها:

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ زُرَارَةَ وَالْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ وَبُكَيْرِ بْنِ أَعْيَنَ وَمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ وَبُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَأَبِي الْجَارُودِ، جَمِيعاً عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ:

«أَمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ رَسُولَهُ بِوَلايَةِ عَلِيٍّ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ:

﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰاةَ﴾ وَفَرَضَ وَلايَةَ أُولِي الْأَمْرِ، فَلَمْ يَدْرُوا مَا هِيَ، فَأَمَرَ اللهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله أَنْ يُفَسِّرَ لَهُمُ الْوَلايَةَ، كَمَا فَسَّرَ لَهُمُ الصَّلاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصَّوْمَ وَالْحَجَّ، فَلَمَّا أَتَاهُ

---

١. خطبة الغدير.

ذَلِكَ مِنَ اللهِ، ضَاقَ بِذَلِكَ صَدْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَخَوَّفَ أَنْ يَرْتَدُّوا عَنْ دِينِهِمْ وَأَنْ يُكَذِّبُوهُ فَضَاقَ صَدْرُهُ وَرَاجَعَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَوْحَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهِ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فَصَدَعَ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ، فَقَامَ بِوَلايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ، فَنَادَى الصَّلاةَ جَامِعَةً، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ... وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام وَكَانَتِ الْفَرِيضَةُ تَنْزِلُ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ الْأُخْرَى وَكَانَتِ الْوَلايَةُ آخِرَ الْفَرَائِضِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾».

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام:

«يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: لا أُنْزِلُ عَلَيْكُمْ بَعْدَ هَذِهِ فَرِيضَةً، قَدْ أَكْمَلْتُ لَكُمُ الْفَرَائِضَ»[1].

والمصادر الروائيّة لدى الشيعة زاخرة بمثل هذه الرواية.

وقد ذكرنا أن آخر مفردات النظام التشريعي التي اكتمل وتمّ بها هذا النظام هي اعلان الوصاية والولاية والخلافة لعلي فما أن أعلن النبي ﷺ امامة وولاية علي امتثالاً لأمر الله ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ حتّى نزل قوله تعالىٰ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً ﴾.

وبهذا اكتمل النظام التشريعي وانقطع الوحي ولم يبق رسول الله ﷺ بين

---

١. الكافي: ١/ ٢٨٩.

ظهراني أمّته سوى ٨١ يوماً.

أمّا الروايات بشأن الآية الكريمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً﴾ في مصادر أهل السنّة فقد بلغت حدّ التواتر وفيما يلي نماذج بهذا الصدد:

١ ـ الرواية التي أوردها الحافظ جعفر بن محمّد الطبري المتوفىٰ سنة ٣١٠ هـ (المؤرّخ الشهير) والتي أثبتنا نص خطبة الغدير في مطلع هذه الدراسة.

٢ ـ الحافظ ابن مردوية الاصفهاني المتوفّىٰ سنة ٤١٠، روى من طريق أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري:

انّها نزلت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خُم حين قال لعليّ: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه...[1].

٣ ـ الحافظ أبو نعيم الاصبهاني المتوفّىٰ ٤٣٠ روى في كتابه «ما نزل من القرآن في عليّ» عن...

أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله دَعَا النَّاسَ إِلَى عَلِيٍّ فِي غَدِيرِ خُمٍّ وَأَمَرَ بِمَا تَحْتَ الشَّجَرِ مِنْ شَوْكٍ فَقُمَّ وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ فَدَعَا عَلِيّاً فَأَخَذَ بِضَبْعَيْهِ فَرَفَعَهُمَا حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَى بَيَاضِ إِبْطَيْ رَسُولِ اللهِ، ثُمَّ لَمْ يَتَفَرَّقُوا حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله:

«اللهُ أَكْبَرُ عَلَى كَمَالِ الدِّينِ وَتَمَامِ النِّعْمَةِ وَرِضَى الرَّبِّ بِرِسَالَتِي وَالْوَلايَةِ

---

١. تفسير ابن كثير: ٢/ ١٤.

لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بَعْدِي، ثُمَّ قَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَه...»

ومن أراد المزيد فليراجع موسوعة الغدير للعلّامة الأميني الذي استقصىٰ روايات أهل السنّة في موضوع الغدير حديثاً وحادثة (ج١ الصفحات: ٢٣٠ ـ ٢٣٨ و٢٨٣، ٢٨٥ و٤٠٢).

فهل أن هذه الروايات هي من تلفيق الشيعة المفوّضة؟!

لنتأمّل في هذا النص وهو قول رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام:

«إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ»[1].

٣ ـ نزول العذاب علىٰ من أنكر ولاية علي عليه السلام

قوله تعالىٰ:

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾[2].

قال أبو اسحاق الثعلبي النيسابوري المتوفّىٰ سنة ٤٢٧ في تفسيره «الكشف والبيان»: إنّ سفيان بن عيينة سُئل عن قوله عزّوجلّ:

«سأل سائل بعذاب واقع» فيمن نزلت؟

فقال للسائل: سألتني عن مسئلة ما سألني أحد قبلك.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.
٢. سورة المعارج (٧٠): ١ ـ ٣.

حدّثني أبي عن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السلام قال:

«لَمَّا كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِغَدِيرِ خُمٍّ نَادَى النَّاسَ فَاجْتَمَعُوا فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ فَقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ. فَشَاعَ ذَلِكَ وَطارَ فِي البِلاد، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَارِثَ بْنَ النُّعْمَانِ الْفِهْرِيَّ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله عَلَى نَاقَةٍ لَهُ حَتَّى أَتَى الأَبْطَحَ، فَنَزَلَ عَنْ نَاقَتِهِ فَأَنَاخَهَا فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَمَرْتَنَا عَنِ اللهِ أَنْ نَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ فَقَبِلْنَاهُ، وَأَمَرْتَنَا أَنْ نُصَلِّيَ خَمْساً فَقَبِلْنَاه، وَأَمَرْتَنَا بالزَّكاةِ فَقَبِلْنا، وَأَمَرْتَنَا أَنْ نَصُومَ شَهراً فَقَبِلْنا، وَأَمَرْتَنَا بالْحَجِّ فَقَبِلْنا، ثُمَّ لَمْ تَرْضَ بِهذا حَتَّى رَفَعْتَ بِضَبْعِ ابْنِ عَمِّكَ فَفَضَّلْتَهُ عَلَيْنَا وَقُلْتَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ، فَهَذَا شَيْءٌ مِنْكَ أَمْ مِنَ اللهِ؟

فَقَالَ وَالَّذِي لا إِلَهَ إِلّا هُوَ إِنَّ هَذَا مِنَ اللهِ، فَوَلَّى الْحَارِثُ بْنُ نُعمان يُرِيدُ رَاحِلَتَهُ وَهُوَ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقّاً فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ.

فَمَا وَصَلَ إِلَيْهَا حَتَّى رَمَاهُ اللهُ بِحَجَرٍ فَسَقَطَ عَلَى هَامَتِهِ وَخَرَجَ مِنْ دُبُرِهِ فَقَتَلَهُ، وأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ... ﴾[1].

وكذا:

الحافظ أبو عبيد الهروي المتوفّى بمكّة سنة ٤ ـ ٢٢٣، المترجم ص٨٦ روىٰ في تفسيره «غريب القرآن» قال:

---

١. الغدير: ١/ ٢٣٩.

لمّا بلّغ رسول الله ﷺ غدير خُم ما بلّغ، وشاعَ ذلك في البلاد، أتى جابر بن النضر بن الحارث كلدة العبدري، فقال:

يا محمّد أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلّا الله وانّك رسول الله وبالصلاة والصوم والحج والزكاة فقبلنا منك ثمّ لم ترض بذلك حتّى رفعت بضبع ابن عمّك ففضّلته علينا وقلت:

«من كنت مولاه فعليّ مولاه».

فهذا شيء منك أم من الله؟

فقال رسول الله: «والذي لا إله إلّا هو إنّ هذا من الله».

فولّى جابر يريد راحلته وهو يقول:

اللّهمّ إن كان ما يقول محمّد حقّاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم.

فما وصل إليها حتّى رماهُ الله بحجر فسقط على هامّته وخرج من دبره وقتله وأنزل الله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ... ﴾[1].

وجاء في المصادر الشيعيّة:

عليّ بن إبراهيم عن... أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ (بِوَلايَةِ عَلِيٍّ) لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ ثُمَّ قَالَ: «هَكَذَا وَاللهِ نَزَلَ بِهَا جَبْرَئِيلُ عليه السلام عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ».

ولا يوجد ثمّة اختلاف إلّا في اسم ذلك الرجل فقد جاء في بعضها انّ اسمه

---

١. الغدير: ١/٢٣٩.

الحارث بن النعمان الفهري وجاء في بعضها الآخر جابر بن النضر.

(انظر موسوعة الغدير: ١/ ٢٣٩ إلىٰ ٢٤٦ و ٣٠١).

لقد أوردنا هذه الروايات من مصادر أهل السنّة حتّى لا يقول قائل انّ هذه الأخبار التاريخيّة هي من تلفيق الشيعة المفوّضة فهل يبقىٰ ثمّة شك وريب وترديد في أن رسول الله صلى الله عليه وآله نصّ على إمامة وخلافة علي بن أبي طالب عليه السلام وانّ الله عزّوجلّ نصبه للولاية والامامة والخلافة؟!

٤ ـ فريضة المودّة لأهل البيت عليهم السلام

قوله تعالىٰ:

﴿قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1].

أخرج أحمد في المناقب وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والواحدي والثعلبي والبغوي في تفسيره وابن المغازلي في المناقب بأسانيدهم عن ابن عبّاس قال: لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآية قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ قَرَابَتُكَ هَؤُلاءِ الذينَ وجبَت عَلينا مودّتهم؟ فَقَالَ صلى الله عليه وآله:

«عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا»[2].

---

١. سورة الشورىٰ (٤٢): ٢٣.

٢. الذخائر لمحبّ الدين الطبري: ٢٥؛ الكشّاف لزمخشري: ٢/ ٣٣٩؛ الفرائد الحموي؛ النسابوري في تفسيره؛ مطالب السئول لابن طلحة الشافعي: ٨؛ الرازي في تفسيره؛ أبو السعود في تفسيره؛ أبو حيّان في تفسيره: ٧/ ٥١٦؛ النسفي في تفسيره: ٤/ ٩٩؛ المجمع للهيثمي:

وجاء في مصادر الاماميّة:

عن... عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّوجلّ:

﴿ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[1].

قال: «هم الأئمّة عليهم السلام»[2].

٥ ـ الولاء لأهل البيت عليهم السلام الميثاق الالهي الأزلي

قوله تعالىٰ:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَافِلِينَ ﴾[3].

جاء في العديد من كتب التفاسير انّ هذا الميثاق هو الولاية لأهل البيت عليهم السلام

١ ـ وقوله تعالىٰ: «وإذ أخذ ربّك من بني آدم...» تأويله ما ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره قال: قال الصادق عليه السلام: «إنّ الله أخذ الميثاق على الناس بالربوبيّة ولرسوله صلى الله عليه وآله بالنبوّة ولأميرالمؤمنين والأئمّة عليهم السلام بالامامة»، ثمّ قال: «ألست بربّكم ومحمّد نبيّكم وعليّ أميركم والأئمّة الهادون أولياءكم؟ قالوا: بلى، فمنهم إقرار باللسان ومنهم تصديق بالقلب».

ـ ٩/١٦٨؛ الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ١٢؛ الكفاية للحافظ الكنجي: ٣١؛ شرح المواهب للزرقاني: ٧/٣ و ٢١؛ الصواعق لابن حجر: ١٠١ و ١٣٥؛ نور الأبصار للشبلنجي: ١١٢.

١. سورة الشورىٰ (٤٢): ٢٣.
٢. الكافي: ١/٤١٣.
٣. سورة الأعراف (٧): ١٧٢.

وورد من طريق العامّة في كتاب الفردوس لابن شيرويه حديثاً يرفعه إلىٰ حذيفة اليمانيّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَتَى سُمِّيَ عَلِيٌّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنْكَرُوا فَضْلَهُ، سُمِّيَ أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا رَبُّكُمْ وَمُحَمَّدٌ نَبِيُّكُمْ وَعَلِيٌّ أَمِيرُكُم»[1].

وقد اشتملت التفاسير من قبيل «اطيب البيان في تفسير القرآن» و«تفسير فرات الكوفي» و«تفسير نور الثقلين» وغيرها علىٰ روايات بهذا المضمون عند التطرّق إلىٰ تفسير الآية الكريمة: «وإذ أخذَ ربُّكَ...».

وقد ورد في مصادر الاماميّة وتحديداً كتاب الكافي ما يشبه هذه الروايات الكثير منها هذه الرواية:

عن داود الرقّي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام... فقال:

«فَلَمَّا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ نَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: مَنْ رَبُّكُمْ؟ فَأَوَّلُ مَنْ نَطَقَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَأَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَالْأَئِمَّةُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: أَنْتَ رَبُّنَا، فَحَمَّلَهُمُ الْعِلْمَ وَالدِّينَ، ثُمَّ قَالَ لِلْمَلائِكَةِ: هَؤُلاءِ حَمَلَةُ دِينِي وَعِلْمِي وَأُمَنَائِي فِي خَلْقِي وَهُمُ الْمَسْئُولُونَ، ثُمَّ قَالَ لِبَنِي آدَمَ: أَقِرُّوا بِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَلِهَؤُلاءِ النَّفَرِ بِالْوَلايَةِ وَالطَّاعَةِ، فَقَالُوا: نَعَمْ، رَبَّنَا أَقْرَرْنَا، فَقَالَ اللهُ لِلْمَلائِكَةِ: اشْهَدُوا، فَقَالَتِ الْمَلائِكَةُ: شَهِدْنَا عَلَى أَنْ لا يَقُولُوا غَداً: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا

---

١. تأويل الآيات الظاهرة: ١٨٧.

غٰافِلِينَ﴾، أوْ يَقُولُوا: ﴿إِنَّمٰا أَشْرَكَ آبٰاؤُنٰا مِنْ قَبْلُ وَكُنّٰا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنٰا بِمٰا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ يٰا دَاوُدُ! وَلايَتُنٰا مُؤَكَّدَةٌ عَلَيْهِمْ فِي الْمِيثٰاقِ»[1].

وهذه رواية من مصادر أهل السنّة:

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال:

لمّا خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يُمنة العرش فاذا في النور خمسة أشباح سُجّداً وركّعاً.

قال آدم: هل خلقت أحداً من طين قبلي؟!

قال: لا.

قال: فمن هؤلاء الخمسة الأشباح الذين أراهم في هيئتي وصورتي؟!

قال: هؤلاء خمسة من ولدك لو لا هُم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي لو لا هم ما خلقت الجنّة والنار ولا العرش ولا الكرسيّ ولا السماء ولا الأرض، ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجنّ فأنا المحمود وهذا محمّد وأنا العالي وهذا علي وأنا الفاطر وهذه فاطمة وأنا الاحسان وهذا الحسن وأنا المحسن وهذا الحسين، آليتُ بعزّتي أن لا يأتيني أحدٌ بمثقال ذرّة من خردلٍ من بغض أحدهم إلّا أدخله ناري، ولا أُبالي يا آدم، هؤلاء صفوتي بهم أنجيهم وبهم أهلكهم فاذا كان لك حاجة إليّ فبهؤلاء توسّل.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: «نحن سفينة النجاة من تعلّق بها نجا ومن حاد عنها هلك

---

١. الكافي: ١/١٣٣.

فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت»[١].

وجاء في كتاب الكافي:

عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «أوفوا بعهدي» قال: «بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام «أوفِ بعهدكم» أُوف لكم الجنّة»[٢].

٦ ـ ولاية أهل البيت عليهم السلام الأمانة التي عرضت على السماء والأرض

قوله تعالىٰ:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمٰوٰاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[٣].

عن أبي عبدالله في قول الله عزّوجلّ: «إنّا عرضنا الأمانة...» قال: «هي ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام»[٤].

وجاء في كتاب الكافي أيضاً:

عَن عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام إذ دخل عليه أبو بصير وقد خفره النفس فلمّا أخذ مجلسه قال له أبو عبدالله عليه السلام... «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ فَهَلْ سَرَرْتُكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ زِدْنِي، قَالَ: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَقَدْ ذَكَرَكُمُ اللهُ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ

---

١. فرائد السمطين للشيخ الاسلام حمويي، باب الأوّل؛ مناقب للخوارزمي: ٢٥٢.
٢. الكافي: ١/ ٤٣١.
٣. سورة الأحزاب (٣٣): ٧٢.
٤. الكافي: ١/ ٤١٣.

يَنْتَظِرُ وَمٰا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[١].

إِنَّكُمْ وَفَيْتُمْ بِمَا أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِ مِيثَاقَكُمْ مِنْ وَلايَتِنَا وَإِنَّكُمْ لَمْ تُبَدِّلُوا بِنَا غَيْرَنَا وَلَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَعَيَّرَكُمُ اللهُ كَمَا عَيَّرَهُمْ حَيْثُ يَقُولُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمٰا وَجَدْنٰا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنٰا أَكْثَرَهُمْ لَفٰاسِقِين﴾[٢].

وكذا جاء:

... عن الحسن بن نعيم الصحّاف قال: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِاللهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمِنْكُمْ كٰافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾[٣] فَقَالَ: «عَرَفَ اللهُ إِيمَانَهُمْ بِوَلايَتِنَا وَكُفْرَهُمْ بِهَا يَوْمَ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ فِي صُلْبِ آدَمَ عليه السلام وَهُمْ ذَرٌّ»[٤].

٧ ـ توسّل أنبياء السلف بأهل البيت عليهم السلام

قوله تعالىٰ:

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٥].

أخرج ابن المغازلي الشافعي عن ابن عبّاس قال: سُئل النبي صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه، قال: «سأله بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين فتاب عليه وغفره»[٦].

وأخرج ابن البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله عَنِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَلَقَّاهَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ فَتَابَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «سَأَلَهُ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ

---

١. سورة الأحزاب (٣٣): ٢٣.
٢. الكافي: ٨/ ٣٥.
٣. سورة التغابن (٦٤): ٢.
٤. الكافي: ١/ ٤١٣.
٥. سورة البقرة (٢): ٣٧.
٦. المراجعات: ٣١.

وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ إِلّا تُبْتَ عَلَيَّ فَتَابَ عَلَيْهِ»[١].

وجاء في المصادر الحديثيّة الاماميّة:

عَنِ... عَنِ الْمُفَضَّلِ، عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ؟ قَالَ: «هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تَلَقَّاهَا آدَمُ عليه السلام مِنْ رَبِّهِ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهُوَ أَنَّهُ قَالَ:

يَا رَبِّ! أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ إِلّا تُبْتَ عَلَيَّ، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ».

فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ! فَمَا يَعْنِي عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ يَعْنِي ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ﴾؟

قال: «يعني إِلَى الْقَائِمِ عليه السلام اثْنَيْ عَشَرَ إِمَاماً تِسْعَةٌ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ عليه السلام».

قَالَ الْمُفَضَّلُ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ! فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾؟ قَالَ: «يَعْنِي بِذَلِكَ الْإِمَامَةَ جَعَلَهَا اللهُ فِي عَقِبِ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ! فَكَيْفَ صَارَتِ الْإِمَامَةُ فِي وُلْدِ الْحُسَيْنِ دُونَ وُلْدِ الْحَسَنِ وَهُمَا جَمِيعاً وَلَدَا رَسُولِ اللهِ وَسِبْطَاهُ وَسَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟

فَقَالَ عليه السلام: «إِنَّ مُوسَى وَهَارُونَ كَانَا نَبِيَّيْنِ مُرْسَلَيْنِ أَخَوَيْنِ فَجَعَلَ اللهُ النُّبُوَّةَ فِي صُلْبِ هَارُونَ دُونَ صُلْبِ مُوسَى وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: لِمَ فَعَلَ اللهُ ذَلِكَ؟ فَإِنَّ الْإِمَامَةَ خِلافَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: لِمَ جَعَلَهَا اللهُ فِي صُلْبِ

---

١. الدر المنثور: ١/ ٦٠؛ بحار الأنوار: ١١/ ١٧٦.

الْحُسَيْنِ دُونَ صُلْبِ الْحَسَنِ؟ لأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَكِيمُ فِي أَفْعَالِهِ لا يُسْئَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ»[١].

وكذا:

بالاسناد إلى الصدوق، عن النَّقَّاشِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: «لَمَّا أَشْرَفَ نُوحٌ عَلَى الْغَرَقِ دَعَا اللهَ بِحَقِّنَا فَدَفَعَ اللهُ عَنْهُ الْغَرَقَ وَ لَمَّا رُمِيَ إِبْرَاهِيمُ فِي النَّارِ دَعَا اللهَ بِحَقِّنَا فَجَعَلَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ بَرْداً وَسَلاماً وَإِنَّ مُوسَى لَمَّا ضَرَبَ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ دَعَا اللهَ بِحَقِّنَا فَجُعِلَ يَبَساً وَإِنَّ عِيسَى لَمَّا أَرَادَ الْيَهُودُ قَتْلَهُ دَعَا اللهَ بِحَقِّنَا فَنَجَا مِنَ الْقَتْلِ فَرَفَعَهُ إِلَيْهِ»[٢].

٨ ـ الراسخون في العلم

﴿ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾[٣].

قال الامام علي عليه السلام:

«أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا، كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعَنَا اللهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ، بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى، إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ، لا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلا تَصْلُحُ الْوُلاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ»[٤].

---

١. بحار الأنوار: ٢٦ / ٣٢٣؛ معاني الأخبار: ١٢٦.

٢. بحار الأنوار: ٢٦ / ٣٢٥؛ وسائل الشيعة: ١١ / ٦٩.

٣. سورة آل عمران (٣): ٧.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٤.

٩ ـ الصادقون

قوله تعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّادِقِينَ ﴾[١].

عن بريد بن معاوية العجلي، قال: سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّادِقِينَ ﴾، قال: إيّانا عنى[٢].

انّ على المؤمنين أن يكونوا صادقين، غير انّهم في نفس الوقت معرّضين باستمرار إلىٰ حالات من السهو والنسيان والخطأ والعصيان وهذا ما يخلّ بصفة الصدق لدى الانسان.

ولهذا لا يوصف جميع المؤمنين بأنّهم صادقون.

وتأسيساً علىٰ ذلك فانّ الصادقين في الآية الكريمة إنّما هم مجموعة من المؤمنين محدّدة لا يطرأ علىٰ أفرادها السهو والنسيان والخطأ والعصيان ويتّصفون بالعصمة التي تنزههم من كلّ ذلك.

ومن هنا فانّ المراد من الصادقين في الآية الكريمة أعلاه هم أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

والقرآن الكريم يحثّ المؤمنين على التقوىٰ ويدفعهم باتّجاه التمسّك بالأئمّة الهداة من آل رسول الله صلى الله عليه وآله.

جاء من طريق الحافظ أبو نعيم وابن مردويه وابن عساكر وآخرين كثيرين عن جابر وابن عبّاس: أي كونوا مع عليّ بن أبي طالب[٣]

---

١. سورة التوبة (٩): ١١٩.
٢. الكافي: ١/٢٠٨.
٣. الغدير: ٢/٣٠٥.

أو:

ورواه الكنجي الشافعي في «الكفاية» والحافظ السيوطي في «الدرّ المنثور» وقال سبط ابن الجوزي الحنفي في «تذكرته» وقال علماء السير، معناه كونوا مع عليّ وأهل بيته[١].

وقال ابن عبّاس: عليّ سيّد الصادقين.

وجاء في الصواعق المحرقة وغيره من مصادر الحديث لدىٰ أهل السنّة في حول قوله تعالىٰ:

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[٢].

ذكر ابن حجر حيث ذكر وفاة علي عليه السلام أنّه سُئل وهو على المنبر بالكوفة عن قوله تعالىٰ: «رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه...»، فقال: اللهم غفرا، هذه الآية نزلت فيّ وفي عمّي حمزة وفي ابن عمي عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، فأما عبيدة فقضى نحبه شهيدا يوم بدر، وأما عمي حمزة فإنه قضى نحبه شهيدا يوم أحد، وأما أنا فأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذه (وأشار بيده إلى لحيته وهامته) عهد عهده إلي حبيبي أبو القاسم صلى الله عليه وآله»[٣].

وكذا:

أخرج الخطيب الخوارزمي في «المناقب» وصدر الحفّاظ الكنجيّ في

---

١. الكفاية: ١١١؛ الدرّ المنثور: ٣/ ٢٩٠؛ التذكرة: ١٠.

٢. سورة الأحزاب (٣٣): ٢٣.

٣. من مصادر أهل السنّة: الصواعق: ٨٠ ومن مصادر الشيعة: كشف الغمّة: ١/ ١٩٠.

«الكفاية» نقلاً عن أبي جرير وغيره من المفسّرين أنّه نزل قوله: «فمنهم من قضى نحبه» في حمزة وأصحابه كانوا عاهدوا الله تعالى لا يولّون الأدبار فجاهدوا مقبلين حتّى قتلوا، ومنهم من ينتظر، عليّ بن أبي طالب مضىٰ على الجهاد ولم يُبدّل ولم يُغيّر الآثار[1].

١٠ ـ حبل الله

﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[2].

جاء في كتاب الغيبة للنعماني:

الغيبة للنعماني بإسناده عَنْ جَابِرٍ قَالَ:

وَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أَهْلُ الْيَمَنِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ وَصِيُّكَ؟

... قَالَ: «هُوَ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِالاعْتِصَامِ بِهِ، فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾».

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ بَيِّنْ لَنَا مَا هَذَا الْحَبْلُ؟

فَقَالَ: «هُوَ قَوْلُ اللهِ: ﴿إِلّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾.

فَالْحَبْلُ مِنَ اللهِ كِتَابُهُ، وَالْحَبْلُ مِنَ النَّاسِ وَصِيِّي...»[3].

وأيضاً:

أخرج الامام ثعلبي في معنى هذه الآية من تفسيره الكبير بالإسناد إلى أبان

---

١. المناقب للخوارزمي: ١٨٨؛ الكفاية للكنجي: ١٢٢.

٢. سورة آل عمران (٣): ١٠٣.

٣. بحار الأنوار: ١٧/٣٦.

بن تغلب عن الامام جعفر الصادق، قال: نحن حبل الله الذي قال: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ وعدّها ابن حجر في الآيات النازلة فيهم فهي الآية الخامسة من آياتهم التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب ١١ من صواعقه، ونقل في تفسيرها عن الثعلبي.

١١ ـ السابقون

﴿ وَٱلسَّابِقُونَ ٱلسَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[١].

أخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس: أنّها نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجّار الذي ذكر في يس، وعليّ بن أبي طالب، كلّ رجل منهم سابق أُمّته وعليّ أفضلهم[٢].

وأخرج الديلمي عن عايشة والطبراني وابن الضحّاك والثعلبي وابن مردويه وابن المغازلي عن ابن عبّاس، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «السبق ـ وفي لفظ السباق ـ ثلاثة: السابق إلى موسى، يوشع بن نون وصاحب ياسين إلى عيسى، والسابق إلى محمّد، علي بن أبي طالب»، وزاد الثعلبي في لفظه: فهم الصدّيقون وعليّ أفضلهم.

ورواه محبّ الدين الطبري في رياضه، والهيثمي في «المجمع» والكنجي في «الكفاية» بلفظ: سباق الأُمم ثلاثةٌ لم يُشركوا بالله طرفة عين: عليّ بن أبي طالب وصاحب ياسين ومؤمن آل فرعون، فهم الصدّيقون وعليّ أفضلهم، ثمّ

---

١. سورة الواقعة (٥٦): ٩ ـ ١٠.
٢. الغدير: ٢ / ٣٠٦.

قال: هذا سندٌ اعتمد عليه الدارقطني واحتجّ به[١].

١٢ ـ صراط الله المستقيم

﴿ وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَتَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٢].

عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالىٰ: «هذا صراطي مستقيماً...»

قال: نحن السبيل فمن أبىٰ فهذه السبل (فقد كفر ـ تفسير القمي) ثمّ قال:

«ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتّقون» يعني: كي تتّقوا[٣].

جاء في تفسير فرات بن إبراهيم، عن أبي برزة قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قال وأشار بيده إلىٰ عليّ بن أبي طالب:

﴿ وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَتَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ ﴾[٤].

أُولوا الأمر

﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[٥].

عن بريد العجليّ قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله عزّوجلّ:

---

١. الرياض: ١/١٥٧؛ المجمع: ٩/١٠٢؛ الكفاية: ١٤٦؛ الغدير: ٢/٣٠٦.
٢. سورة الأنعام (٦): ١٥٣.
٣. بحار الأنوار: ٢٤/١٤.
٤. بحار الأنوار: ٢٤/١٤.
٥. سورة النساء (٤): ٥٩.

«أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم»، فكان جوابه:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ ٱلْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَٱلطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلاَءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً * (يقولون لأئمّة الضلالة والدعاة إلى النار: هؤلاء أهدىٰ من آل محمّد سبيلاً) أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً * أَم لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ ٱلْمُلْكِ (يعني: الامامة والخلافة) فَإِذاً لاَ يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيراً * أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ ٱللهُ مِن فَضْلِهِ (نحن الناس المحسودون على ما أتانا الله من الامامة دون خلق الله أجمعين) فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبرَاهِيمَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً * (يقول: جعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمّة، فكيف يقرّون به في آل إبراهيم عليه السلام وينكرونه في آل محمّد صلى الله عليه وآله) فَمِنْهُم مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾[1].

١٤ ـ أهل الذكر

﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2].

قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: «الذِّكْرُ أَنَا وَالأَئِمَّةُ أَهْلُ الذِّكْرِ، وَقَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾».

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «نَحْنُ قَوْمُهُ وَنَحْنُ الْمَسْئُولُونَ»[3].

---

١. سورة النساء (٤): ٥١ ـ ٥٥.
٢. سورة النحل (١٦): ٤٣.
٣. الكافي: ١/ ٢١٠.

وأخرج الثعلبي من معنى هذه الآية من تفسيره الكبير عن جابر قال: لمّا نزلت هذه الآية قال عليّ: نحن أهل الذكر ـ وهذا هو المأثور عن سائر أئمّة الهدىٰ، وقد أخرج العلّامة البحريني في الباب ٣٥، نيفاً وعشرين حديثاً في هذا المضمون[١].

١٥ ـ رجال الأعراف

﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾[٢].

... عن مقرن قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: جاء ابنُ الكوّاء إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: يا اميرالمؤمنين! «وعلى الأعراف رجال يعرفون كلّاً بسيماهم»؟

فقال عليه السلام: «نَحْنُ عَلَى الْأَعْرَافِ نَعْرِفُ أَنْصَارَنَا بِسِيمَاهُمْ، وَنَحْنُ الْأَعْرَافُ الَّذِي لا يُعْرَفُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلّا بِسَبِيلِ مَعْرِفَتِنَا، وَنَحْنُ الْأَعْرَافُ يُعَرِّفُنَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الصِّرَاطِ، فَلا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلّا مَنْ عَرَفَنَا وَعَرَفْنَاهُ، وَلا يَدْخُلُ النَّارَ إِلّا مَنْ أَنْكَرَنَا وَأَنْكَرْنَاهُ.

إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَوْ شَاءَ لَعَرَّفَ الْعِبَادَ نَفْسَهُ وَلَكِنْ جَعَلَنَا أَبْوَابَهُ وَصِرَاطَهُ وَسَبِيلَهُ وَالْوَجْهَ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ، فَمَنْ عَدَلَ عَنْ وَلايَتِنَا أَوْ فَضَّلَ عَلَيْنَا غَيْرَنَا، فَإِنَّهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ، فَلا سَوَاءٌ مَنِ اعْتَصَمَ النَّاسُ بِهِ وَلا سَوَاءٌ حَيْثُ ذَهَبَ النَّاسُ إِلَى عُيُونٍ كَدِرَةٍ يَفْرَغُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ وَذَهَبَ مَنْ

---

١. المراجعات: ٢٧.
٢. سورة الأعراف (٧): ٤٦.

ذَهَبَ إِلَيْنَا إِلَى عُيُونٍ صَافِيَةٍ تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهَا لا نَفَادَ لَهَا وَلا انْقِطَاعَ»[١].

أخرج الحاكم بسنده إلى عليّ قال:

نَقِفُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَمَنْ نَصَرَنَا عَرَفْنَاهُ بِسِيمَاهُ فَأَدْخَلْنَاهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ أَبْغَضَنَا عَرَفْنَاهُ بِسِيمَاهُ فَأَدْخَلْنَاهُ النَّار[٢].

قال ابن حجر: معناه ما رواه عنترة عن عليّ الرضا عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال له: «يا علي أنت قسيم الجنّة والنار، فيوم القيامة تقول للنار هذا لي وهذا لك».

(قال ابن حجر) وروى ابن السمّاك أنّ أبابكر قال لعلي رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يجوز أحد الصراط إلّا من كتب له عليّ الجواز»[٣].

١٦ ـ المؤمنون

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[٤].

أخرج ابن مردويه في تفسير الآية أنّ المراد بمشاقة الرسول هنا إنّما هي المشاقة في شأن علي وأنّ الهدى في قوله تعالى «من بعد ما تبيّن له الهدى» إنّما هو شأنه عليه السلام.

وأخرج العيّاشي في تفسيره نحوه والصحاح متواترة من طريق العترة

---

١. الكافي: ١/ ١٨٤.
٢. المراجعات: ٣٢.
٣. المراجعات: ٣٢.
٤. سورة النساء (٤): ١١٥.

الطاهرة في أنّ سبيل المؤمنين إنّما هو سبيلهم عليهم السلام[١].

أخرج الطبري في تفسيره باسناده عن عطاء بن بيسار قال: كان بين الوليد وعليّ كلام فقال الوليد: أنا أبسط منك لساناً وأحدّ منك سناناً وأرد منك للكتيبة.

فقال علي: أُسكت فانّك فاسق، فأنزل الله فيهما:

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ ﴾[٢].

١٧ ـ الشهداء على الأُمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله

﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾[٣].

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هٰؤُلاَءِ ﴾[٤].

﴿ وَجَاهِدُوا فِي ٱللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هٰذَا لِيَكُونَ

---

١. المراجعات: ٢٨.

٢. أسباب النزول لأبي الحسن الواحدي النيسابوري: ٢٦٣؛ التفسير الطبري: ٢١/٦٢؛ تفسير خازن الخازن لعلاء الدين محمّد: ٣/٤٧٠؛ تفسير النيسابوري؛ تفسير ابن كثير: ٣/٤٦٢؛ الأغاني: ٤/١٨٥؛ درّ المنثور لجلال الدين السيوطي: ٤/١٧٨؛ ذخائر العقبى لمحبّ الدين الطبري: ٨٨؛ الرياض لمحبّ الدين الطبري: ٢/٢٦٠.

٣. سورة البقرة (٢): ١٤٣.

٤. سورة النحل (١٦): ٨٩.

ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[١].

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ...﴾[٢].

عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ قَالَ قُلْتُ لأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَوْلَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنٰاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى النّٰاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[٣].

قَالَ: «نَحْنُ الأُمَّةُ الْوَسَطُ وَنَحْنُ شُهَدَاءُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَجُهُ فِي أَرْضِهِ».

قُلْتُ: قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجٰاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهٰادِهِ هُوَ اجْتَبٰاكُمْ﴾[٤].

قَالَ: «إِيَّانَا عَنَى وَنَحْنُ الْمُجْتَبَوْنَ وَلَمْ يَجْعَلِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ فَالْحَرَجُ أَشَدُّ مِنَ الضِّيقِ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرٰاهِيمَ إِيَّانَا عَنَى خَاصَّةً وَسَمّٰاكُمُ الْمُسْلِمِينَ اللهُ سَمَّانَا الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ فِي الْكُتُبِ الَّتِي مَضَتْ وَفِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النّٰاسِ فَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله الشَّهِيدُ عَلَيْنَا بِمَا بَلَّغَنَا عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَنَحْنُ الشُّهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ فَمَنْ صَدَّقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَّقْنَاهُ وَمَنْ كَذَّبَ كَذَّبْنَاهُ»[٥].

وفي تفسير القمي «وسطاً» أي عدلاً وهو المرويّ في روايات الجمهور كما في

---

١. سورة الحجّ (٢٢): ٧٨.
٢. سورة التوبة (٩): ١٠٥.
٣. سورة البقرة (٢): ١٤٣.
٤. سورة الحج (٢٢): ٧٧.
٥. الكافي: ١/ ١٩١.

الدرّ المنثور:

﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[١].

ومن المعلوم أنّ الأمّة كلّها لا تتّصف بالخيار والعدل وكونهم شهداء على الناس فانّ فيهم الكثير ممّن لا يخفى حاله. فهذه الصفات إنّما تكون باعتبار البعض والموجّه إليه الخطاب ذلك البعض.

وعن الحسكاني في «شواهد التنزيل» عن سليم الهلالي عن علي عليه السلام: «نحن الذين قال الله: جعلناكم أُمّة وسطاً».

١٨ ـ الهادي والدليل

عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: الْمُنْذِرُ وَلِكُلِّ زَمَانٍ مِنَّا هَادٍ يَهْدِيهِمْ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّ اللهِ ثُمَّ الْهُدَاةُ مِنْ بَعْدِهِ عَلِيٌّ، ثُمَّ الْأَوْصِيَاءُ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ»[٢].

و﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٣].

أخرج الثعلبي في تفسير هذه الآية من تفسيره الكبير عن ابن عبّاس، قال: لمّا نزلت هذه الآية وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على صدره وقال: «أنا المنذر وعليّ الهادي، وبك يا عليّ يهتدي المهتدون» وهذا هو الذي أخرجه غير واحد من المفسّرين وأصحاب السنن عن ابن عبّاس.

---

١. سورة البقرة (٢): ١٤٣.
٢. الكافي ١/ ١٩١.
٣. سورة الرعد (١٣): ٧.

وعن... عن عبدالرحيم القصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا المنذر وعليّ الهادي، أما والله ما ذهبت منّا وما زالت فينا إلى الساعة»[1].

وقال في ذيل كتابه «التذكرة» ذكر الصاحب رحمه الله في آخر كتاب «نهج السبيل»: أنّ أميرالمؤمنين عليّاً عليه السلام أفضل الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وآله واستدلّ عليه بأنّ الأفضليّة تستحقّ بالسابقة والعلم والجهاد، والزهد فوق جميعهم، فلا شكّ أنّه متقدّمهم وغير متأخّر عنهم، وقد سبقهم بمنازلة الأقران وقتل صناديد الكفّار وأعلام الضلالة، وهو الذي آخىٰ النبي صلى الله عليه وآله بينه وبينه حين آخىٰ بين أبي بكر وعمر ورضيه كفواً لسيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام ودعا الله أن يُوالي من والاهُ ويعادي من عاداه وأخبرنا أنّه منه بمنزلة هارون من موسى لفضل فيه، وقال صلى الله عليه وآله: «ائتني بأحبّ الخلق إليك يأكل معي هذا الطائر»، ولا يكون أحبّهم إلى الله إلّا أفضلهم.

وقال: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»، وقال: «أنا ما سألت الله شيئاً إلّا سألت لعليّ مثله حتّى سألت له النبوّة، فقيل: لا ينبغي لأحد من بعدك ولم يكن يسألها إلّا لفضله ولهذا استثنى النبوّة في حديث: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» فصبر على المحن وثبت على الشدائد ولم ترده أيّام توليته إلّا خشونة في الدين وأكله للجشب ولبساً للخشن يستقون من علمه وما يستقى إلّا ممّن هو أعلم خير الأوّلين وخير الآخرين عهد إليه في الناكثين

---

١. الكافي: ١/ ١٩٢.

والقاسطين والمارقين وقتل بين يديه عمّار بن يسار المشهود له بالجنّة لبصيرته في أمره وشبهه رسول الله صلى الله عليه وآله بعيسى بن مريم عليه السلام كما شبّهه بهرون، لا تضرب الامثال إلّا بالأنبياء، وتصدّق بخاتمه في ركوعه حتّى أنزل فيه: ﴿إنّما وليُّكُم اللهُ ورسولُهُ والمُؤْمِنونَ... ﴾ واثر المسكين واليتيم والأسير على نفسه حتّى أنزل فيه ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾[1] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ فقال صلى الله عليه وآله: «وأنا المنذر وأنت يا عليّ الهادي».

... وقال تعالى: ﴿وَتَعِيها أُذُنٌ واعِيةٌ ﴾[2] وقال صلى الله عليه وآله: هي اذن علي عليه السلام وجعله الله في الدنيا فصلاً بين الايمان والنفاق حتّى قيل: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا ببغضهم عليّاً عليه السلام وأخبر أنّه في الآخرة قسيم الجنّة والنار وقال ابن عباس:

ما أنزل الله في القرآن ﴿يا أيُّها الذين آمنوا﴾ إلّا وعليّ سيّدها وأبوها وشريفها، وأعلى من ذلك قوله صلى الله عليه وآله عليّ يعسوب المؤمنين، وله ليلة الفراش حين نام عليه في مكان رسول الله صلى الله عليه وآله صابراً على ما كان يتوقّع من الذبح صحبة اسحق ذبير الله حين صبر علي ما ظنّ أنّه نازل به من الذبح وقال فيه مثل عمر بن الخطّاب:

«لو لا عليّ لهلك عمر، ولا أعاشني الله لمشكلة ليس لها أبوالحسن».

وذهره كلّه اسلام وزمانه أجمع ايمان، لم يكفر بالله طرفة عين، عاش في نصرة الاسلام حميداً، ومضى لسبيله شهيداً، جعلنا الله ممّن آثر المحبّة في

---

١. سورة الانسان (٧٦): ٨.
٢. سورة الحاقّة (٦٩): ١٢.

القربىٰ وهدانا للتي هي أحسن وأولى، وحسبنا الله منزل الغيث وفاطر النسم.

وقال العلّامة الأميني ـ رضوان الله تعالى عليه ـ في هامش الكتاب:

كلّ ما ذكره الصاحب من الأحاديث في فضل مولانا اميرالمؤمنين ثابت وصحيح عند القوم مثبوت في أجزاء كتابنا بأسانيده، أخرجه بها الحافظ في الصحاح والمسانيد[١].

١٩ ـ النعيم

﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[٢].

أخرج العلّامة البحريني في الباب ٤٨ من كتابه «غاية المرام» ثلاثة أحاديث من طريق أهل السنّة في أنّ النعيم هو ما أنعم الله على الناس بولاية رسول الله صلى الله عليه وآله واميرالمؤمنين وأهل البيت عليهم السلام وأخرج في الباب ٤٩، اثنى عشر حديثاً من صحاحنا في هذا المعنى، فراجع[٣].

وعن الرضا عليه السلام: أنّه ليس في الدنيا نعيم حقيقي.

فقيل له فقول الله تعالى: «ثمّ لتسألنّ عن النعيم».

... فقال عليه السلام: «وَلَكِنَّ النَّعِيمَ حُبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَمُوَالاتُنَا، يَسْأَلُ اللهُ عَنْهُ عِبَادَهُ بَعْدَ التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ، وَلأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا وَافَاهُ بِذَلِكَ أَدَّاهُ إِلَى نَعِيمِ الْجَنَّةِ الَّذِي لا

---

١. الغدير: ٤/٦٦.
٢. سورة التكاثر (١٠٢): ٨.
٣. المراجعات: ٢٩.

يَزُول»[١].

وروىٰ الشيخ الطبرسي في «مجمع البيان»، في قوله تعالىٰ: «ثمّ لتسألنّ...»

روى العيّاشي في حديث طويل، قال: سأل أبو حنيفة أبا عبدالله عليه السلام عن هذه الآية؟... قال: فما النعيم جُعلت فداك؟

قال: نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد...[٢]

وأمّا قوله:

من الواضح انّه عند ما نقول: انّ جميع المسائل ليست في الكتاب، أصول العمل في الكتاب، أما في الكثير من الجزئيّات يجب علينا التوجّه نحو الروايات وحينئذٍ تبلغ الروايات من الأهميّة بحيث تشغل مكانة الكتاب.

انّ قوله: «جميع المسائل ليست في الكتاب» يتناقض مع قوله تعالىٰ:

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[٣].

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْء وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٤].

﴿وَلاَرَطْبٍ وَلاَيَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٥].

انّ القرآن الكريم كتاب علمي، ولو أمكن الحصول على الحقائق المودعة فيه من خلال المطالعة، لما أوكل الله عزّوجلّ إلىٰ رسوله مهمّة بيانه للناس.

---

١. بحار الأنوار: ٦٣/ ٣١٦؛ وسائل الشيعة: ٢٤/ ٢٩٩.

٢. بحار الأنوار: ٢٤/ ٤٩؛ مستدرك الوسائل: ١٦/ ٢٤٧.

٣. سورة الأنعام (٦): ٣٨.

٤. سورة النحل (١٦): ٨٩.

٥. سورة الأنعام (٦): ٥٩.

قال تعالىٰ:

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[١].

وتعني هذه الحقيقة علميّة القرآن الكريم وحاجته إلىٰ من يبيّنه وهو رسول الله ﷺ وبعد رحيله صلوات الله عليه انتقلت هذه المهمّة إلىٰ أهل بيته بوصيّه منه.

وقد جاء في الحديث المتواتر لدى الفريقين:

«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي ما إِنْ تَمَسَّكتُم بهما لَنْ تَضِلُّوا بَعدي»[٢].

واذن فانّ التمسّك بأهل البيت عليهم السلام والتزام تبييناتهم وتوضيحاتهم يعني الاذعان للأحاديث والروايات الواردة عنهم ان ذلك يعني التمسّك بالقرآن الكريم وأنّ التمسّك بالقرآن الكريم لا يؤتي ثماره إلّا بعد التمسّك بأحاديث رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين.

ومن أجل ذلك قال مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام:

«مَا مِنْ شَيْءٍ تَطْلُبُونَهُ إِلّا وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ فَمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ فَلْيَسْأَلْنِي عَنْهُ»[٣].

وهكذا فان «فليسألني عنه» هي أصداء قوله تعالىٰ:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[٤].

ما يعني ان انحصار علم الكتاب لدى أهل البيت عليهم السلام فلا يمكن بلوغ مضامينه

---

١. سورة النحل (١٦): ٤٤.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦/ ٣٧٥.

٣. الكافي: ٢/ ٦٢٤.

٤. سورة فاطر (٣٥): ٣٢.

إلّا من خلال التمسّك بهم عليهم السلام.

يقول الامام علي عليه السلام في هذا المضمار:

«... فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ، ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ: أَلا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ»[1].

ويقول الامام محمّد الباقر عليه السلام:

«لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ عُقُولِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، إِنَّ الْآيَةَ يَكُونُ أَوَّلُهَا فِي شَيْءٍ وَ آخِرُهَا فِي شَيْءٍ وَهُوَ كَلامٌ مُتَّصِلٌ مُتَصَرِّفٌ عَلَى وُجُوهٍ»[2].

ولهذا جاء في الحديث عن أهل البيت عليهم السلام:

«عِندَنا والله عِلمُ الكتابِ كُلِّه»[3].

وجاء في نصّ آخر:

«مَنْ اَتاكُمْ نَجىٰ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ»[4].

«سَعِدَ مَنْ والاكُمْ، وَهَلَكَ مَنْ عاداكُمْ، وَخابَ مَنْ جَحَدَكُمْ، وَضَلَّ مَنْ فارَقَكُمْ، وَفازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ، وَاَمِنَ مَنْ لَجَاَ اِلَيْكُمْ، وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ، وَهُدِيَ مَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْواهُ، وَمَنْ خالَفَكُمْ فَالنّارُ مَثْوِيهُ، وَمَنْ جَحَدَكُمْ كافِرٌ، وَمَنْ حارَبَكُمْ مُشْرِكٌ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فِي اَسْفَلِ دَرَكٍ مِنَ

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٨.

٢. بحار الأنوار: ٩١/٨٩؛ تفسير العيّاشي: ١٧/١؛ الوسائل: ١٩٢/٢٧.

٣. الكافي: ٢٢٩/١.

٤. الزيارة الجامعة الكبيرة.

الْجَحِيمِ»[١].

مَنْ أَرَادَ اللهَ بَدَءَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ»[٢].

لذلك لنتأمّل في قول الامام علي عليه السلام:

«إِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلا يَدْخُلُ النَّارَ إِلّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ»[٣].

من هنا فان معرفة أهل البيت عليهم السلام هي الطريق الذي يؤدّي إلىٰ دخول الجنّة حيث تتوقّف هداية الانسان علىٰ معرفتهم وإلّا فان مصيره الضلال والضياع.

يقول الامام علي عليه السلام:

«بنا يُستعطى الهُدى، ويُستجلَى العَمى»[٤].

ومع التسليم أمام نصوص نهج البلاغة باعتبارها «شواخص للتشيّع» فيا ترىٰ ما معنىٰ «بنا يستعطى الهدىٰ» في مقابل قوله تعالىٰ:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾[٥].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[٦].

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾[٧].

﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٨].

---

١. الزيارة الجامعة الكبيرة.
٢. الزيارة الجامعة الكبيرة.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٢.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٤.
٥. سورة الليل (٩٢): ١٢.
٦. سورة البقرة (٢): ٢٧٢.
٧. سورة الإسراء (١٧): ٩٧.
٨. سورة القصص (٢٨): ٥٦.

لقد جعل الله سبحانه أهل البيت الوسيلة في الهداية.

وجاء في الحديث عن الامام زين العابدين:

«وجَعَلتهُم الوَسيلةَ إليك والمسلَكَ إلىٰ جنّتك»[١].

فلا تتم الهداية إلّا باتباعهم والاستجابة إلىٰ دعوتهم[٢].

ومن أجل هذا يقول الامام الباقر عليه السلام:

«بِنَا عُبِدَ اللهُ، وَبِنَا عُرِفَ اللهُ، وَبِنَا وُحِّدَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمُحَمَّدٌ حِجَابُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»[٣].

وأهل البيت عليهم السلام هم الحصن الحصين الذي من يدخله يأمن من عذاب الله عزّوجلّ.

وقد اشتهر حديث سلسلة الذهب الشهير الذي صرّح به الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام في مدينة نيسابور في طريقه إلىٰ مرو عاصمة الدولة الاسلاميّة يومئذ.

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ قَالَ: لَمَّا وَافَى أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام نَيْسَابُورَ وَأَرَادَ أَنْ

---

١. الصحيفة السجّاديّة، دعاء يوم عرفة.

٢. ورد في سيرة الامام محمّد الباقر عليه السلام:

عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يُقَالُ لَهُ عُثْمَانُ الْأَعْمَى: إِنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْعِلْمَ يُؤْذِي رِيحُ بُطُونِهِمْ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ.

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «فَهَلَكَ إِذاً مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ وَاللهُ مَدَحَهُ بِذَلِكَ وَ مَا زَالَ الْعِلْمُ مَكْتُوماً مُنْذُ بَعَثَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ رَسُولَهُ نُوحاً فَلْيَذْهَبِ الْحَسَنُ يَمِيناً وَشِمَالاً فَوَاللهِ مَا يُوجَدُ الْعِلْمُ إِلّا هَاهُنَا» وَكَانَ عليه السلام يَقُولُ: «مِحْنَةُ النَّاسِ عَلَيْنَا عَظِيمَةٌ إِنْ دَعَوْنَاهُمْ لَمْ يُجِيبُونَا وَإِنْ تَرَكْنَاهُمْ لَمْ يَهْتَدُوا بِغَيْرِنَا». بحار الأنوار: ٢٣/ ١٠١ ـ ١٠٢، المترجم.

٣. الكافي: ١/ ١٤٥.

يَخْرُجَ مِنْهَا إِلَى الْمَأْمُونِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ فَقَالُوا لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ تَرْحَلُ عَنَّا وَلا تُحَدِّثُنَا بِحَدِيثٍ فَنَسْتَفِيدُهُ مِنْكَ، وَكَانَ قَدْ قَعَدَ فِي الْعَمَّارِيَّةِ فَأَطْلَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ:

«سَمِعْتُ أَبِي مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: سَمِعْتُ جَبْرَئِيلَ يَقُولُ: سَمِعْتُ اللهَ جَلَّ جَلالُهُ يَقُولُ:

لا إِلَهَ إِلّا اللهُ حِصْنِي فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ عَذَابِي».

قَالَ: فَلَمَّا مَرَّتِ الرَّاحِلَةُ نَادَانَا:

«بِشُرُوطِهَا وَأَنَا مِنْ شُرُوطِهَا»[1].

انّ معرفة جوهر التوحيد وحقيقة «لا إله إلّا الله» ومعرفة الله عزّوجلّ لا يمكن أن تحصل إلّا من خلال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وشجرته الطيّبة المباركة يعني أهل بيته الكرام عليهم السلام.

لقد أنزل الله عزّوجلّ كتابه الكريم وذكره العظيم علىٰ رسوله الأكرم ليبيّن للناس ما نزّل إليهم.

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[2].

وقد أمر الله عباده بقرائته:

---

١. العيون: ٢/١٣٥؛ التوحيد: ٢٥. ٢. سورة النحل (١٦): ٤٤.

﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرآنِ... فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾[١].

ولا يمكن ادراك علومه الوحيانيّة إلّا من خلال أهل البيت عليهم السلام.

﴿ ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾[٢].

وقد قال تعالىٰ:

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ ٱللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[٣].

واذن فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته هم العاصم من الضلالة من خلال التمسّك بهم.

وقد جاء في الحديث الشريف عن الامام الباقر عليه السلام:

«إنّما يعرفُ القرآن من خُوطب بِهِ»[٤].

وقال الامام علي عليه السلام:

«نَحنُ شجرةُ النبوّة ومحطُّ الرسالة ومختلفُ الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم»[٥].

وقال عليه السلام أيضاً:

«ونحنُ الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب، ولا يؤتى البيوت إلّا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمّي سارقاً»[٦].

---

١. سورة المزمّل (٧٠): ٢٠.
٢. سورة البقرة (٢): ١٢١.
٣. سورة آل عمران (٣): ١٠١.
٤. الكافي: ٨/٣١١.
٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.
٦. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٤.

وهكذا سوف يستعصي فهم القرآن الكريم ومعرفة أسراره ومعانيه علىٰ من يحاول ذلك عن طريق غير طريق أهل البيت عليهم السلام لأنّه سوف يصاب بالعمىٰ، عمىٰ البصيرة وسيكون من الذين:

﴿ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَيَفْقَهُونَ؛ فَهُمْ لا يَعلَمُونَ ﴾[1].

ومن خلال ما سلف ذكره أفلا نتصوّر وجود رؤيتين تستشفان من قوله هذه المقولة:

«تلاحظون ثمّة نوعين من التلقّي من الدين اسمحوا لي أن أقول: لدينا مذهبان للتشيع». ترى هل من الممكن أن يصبح فرد في النظام التشريعي مفترض الطاعة بدون اتّصاله بالعصمة؟

بدون وجود العصمة فان أيّ انسان معرض للخطأ والسهو والعصيان وقد جاء في الحديث الشريف:

«لا طاعة في معصية الله».

وعند ما أمر الله عزّوجلّ بطاعة الرسول صلى الله عليه وآله فلانّه معصوم وهكذا بالنسبة لولاة الأمر لا يمكن أن يأمر الله بطاعة أفراد غير معصومين.

﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[2].

وحصر ولاية الأمر أو «السيادة التشريعيّة» في أهل البيت عليهم السلام وعدم أهليّة غيرهم لهذا المقام حقيقة ساطعة يصرّح بها كتاب الله عزّوجلّ وتؤكّدها سنّة رسول

---

١. سورة التوبة (٩): ٨٧ و٩٣. ٢. سورة النساء (٤): ٥٩.

الله صلى الله عليه وآله:

١ ـ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1].

٢ ـ «إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ، لا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلا تَصْلُحُ الْوُلاةُ مِنْ غَيْرِهِمِ»[2].

وعلى أيّة حال انّ العصمة هي خصيصة لا يتمتّع بها إلّا رسول الله صلى الله عليه وآله الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين.

وهذه حقيقة كبرىٰ لا يمكن إنكارها بمجرّد الاستناد إلى عبارات من قبيل: «لم أجد» أو «لم أر»:

«أنا لم أر في (موضع ما) الامام الحسين وفي معرض الجواب عن السؤال الهام: من هو الامام؟ يقول:

الامام هو المنصوب من الله، الامام هو المنصوب من قبل رسول الله، الامام هو المعصوم، الامام هو العالم بالغيب.

أضف إلىٰ ذلك:

انّ الله عزّوجلّ قد قرن الصلاة علىٰ رسول الله مع الصلاة على آله الأطهار تكريماً لهم وشهادة علىٰ عصمتهم:

﴿إِنَّ ٱللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

---

١. سورة المائدة (٥): ٥٥.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٤.

هذه الصلاة الخالدة التي لا تتمّ الصلاة اليوميّة والفريضة الالهيّة إلّا بها فهي واجبة الذكر بعد التشهّد في كلّ صلاة وما أعظمه من تكريم كرّم الله عزّوجلّ عباده الذين اصطفاهم وأورثهم الكتاب.

وهذه كتب أهل السنّة تشهد بهذه الحقيقة:

قال النيسابوري في تفسيره عند قوله تعالىٰ: ﴿قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾[١]:

«كَفىٰ شَرَفاً لآلِ الرَّسُولِ وَفَخْراً التَّشَهُّدُ بِذِكْرِهِمْ وَالصَّلوةُ عَلَيْهِمْ فِي كلِّ صَلاةٍ»[٢].

وروى محبّ الدين الطبري عن جابر رضي الله عنه أنّه كان يقول:

لو صلّيت صلاة لم أُصلّ فيها علىٰ محمّد وآل محمّد، ما رأيتُ أن تُقبل[٣].

---

١. سورة الأنعام (٦): ٩٠.
٢. الغدير: ٢/ ٣٠٤.
٣. الذخائر: ١٩.

الفصل السابع

الامامة والتوسّل

نفتتح هذا الفصل بما قاله:

«لدينا تشيع ملامحه خطبة سيّد الشهداء في يوم عاشوراء وخُطب نهج البلاغة والأدعية من قبيل دعاء الحسين في يوم عرفة.

ولدينا تشيّع آخر من ملامحه التوسّل بشفاعة الأئمّة بدل التوكّل على الذات الربوبيّة».

نقول: لنتدبّر في هذه الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَٱبْتَغُوا إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

وعبارة «وابتغوا إليه الوسيلة» واضحة في مدلولها ومعناها ثمّة وسيلة يتوجب على المؤمنين أن يبتغوها للتقرّب من الله عزّوجلّ.

---

١. سورة المائدة (٥): ٣٥.

والتوسّل يعني اعتماد وسائل؛ وعودة إلى النص في الفصل الأوّل ندرك أن أهل البيت هم الوسيلة إلى الله والتي يتوجب علينا أن نبتغيها:

«... وَجَعَلْتَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ، وَالْمَسْلَكَ إِلَى جَنَّتِكَ»[١].

وقد أشار المحاضر إلىٰ التشيّع الأوّل والذي من ملامحه نهج البلاغة وخطبه البليغة الصادرة عن الامام علي عليه السلام وهذه خطبة تشير بصراحة إلىٰ أهل البيت عليهم السلام ودورهم في الهداية وإلىٰ مكانتهم الرفيعة:

«فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ وَالْأَعْلامُ قَائِمَةٌ، وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ! وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ، وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ! وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وَأَعْلامُ الدِّينِ، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ»[٢].

وقوله عليه السلام:

«بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى»[٣].

وكذلك قوله عليه السلام:

نَحْنُ الشِّعَارُ وَالْأَصْحَابُ وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ، وَلا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلّا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً. فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا»[٤].

وفي هذه النصوص نلاحظ انّ الامام يصف أهل البيت الكرام عليهم السلام بهذه الصفات أدناه:

---

١. صحيفة السجاديّة، دعاء يوم عرفة.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ٨٧.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٢.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٤.

الأعلام قائمة، الآيات الواضحة، المنار المنصوبة، أزمّة الحقّ، أعلام الدين، ألسنة الحقّ، شجرة النبوّة[١]، محطّ الرسالة، مختلفُ الملائكة، كنوز الرحمن، معادن العلم، ينابيع الحكم، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، نحن الأصحاب، والخزنة والأبواب، بنا يستعطي الهدى[٢]، ويستجلى العمى، الأئمّة قوّامُ الله على خلقه[٣]، وعُرفاؤه على عباده، فلا يدخل الجنّة إلّا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرهم وأنكروه، فيهم كرائم القرآن، فعلم علّم الله نبيّه فعلّمنيه[٤]، وإن صمتوا لم يسبقوا[٥].

وفي مضمار قوله «... ومن أتاها من غير بابها سُمّي سارقاً» أليس هذا النص أصداء للحديث النبويّ الشريف في حقّ عليّ الذي يقول فيه ﷺ.

«أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا وَهَلْ تُدْخَلُ الْمَدِينَةُ إِلّا مِنْ بَابِهَا»[٦].

أفلا يدلّ هذا الحديث الشريف على أنّ المعلّم للقرآن الكريم يوجد حصراً في أهل البيت عليهم السلام وأنّ آل محمّد الكرام هم الطريق الوحيد لبلوغ العلوم الوحيانيّة؟!

لقد وصف الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة أهل البيت بأنّهم مختلف الملائكة ماذا يعني هذا التوصيف: «كنوز الرحمن؟» «معادن العلم؟» «الخزنة والأبواب» و...

وأمّا قوله:

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٣٤.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٢.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٨.
٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٤.
٦. التوحيد للصدوق: ٣٠٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧/٢١٩ و٩/١٦٥.

«لو أنّنا قارنّا ملامح التديّن في زماننا والذي يستند إلىٰ هذه الأُمور «الفوق البشريّة» للأئمّة في الأدعية الشيعيّة لوجدنا سنخين من الدعاء والزيارة: السنخ الأوّل متعلّق بطريقة التفكير الأولى (التشيّع الأوّل) والسنخ الثاني متعلّق بطرز التفكير الثاني (تشيع المفوّضة الاعتدالي).

السنخ الأوّل: دعاء كميل، أبو حمزة، أدعية الصحيفة السجاديّة، المناجاة الشعبانيّة ودعاء عرفة، لا توجد في هذه الأدعية مفردة واحدة من الاتّكاء والتوسّل بغير الله، فكلّ ما هو موجود خطاب مباشر مع الله عزّوجلّ.

هذه هي الملامح الأصليّة للشيعة والامامة التي ننشدها.

فعلىٰ سبيل المثال لنقارن دعاء التوسّل مع دعاء كميل، دعاء الفرج مع دعاء أبي حمزة الثمالي، ودعاء الندبة مع دعاء عرفة، ستلاحظون الاختلاف في (فهم الدين) اسمحوا لي أن أقول انّ لدينا مذهبين، تشيعين».

نقول:

انّه ذكر ملامح التشيّع من «السنخ الأوّل» وهي أدعية الصحيفة السجاديّة، دعاء كميل، دعاء أبي حمزة الثمالي ودعاء عرفة هذه ملامح التشيّع الذي يدعو إليه.

والسؤال هنا: هل ان هذه الأدعية نصوص صادرة عن الأئمّة عليهم السلام أم مقولات للشيعة؟!

ان أحد الأساليب التي استخدمها الأئمّه لنشر الحقائق الوحيانيّة من آل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وبسبب أجواء القهر السياسي هي الأدعية.

ان تقسيم التشيّع إلىٰ قسمين: «التشيّع الأوّل» و «تشيّع المفوّضة الاعتدالي»

إنّما جاء نتيجة لرؤيتين تجاه إلى العلوم المنتشرة والصادرة عن «دار العلم الالهي».

من الضروري واستكمالاً لدفع الشبهة في هذا المضمار أن أحيل القارئ إلىٰ موضوع التفويض في هذه الدراسة:

ما فوّض إلى النبيّ ﷺ فهو مفوّض إلينا.

واثبات العصمة في الامام المعصوم:

وعلى أيّة حال، لقد تأسّست دار العلم الالهي من أجل تدريس وبيان العلوم الوحيانيّة إلّا انّها وبعد رحلة مؤسّسها اقتضت السياسات الحاكمة ومن أجل الاستمرار في الحكم الحؤول دون نشاط هذه الدار ومنع تنوير الرأي العام بالعلوم الوحيانيّة هذه العلوم التي لا يملكها إلّا أفراد معدودون:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[1].

والذي حدث بعد رحيل الرسول إلى الرفيق الأعلىٰ ما أشار إليه الامام علي عليه السلام في كتاب نهج البلاغة في احدى الخطب التي كان الامام يسعىٰ من خلالها إلى اضاءة ضمير الرأي العام:

«حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلائِجِ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ، قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا فِي

---

١. سورة فاطر (٣٥): ٣٢.

السَّكْرَةِ، عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ»[1].

وبعد هذا الانقلاب الواضح على الشرعيّة اتّجه الأئمّه من أهل البيت الكرام إلى انتهاج الوسائل الممكنة في نشر معارف وحي الالهي، فكانت الأدعية والمناجاة قوالب خالدة لتنوير ضمير الرأي العام في عصورهم وفي ضمير الأجيال القادمة، فكانت هذه الأدعية والمناجاة كلمات مضيئة تشرق على القلوب النابضة التي تهفوا إلى النور.

«كلامكم نور» ولذلك فهي تشتمل علىٰ بيان حقائق النظام التشريعي يعني بيان العلوم الوحيانيّة.

وهذا مقطع من دعاء عرفة علىٰ سبيل المثال:

«يَا مَنْ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ، يَا مَنْ لَا يَعْلَمُ مَا هُوَ إِلَّا هُوَ، يَا مَنْ لَا يَعْلَمُ مَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ».

هذا جانب من علوم التوحيد الخالص ومعرفة الله وتصريح بامتناع هذه المعرفة واستحالتها لأنّه لا يعرف من هو إلّا هو.

ومع وجود هذه المعارف الصادرة عن أهل بيت رسول الله ﷺ في بيان علوم الوحي الالهي نشاهد «المتصوّفة» يتابعون أجدادهم من الزرادشتيين في إيران القديمة (ما قبل ظهور الاسلام) أو الزنادقة (وفق ما ورد في نصوص أهل البيت [الزنادقة معرب زندي وجمعه زنادقة]) نراهم يزعمون انّهم بلغوا معرفة ماهيّة

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٠.

الله! وكيفيّته لأنّه:

«في كلّ لحظة يظهر علىٰ نحو صنم يفتن القلب ويختفي»!!

«هو كلّ الأشياء»!!!

لنتأمّل في ما قال:

«السنخ الأوّل: دعاء كميل، أبو حمزة، أدعية الصحيفة السجاديّة، المناجاة الشعبانيّة ودعاء عرفة في هذه الأدعية لا توجد كلمة توسّل واتّكاء بغير الله، كلّ ما هو موجود توجّه مباشر إلى الله. هذه هي الملامح الاصليّة للشيعة والامامة التي ننشدها.

ان ما قاله حول:

«الملامح الأصلية للشيعة والامامة هي الصحيفة السجادية المناجاة الشعبانيّة ودعاء عرفة».

«حقيقة» لا ينكرها أحد.

ولكن الخلاف الواقع والعاري عن الحقيقة هو قوله: «في هذه الأدعية لا توجد كلمة اتّكاء وتوسّل بغير الله».

لماذا؟!

لأنّنا نرى الامام السجاد عليه السلام في نفس هذه الصحيفة السجاديّة يتحدّث عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام باعتبارهم «الوسيلة» التي أمر الله عزّوجلّ المؤمنين بابتغائها «وابتغوا إليه الوسيلة» من أجل بلوغ رضاه ودخول الجنّة.

«جَعَلْتَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ، وَالْمَسْلَكَ إِلىٰ جَنَّتِكَ».

يقول الامام السجّاد عليه السلام:

«رَبِّ صَلِّ عَلَى أَطَايِبِ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لِأَمْرِكَ، وَجَعَلْتَهُمْ خَزَنَةَ عِلْمِكَ، وَحَفَظَةَ دِينِكَ، وَخُلَفَاءَكَ فِي أَرْضِكَ، وَحُجَجَكَ عَلَى عِبَادِكَ، وَطَهَّرْتَهُمْ مِنَ الرِّجْسِ وَالدَّنَسِ تَطْهِيراً بِإِرَادَتِكَ، وَجَعَلْتَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ، وَالْمَسْلَكَ إِلَى جَنَّتِكَ»[1].

أليس هذا النص موجود في الصحيفة السجاديّة؟

ألا يفنّد هذا النص مزاعم من يقول: «انّ هذه الأدعية تخلو حتّى من كلمة اتّكاء وتوسّل بغير الله».

١ ـ ما ورد في دعاء أبي حمزة الثمالي

«وَ ارْزُقْنَا حَجَّ بَيْتِكَ وَزِيَارَةَ قَبْرِ نَبِيِّكَ صَلَوَاتُكَ وَرَحْمَتُكَ وَمَغْفِرَتُكَ وَبَرَكَاتُكَ وَرِضْوَانُكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ إِنَّكَ قَرِيبٌ مُجِيبٌ... وَارْزُقْنِي حَجَّ بَيْتِكَ الْحَرَامِ فِي عَامِنَا وَفِي كُلِّ عَامٍ وَزِيَارَةَ قَبْرِ نَبِيِّكَ والأَئِمَّةِ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِمْ وَلا تُخْلِنِي يَا رَبِّ مِنْ تِلْكَ الْمَشَاهِدِ الشَّرِيفَةِ وَالْمَوَاقِفِ الْكَرِيمَة... اللَّهُمَّ بِذِمَّةِ الإِسْلَامِ أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ وَبِحُرْمَةِ الْقُرْآنِ أَعْتَمِدُ عَلَيْكَ وَبِحُبِّيَ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ الْعَرَبِيِّ التِّهَامِيِّ الْمَكِّيِّ الْمَدَنِيِّ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَرْجُو الزُّلْفَةَ لَدَيْكَ فَلا تُوحِشِ اسْتِينَاسَ إِيمَانِي... وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُصْطَفَى وَآلِهِ خِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتكَ عَلَيْهِ وَآلِه...

---

١. الصحيفة السجاديّة، دعاء يوم عرفة.

وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَبَداً مَا اسْتَعْمَرْتَنِي... وَأَلْحِقْنِي بِأَوْلِيَائِكَ الصَّالِحِينَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْأَبْرَارِ الطَّيِّبِينَ الْأَخْيَارِ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ وَعَلَى أَرْوَاحِهِمْ وَ أَجْسَادِهِمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه...».

أليس هذا توسل؟

ثمّ لماذا يطلب الامام حجّ بيت الله وزيارة قبر النبي ﷺ والأئمّة عليهم السلام، أليست هذه الأُمور وسائل للوصول إلىٰ أمر أصيل آخر يعني القرب من الله والزلفة لديه؟!

أليس هذا التوسّل بالمشاهد الشريفة والمواقف الكريمة وبذمّة الاسلام والتوسّل بحبّ النبيّ ﷺ اعتراف بتوحد الطاعة لرسول الله مع طاعة الله؟!

وقد جاء في الأثر:

وقرن طاعتكم بطاعته.

فكيف يقول القائل:

«لا توجد في هذه الأدعية كلمة واحدة من الاتّكاء والتوسّل بغير الله!!».

٢ ـ دعاء عرفة

«اللّٰهُمَّ إِنَّا نَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ فِي هٰذِهِ الْعَشِيَّةِ الَّتِي شَرَّفْتَها وَعَظَّمْتَها بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ وَخِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ وَأَمِينِكَ عَلَىٰ وَحْيِكَ، الْبَشِيرِ النَّذِيرِ، السِّرَاجِ الْمُنِيرِ، الَّذِي أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَجَعَلْتَهُ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ. اللّٰهُمَّ فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَما مُحَمَّدٌ أَهْلٌ لِذٰلِكَ مِنْكَ يَا عَظِيمُ فَصَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ

الْمُنْتَجَبِينَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ».

وفي هذه النص نلاحظ انّ التوجّه إلى الله عزّوجلّ هو توجّه مباشر والحمد والشكر له علىٰ نعمته في إرسال رسوله محمّد بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً ثمّ الصلاة علىٰ محمّد وآله محمّد الذي جعله رحمة للعالمين هذه الرحمة التي وسعت كلّ شيء.

وقد لاحظنا في دعاء عرفة انّ الله انتجب اهل البيت.

فاذاكان البعض ينظر إلىٰ دعاء عرفة كأحد الشواخص في التشيّع المنشود فهذا التعبير ورد في هذا الدعاء.

أليس هذا يناقض ما يذهب إليه في عدم رؤيته لنص يشير إلى انّ الامام الحسين أجاب عن سؤال مهم:

«من هو الامام؟» أنّه قال: الامام هو المنصوب من قبل الله...» وعلى افتراض صحّة ما ذهب إليه المحاضر في مضمار التفويض وأنّه قلّل من دور وشأن وقيمة الوحي فانّ الباعث على هذا التوجّه طريقان:

١ ـ التوجّه المباشر إلى الله.

٢ ـ التوجّه علىٰ نحو غير مباشر إلى الله من خلال تعريف وسائط.

١ ـ التوجّه المباشر إلى الله تعالىٰ:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللهِ ﴾[1].

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[2].

---

١. سورة البقرة (٢): ١١٥.

٢. سورة الأنعام (٦): ١٦٤.

﴿ قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى ٱللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾[١].

﴿ فَلاَ تَدْعُ مَعَ ٱللهِ إِلٰهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾[٢].

﴿ فَاعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ﴾[٣].

﴿ ذٰلِكَ بِأَنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ ٱلْبَاطِلُ ﴾[٤].

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾[٥].

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٦].

٢ ـ التفويض أو اصطفاء أشخاص أئمّة أدلّاء وهداة إلى الله.

﴿ إِنَّ ٱللهَ ٱصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَٱللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٧].

﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾[٨].

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾[٩].

انّ الله عزّوجل اصطفىٰ إبراهيم عليه السلام وذريّته وجعل فيهم الامامة.

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[١٠].

---

١. سورة يوسف (١٢): ١٠٨.
٢. سورة الشعراء (٢٦): ٢١٣.
٣. سورة مريم (١٩): ٦٥.
٤. سورة الحج (٢٢): ٦٢.
٥. سورة قريش (١٠٦): ٣.
٦. سورة الذاريات (٥١): ٥٦.
٧. سورة آل عمران (٣): ٣٣ ـ ٣٤.
٨. سورة البقرة (٢): ١٢٤.
٩. سورة الأنبياء (٢١): ٧٣.
١٠. سورة البقرة (٢): ١٢٩.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللهِ ﴾[١].

وقد فوّض الله عزّوجل القيادة إلىٰ أنبيائه ورسله:

﴿ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾[٢].

وأيّد رسوله عيسى عليه السلام بروح القدس:

﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾[٣].

ووهبه القدرة على الخلق بإذنه وشفاء المرضى باذنه واحياء الموتىٰ بإذنه سبحانه وتعالىٰ:

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَ * وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ ٱللهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[٤].

فهل انّ التمسّك من لدن امّة المسيح برسول الله عيسى هو بمعنى الخروج من التوكّل (على الله) إلى التوسّل (بغير الله)؟!

أم انّ ذلك حصل لأنّ الله عزّوجلّ أيّد رسوله عيسى بن مريم بالمعجزات وبروح القدس؟

ولقد سخّر الله لعباده ما في السماوات وما في الأرض.

---

١. سورة النساء (٤): ٦٤.
٢. سورة البقرة (٢): ١٣٦.
٣. سورة البقرة (٢): ٨٧.
٤. سورة آل عمران (٣): ٤٨ ـ ٤٩.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللهَ سَخَّرَ لَكُم مَا فِي ٱلسَّمٰوٰاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[١].

ألا يعني التسخير حالة من التفويض الالهي؟

قال تعالىٰ:

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾[٢].

والآن لنتأمّل في هذه الآيات الكريمة:

﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٣].

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٤].

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[٥].

ألا تدلّ هذه الآيات علىٰ وجوب الطاعة لأشخاص بعينهم؟ خاصّة وأنّ الله عزّوجلّ فوّض إليهم مهمّة السيادة التشريعيّة ولأنّهم يهدون عباده إلى الصراط المستقيم.

ونصبهم مشرفين على أعمال عباده.

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ ٱللهَ ٱلَّذِي لَهُ مَا فِي

---

١. سورة لقمان (٣١): ٢٠.
٢. سورة مريم (١٩) ٦٧.
٣. سورة النساء (٤): ٥٩.
٤. سورة المائدة (٥): ٥٥.
٥. سورة محمّد (٤٧): ٣٢.

ٱلسَّمٰوٰاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[١].

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ... ﴾[٢].

لقد فوّض الله عزّوجلّ رسوله وأهل بيت رسوله مهمّة الاشراف على أعمال عباده.

لذلك جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة:

«إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ذُنُوباً لا يَأْتي عَلَيْها إِلاّ رِضاكُمْ، فَبِحَقٍّ مَنِ ائْتَمَنَكُمْ عَلىٰ سِرِّهِ، وَاسْتَرْعاكُمْ اَمْرَ خَلْقِهِ، وَقَرَنَ طاعَتَكُمْ بِطاعَتِهِ، لَمَّا اسْتَوْهَبْتُمْ ذُنُوبي وَكُنْتُمْ شُفَعآئي، فَإِنّي لَكُمْ مُطيعٌ، مَنْ اَطاعَكُمْ فَقَدْ اَطاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصاكُمْ فَقَدْ عَصَى اللهَ»[٣].

انّ هذه النصوص المقتبسة من الزيارة الجامعة الكبيرة تتناغم تماماً مع النصوص الواردة في القرآن الكريم ونهج البلاغة والصحيفة السجاديّة التي هي من ملامح التشيّع المنشود لدى البعض.

١ ـ استرعاكم أخر خلقه[٤].

وإنّما الأئمّة قوام الله على خلقه[٥]

٢ ـ قرن طاعتكم بطاعته من أطاعكم فقد أطاع الله[٦].

﴿ أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[٧].

---

١. سورة الشورى (٤٢): ٥٢ ـ ٥٣.
٢. سورة التوبة (٩): ١٠٥.
٣. الزيارة الجامعة الكبيرة.
٤. الزيارة الجامعة الكبيرة.
٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٢.
٦. الزيارة الجامعة الكبيرة.
٧. سورة النساء (٤): ٥٩.

وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَبَداً مَا اسْتَعْمَرْتَنِي[1].

انّ الله عزّوجلّ قد جعل رسوله ﷺ و آل بيته الكرام مسؤولين عن تطبيق النظام التشريعي:

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمَهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[2].

وأمّا قوله:

«لا أريد القول انّ هذه المفاهيم ليست صحيحة! أريد أن أقول: انّ ملامح الامامة في بداية الأمر كانت شيئاً آخر واليوم أصبحت شيئاً آخر.

في البداية كانت القرآن، العدالة، محوريّة الحق وتهذيب النفس ثمّ أصبحت تدريجيّاً: النصب، النص، العصمة وعلم الغيب».

ألا يعني هذا القول انكاراً لمسألة النصب والنص والعصمة وعلم الغيب؟!

مع انّ هذه المفاهيم قد وردت في خطبة الغدير:

«فَاعْلَمُوا مَعَاشِرَ النَّاسِ! ذلِكَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيّاً وَإِمَاماً، وَفَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ».

وكذلك قوله ﷺ:

«وَهُوَ أَخِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَهُوَ فِيكُمْ بِمَنْزِلَتِي فِيكُمْ، فَقَلِّدُوهُ دِينَكُمْ

---

١. دعاء أبي حمزة الثمالي.
٢. سورة آل عمران (٣): ١٦٤.

وَأَطِيعُوهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ، فَإِنَّ عِنْدَهُ جَمِيعَ مَا عَلَّمَنِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ فَاسْأَلُوهُ وَتَعَلَّمُوا مِنْهُ وَ مِنْ أَوْصِيَائِهِ بَعْدَه»[١].

ويقول الامام علي عليه السلام:

«إِنَّ اللهَ طَهَّرَنَا وَعَصَمَنَا وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَّتَهُ فِي أَرْضِهِ وَجَعَلَنَا مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنَ مَعَنَا لا نُفَارِقُهُ وَلا يُفَارِقُنَا»[٢].

ويقول الامام السجّاد عليه السلام في الصحيفة السجاديّة:

«رَبِّ صَلِّ عَلَى أَطَايِبِ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لِأَمْرِكَ، وَجَعَلْتَهُمْ خَزَنَةَ عِلْمِكَ... وَجَعَلْتَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ، وَالْمَسْلَكَ إِلَى جَنَّتِكَ...».

وقوله:

«اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عَلَماً لِعِبَادِكَ، وَمَنَاراً فِي بِلَادِكَ بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَجَعَلْتَهُ الذَّرِيعَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ، وَافْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ، وَحَذَّرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَأَمَرْتَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَالِانْتِهَاءِ عِنْدَ نَهْيِهِ».

وقال صادق آل محمّد عليه السلام:

أَمَا تَرَى اللهَ يَقُولُ: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾[٣] يَقُولُ لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَنْصِبُوا إِمَاماً مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِكُمْ تُسَمُّونَهُ مُحِقّاً بِهَوَى أَنْفُسِكُمْ وَإِرَادَتِكُمْ.

ثُمَّ قَالَ: ثَلاثَةٌ ﴿لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤]: مَنْ أَنْبَتَ شَجَرَةً لَمْ يُنْبِتْهُ اللهُ، يَعْنِي: مَنْ نَصَبَ إِمَاماً لَمْ

---

١. الاحتجاج: ١/١٤٨؛ بحار الأنوار: ٣١/٤١٠؛ كمال الدين: ١/٢٧٧.
٢. الكافي: ١/١٩١.
٣. سورة النمل (٢٧): ٦٠.
٤. سورة البقرة (٢): ٧٤.

يَنْصِبْهُ اللهُ، أَوْ جَحَدَ مَنْ نَصَبَهُ اللهُ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ لِهَذَيْنِ سَهْماً فِي الْإِسْلامِ. وَقَدْ قَالَ اللهُ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾[1].

وقال ثامن حجج الله عزّوجلّ الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

وَأَمْرُ الْإِمَامَةِ مِنْ تَمَامِ الدِّينِ، وَلَمْ يَمْضِ صلى الله عليه وآله حَتَّى بَيَّنَ لِأُمَّتِهِ مَعَالِمَ دِينِهِمْ، وَأَوْضَحَ لَهُمْ سَبِيلَهُمْ، وَتَرَكَهُمْ عَلَى قَصْدِ سَبِيلِ الْحَقِّ، وَأَقَامَ لَهُمْ عَلِيّاً عَلَماً وَإِمَاماً، وَمَا تَرَكَ لَهُمْ شَيْئاً يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ إِلّا بَيَّنَهُ».

«الْإِمَامُ الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالْمُبَرَّأُ عَنِ الْعُيُوبِ، الْمَخْصُوصُ بِالْعِلْمِ».

وقال عليه السلام:

«فَهُوَ مَعْصُومٌ مُؤَيَّدٌ مُوَفَّقٌ مُسَدَّدٌ قَدْ أَمِنَ مِنَ الْخَطَايَا وَالزَّلَلِ وَالْعِثَارِ. يَخُصُّهُ اللهُ بِذَلِكَ لِيَكُونَ حُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَشَاهِدَهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ».

لنتأمّل في قول أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

«وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ وَلا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ وَلا يَدْخُلُ النَّارَ إِلّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوه»[2].

وقوله عليه السلام:

«بِنا يُستعطى الهدى، ويُستجلى العمى»[3].

في مقابل ما ورد من نصوص قرآنيّة:

---

١. سورة القصص (٢٨): ٦٨.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٢.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٤.

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾[١].

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾[٢].

﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾[٣].

﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾[٤].

لقد اصطفى الله سبحانه أهل بيت رسوله أئمّة هداة وأورثهم الكتاب ليكونوا الوسيلة إلىٰ بلوغ رضاه وهذا من نعم الله:

﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[٥].

يقول الامام الباقر عليه السلام:

«بِنَا عُبِدَ اللهُ وَبِنَا عُرِفَ اللهُ وَبِنَا وُحِّدَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَمُحَمَّدٌ حِجَابُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»[٦].

وهذا يعني انّ الله تعالىٰ جعل محمّداً وآله صلوات الله عليهم أجمعين وسيلة لمعرفته وبلوغ توحيده وسبباً في القربىٰ إليه والزلفى لديه.

---

١. سورة الليل (٩٢): ١٢.
٢. سورة البقرة (٢): ٢٧٢.
٣. سورة الإسراء (١٧): ٩٧.
٤. سورة القصص (٢٨): ٥٦.
٥. سورة لقمان (٣١): ٢٠.
٦. الكافي: ١/ ١٤٥.

الفصل الثامن

التصوّف والتشيّع

يقول المحاضر:

«من المؤسف ان هذا الانحراف في فهم الامامة لم يكن بمنأىٰ عن تأثير التصوّف.

انّ نظريّة الانسان الكامل التي طرحها التصوّف أفضت فيما بعد إلىٰ هذا النوع الثاني من فهم الامامة الشيعيّة (امامة التفويض الاعتدالي).

لقد انطلق كلّ من التصوّف والتشيّع جنباً إلىٰ جنباً في هذا الطريق... والخلاصة انّ التصوّف وقرائته للتشيّع يؤيّد أحدهما الآخر انطلقا معاً وخلقاً مشكلة أفضت إلىٰ صناعة المذهب الرسمي».

نقول:

هل انّ التصوّف من معطيات الاسلام؟ أبداً!

ذلك أنّ:

«ما هو مسلّم به انّه لم تكن في فترة صدر الاسلام وعلىٰ الأقلّ في القرن الهجري الأوّل لتوجد مجموعة تحت عنوان «المتصوّفة» أو الصوفيّة بين ظهراني المسلمين ولم يكن هناك من يعرف بـ«الصوفي»[١].

و«لم يكن ثمّة وجود لمجموعة بين المسلمين تدعىٰ بـ«العرفاء» أو «الصوفيّة» في القرن الهجري الأوّل»[٢].

يستمدّ التصوّف جذوره من الثقافة الهنديّة والايرانيّة القديمة ويعود تحديداً إلىٰ الـ«زندقة» التي هي الكلمة المعربة عن «زندكيشي» والذي قام ببعثها فلسفيّاً الفيسلوف اليوناني «افلوطين».

وكان افلوطين قد سافر إلىٰ إيران والهند في عام ٢٤٤ ميلادي وتأثّر بالثقافة الزرادشتية السائدة في إيران والبوذيّة في الهند.

وبعد عودته إلىٰ بلاده بادر إلىٰ تأسيس مدرسته الفلسفيّة الجديدة تحت عنوان «الافلاطونيّين الجدد» وصدر كتابه المعروف «اثولوجيا» الذي ترجم إلى العربيّة ابان الحكم العبّاسي ضمن حمىٰ ترجمة الكتب الفلسفيّة اليونانيّة[٣].

وينهض هذا الكتاب في جميع قضاياه على مسألة الاتّحاد الوجودي بين الله والخلق وظهور الله بصورة الكائنات الذي هو شعار الزرادشتيّين قبل ظهور الاسلام.

كلّ شيء موجود هو «ايزد» وليس لشيء وجود عدا الاله[٤].

---

١. آشنايي با علوم اسلامي، مطهري: ٩٥ (نبذة عن العلوم الاسلاميّة).

٢. الموسوعة اللغوية الفارسيّة لدهخدا، ذيل «صوفي».

٣. المصدر السابق.

٤. المصدر نفسه.

هذا هو شعار الزنادقة قبل الاسلام:

«هو كلّ الأشياء».

«ليس في الدار غيره ديّار».

ولقد ورد ذكرهم « الزنادقة» في نصوص مسندة إلىٰ أئـمّة أهـل البـيت عليهم السلام وأشارت إليهم كتب الاماميّة من قبيل ما ورد في كتاب مجمع البحرين:

الزنادقة قومٌ من المجوس يقال لهم الثنويّة: النور مبدأُ الخيرات، والظلمة مبدأ الشرور، وقيل: مأخوذ من الزند، وهو كتاب الفهلويّة كان لزردشت المجوس[1].

وجاء في كتاب بحار الأنوار:

المجوس يلقّبون بالزنادقة، لأنّ الكتاب الذي زعم زردشت أنّه نزل عليه من عند الله المسمّى بالزند والمنسوب إليه بالزندي، ثمّ عُرّب فقيل: زنديق، ثمّ جمع فقيل: زنادقة[2].

انّ من شروط وحدة الوجود أو الاتّحاد الوجودي بين الخالق والمخلوقات هو شراكة الموجودات مع الله في الوجود وفي جميع الكمالات التي ينهض ويقوم بها الوجود وهذه الشراكة في ثقافة الاسلام شرك محض الذي هو ظلم عظيم.

﴿إنّ الشرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

و«ذنبٌ لا يُغفر».

---

١. الموسوعة اللغوية الفارسيّة لدهخدا، ذيل «زنديق».

٢. بحار الأنوار: ٦٣/ ٤٦.

بينما تنهض ثقافة الاسلام علىٰ:

«وحده لا شريك له».

«الحمد لله الذي لا شريك له في خلقه»[١].

أمّا المتصوّفة فهم من أهل السنّة وإذا ما وجد بين الشيعة عدد منهم فان أئمّتهم الحقيقيّين هم رجال الصوفيّة من أهل السنّة من قبيل ابن عربي وأضرابه، وهؤلاء معروف عداؤهم لأهل البيت الكرام عليهم السلام وهم ينعتون الشيعة بألوان النعوت السيّئة ويرونهم في صور الخنازير ويقولون انّ معلّمهم الشيطان! الذي يغويهم.

لاحظ هذا النص:

ومنهم الرجبيّون وهم أربعون نفساً في كلّ زمان لا يزيدون ولا ينقصون وهم رجال حالهم القيام بعظمة الله...

لقيتُ واحداً منهم بدنيسير من ديار بكر ما رأيت منهم غيره وكنت بالأشواق على رؤيتهم، ومنهم من يبقى عليه في سائر السنة أمرٌ ما ممّا كان يكاشف به في حاله في الرجب ومنهم من لا يبقى عليه شيء من ذلك، وكان هذا الذي رأيته قد أبقى عليه كشف الروافض من أهل الشيعة سائر السنة، فكان يراهم خنازير... وهي «صورة الخنزير» العلامة التي جعلها الله في أهل هذا المذهب[٢].

أو:

فانّ الشياطين ألقت إليهم أصلاً صحيحاً لا يشكّون فيه ثمّ طرأت عليهم

---

١. دعاء الافتتاح.

٢. الفتوحات المكيّة: ٢/ ٨.

التلبيسات من عدم الفهم حتّى ضلّوا فينسب ذلك إلى الشيطان بحكم الأصل ولو علموا أنّ الشيطان تلميذ له يتعلّم منه وأكثر ما ظهر ذلك في الشيعة ولاسيّما في الاماميّة منهم...[١]

وهذا الغزالي لا يذكرهم إلّا قال: «خذلهم الله»[٢].

وهو يعلّل كلّ ما حصل من تمرّد في الشام بقيادة معاوية واراقة الدماء في حرب صفّين وما نجم عنها من آلاف القتلىٰ والمعاقين وآلاف اليتامىٰ والأرامل كان اجتهاداً من معاوية:

ما جرى بين معاوية وعلي عليه السلام كان مبنيّاً على الاجتهاد، لا منازعة من معاوية في الامامة... وقد قال أفاضل العلماء كلّ مجتهد مصيب[٣].

والشيعه دمهم مهدور!

إذا جاء إلينا رافضيّ وادّعى أنّه له دماً عند أحد، قلنا له: دمُك هدرٌ، لأن استيفائه مشروط بحضور إمامك، فاحضره حتّى يستوفي لك[٤].

وهم في عداد الكفّار والمشركين يلعنون مع لعن اليهود:

والصفات المقتضية للعن ثلاثة: الكفر والبدعة والفسق وللعن في كلّ واحدة ثلاث مراتب.

الأولى: اللعن بالوصف الأعم، كقولك: لعنة الله على الكافرين والمبتدعين والفسقة.

---

١. الفتوحات المكيّة: ١/ ٢٨٢.
٢. احياء العلوم: ٩/ ١٩.
٣. احياء العلوم: ٩/ ١٩.
٤. الاثناعشريّة للحرّ العاملي: ١٦٣.

الثانية: اللعن بأوصاف أخص منه، كقولك: لعنةُ الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض (الشيعة)[١].

وانّك لتجد في كتبهم اهانة لأئمّة أهل البيت حيث يرىٰ أحدهم في عالَم الكشف أبابكر أفضل من علي ألف مرّة[٢].

وهذا مولانا جلال الدين (مولوي) شأنه شأن متصوّفة أهل السنّة يصرّح بعدائه للشيعة ليس بسبب كونه أشعريّاً وإنّما لتصوّفه، ومعروف موقفهم ازاء أئمّة أهل البيت الكرام ومن ثمّ بالتبع شيعتهم.

وله أشعار تمجّد السنّة وتنعى على المعتزلة والشيعة عقائدهم، فهو يفتخر بسنيّته وخصومته مع المعتزلة والشيعة:

لست رافضيّاً ولكنّني مؤمن طاهر وخصم للمعتزلة.

وديوانه «مثنوي» طافح بهذا العداء[٣].

وقد أشرنا فيما مضىٰ كيف حول المذبحة التي ارتكبها خوارزم شاه بحق أهالي سبزوار الشيعة إلىٰ ملحمة يتغنىٰ بها وبطولات يطرب على وقع ما جرىٰ فيها من سفك للدماء لأنّه لم يجد بين أهالي سبزوار شخصاً اسمه أبوبكر فاستحقّوا بذلك القتل!![٤]

قال رجل من أصحابنا للصادق جعفر بن محمد عليه السلام:

قد ظهر في هذا الزمان قومٌ يقال لهم الصوفيّة، فما تقول فيهم؟

---

١. احياء العلوم: ٣/١١٩.
٢. الاثناعشريّة للحرّ العاملي: ١٦٣.
٣. انظر ديوان جلال الدين مولانا «مثنوي» الصفحات: ٢٠٣، ٤٧٨، ٥٤١، ٥٦٨.
٤. المصدر السابق، الدفتر الخامس، ص٨٦٢.

قال صلوات الله عليه:

«انّهم أعداؤنا فمن مال إليهم فهو منهم ويحشر معهم وسيكون أقوامٌ يدّعون حُبّنا ويميلون إليهم ويتشبّهون بهم ويلقّبون أنفسهم ويأوّلون أقوالهم، ألا فمن مال إليهم فليس منّا وإنّا منه بُراء، ومن أنكرهم وردّ عليهم كان كمن جاهد الكفّار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله»[١].

«مَنْ ذُكِرَ عِنْدَهُ الصُّوفِيُّةُ وَلَمْ يُنْكِرْهُمْ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ أَنْكَرَهُمْ فَكَأَنَّمَا جَاهَدَ الْكُفَّارَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله»[٢].

وقال الامام علي بن محمّد الهادي عليه السلام:

«الصوفيّة كلّهم من مخالفينا وطريقتهم مغايرة لطريقتنا، وإن هم إلّا نصارىٰ ومجوس هذه الأُمّة، اولئك الذين يجهدون في اطفاء نور الله والله يُتمّ نوره ولو كره الكافرون... فمن ذهب إلىٰ زيارة أحد منهم حيّاً أو ميّتاً فكأنّما ذهب إلىٰ زيارة الشيطان وعبدة الأوثان، ومن أعان أحداً منهم فكأنّما أعان يزيد ومعاوية وأبا سفيان».

وقال رجل: إن كان معترفاً بحقوقكم؟!

قال: «فنظر إليه شبه المغضب وقال: دع عنك! من اعترف بحقوقنا لم يذهب بعقوقنا»[٣].

أليس هذا موقفاً واضحاً وصريحاً من المتصوّفة وعدم حرمة تكريمهم؟

---

١. الاثنا عشريّة: ٣٢؛ سفينة البحار: ٢/ ٥٧.

٢. الاثنا عشريّة: ٣٢؛ حديقة الشيعة للمقدّس الأردبيلي: ٥٦٣؛ مستدرك الوسائل: ١٢/ ٣٢٤.

٣. الاثنا عشريّة: ٢٨؛ سفينة البحار: ٢/ ٥٨.

فأين هو التأثير الذي أحدثه المتصوّفة في التشيع الرسمي؟ وأين هو هذا التعاضد بين التصوّف والتشيّع؟

ان ما حصل عشية رحيل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلىٰ هو مأساة كبرىٰ وانقلاب على الشرعيّة وانتكاسة في مسار الاسلام وحركته في صعيد:

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[1].

لأنّه كان من المفترض أن يتولّىٰ الخلافة وصيّ النبي ﷺ أوّل أئمّة أهل البيت عليهم السلام ومن اصطفاهم الله من بين عباده ليكون الأئمّة الهداة الطريق إلىٰ معرفته وقد اصطفاهم وأورثهم علم الكتاب.

«إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَلا تَصْلُحُ الْوُلاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ»[2].

وأثر ذلك الانحراف الأوّل عن مسار الخلافة بعد الرسول ﷺ تحوّلت «السيادة التشريعيّة» إلىٰ ملك استبدادي وتعاقب ملوك بني أميّة من آل أبي سفيان وآل مروان وبني العبّاس وسلاطين آل عثمان الأتراك وملوك إيران الفرس وتلقّبوا بأمرة المؤمنين[3].

وكانت حكوماتهم تحول دون تطبيق النظام التشريعي الاسلامي الحق في واقع الحياة لأنّه:

«لا تصلح الولاة من غيرهم».

---

١. سورة التوبة (٩): ٣٣.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٤.
٣. الموسوعة اللغوية الفارسيّة لدهخدا، ذيل «العثمانيّون».

وهكذا اتّبع الناس قادة غير مؤهلين للقيادة فأضلّوهم.

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ ٱللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[1].

ولأنّه مهما فعلوا ومهما حكموا ومهما امتدّ بهم الزمن واتّسعت امبراطوريّاتهم لن يبقىٰ لها أثر، لأنّ التحرّك في مسار مناهض ومناقض للنظام التشريعي الالهي محكوم بالفشل وهو امتحان واختبار للناس:

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[2].

ها هم سلاطين آل عثمان بامبراطوريتهم العظيمة حيث كانت بيارق وأعلام الدولة العثمانيّة تخفق في جزار بحر «ايجة» وفي ايطاليا فوق قصر «اترانتو».

وقد قهر السلطان سليم الأوّل خلال حكمه الذي دام ثمان سنوات إيران وانتزع منها كردستان وديار بكر واحتلّت جيوشه الشام ومصر والحجاز في عام ٩٢٢ هـ (١٥١٧ م) واستولىٰ علىٰ مكّة وقهر الخليفة العبّاسي في مصر وسلّمه الخلافة، ليصبح سلاطين آل عثمان أمراء للمؤمنين.

أمّا السلطان سليمان القانوني فقد احرز انتصارات باهرة فطارد امراء جزيرة رودس واستولىٰ على بلغراد.

وفي عام ٩٣٢ هـ (١٥٢٦ م) هزم الهنغاريين في سهول «موهاكن» وأسر ملكهم لؤي الثاني مع عشرين ألف من جنوده لتصبح هنغاريا تحت حكم العثمانيّين مدّة قرن ونصف من الزمن وفي عام ٩٣٥ هـ حاصر فينا عاصمة النمسا ولم يفك الحصار إلّا بعد دفع الجزية.

---

١. سورة محمّد (٤٧): ٢٨.
٢. سورة الإسراء (١٧): ٧.

والخلاصة انّ الامبراطوريّة العثمانيّة في عهد سليمان القانوني امتدّت من بودابست وضفاف الدانوب حتّى ثلاث اسوان في مصرومن ضفاف الفرات حتّى مضيق جبل طارق»[1].

أجل هاهم «خلفاء» الرسول ﷺ الذين استمرّ حكمهم ستّه قرون في اوربا، هل بقي أثر من الثقافة الاسلاميّة لدىٰ سكّانها؟ ان ما حصل هو العكس لقد خلّف حكمهم في تلك الأصقاع كراهيّة للاسلام استمرّت حتّى اليوم.

ولعلّ ما يحصل من اساءات واهانات للرسول ﷺ ومحاولات لحرق القرآن الكريم إنّما تعود جذورها إلىٰ تلك الكراهيّة القديمة.

الذي حصل هو انتاج نسخة مشوهة للدين الاسلامي ولّدت ردود فعل عنيفة لدىٰ الأمم والشعوب التي خضعت لحكمهم، فكانت سيرتهم الذاتيّة وميولهم وأهواؤهم وعقدهم النفسيّة تجيّر باسم الاسلام وتعكس صورة غاية في التشويه عن الدين الاسلامي الحنيف.

ومع ذلك فانّ الفكر السنّي يعتبر اولئك الحكّام والسلاطين أولياء الأمر ويقول بوجوب طاعتهم فهم أمراء المؤمنين وخلفاء الرسول الأكرم ﷺ.

وهذا جلال الدين مولانا (مولوي) في أشعاره يعتبر كلّ واحد من حكّامهم وليّاً للأمر والامام الحيّ القائم ولا فرق أن يكون هذا الامام الحيّ القائم من نسل عمر أو من ذريّة علي عليه السلام.

في حين ان مدرسة التشيّع ترىٰ انّ السيادة التشريعيّة وولاية الأمر هي من

---

١. الموسوعة اللغوية الفارسيّة لدهخدا، ذيل «العثمانيون».

حق عباد الله المنتجبين والذين اصطفاهم الله سبحانه.

«ولا تحلّ إمرةُ المؤمنين لاحد بعدي غيره»[١].

«ولا تُصلح الولاة من غيره»[٢].

وهذا رسول الله ﷺ في خطبة الغدير يحذّر من محاولات العدوان علىٰ هذه الشجرة المباركة:

«مَعاشِرَ النّاسِ، آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذي أُنْزِلَ مَعَهُ[٣]، **﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلىٰ أَدْبارِها أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنّا أَصْحابَ السَّبْتِ ﴾ النُّورُ مِنَ اللهِ ـ عَزَّوَجَلَّ ـ مَسْلُوكٌ فِيَّ، ثُمَّ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ، ثُمَّ فِي النَّسْلِ مِنْهُ إِلَى الْقائِمِ الْمَهْدِيِّ.**

مَعاشِرَ النّاسِ، إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي أَئِمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى النّارِ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ. وإِنَّ اللهَ وَأَنَا بَرِيئانِ مِنْهُمْ، انَّهُمْ وَأَنْصارَهُمْ وَأَتْباعَهُمْ وَأَشْياعَهُمْ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النّارِ وسيجعلونها مُلكاً اغتصاباً يفزعُ لكمْ أيُّها الثقلان! ويرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران».

واذن فانّه لا سنخيّة أبداً بين التصوّف بجذوره التي تمتدّ إلىٰ ما قبل ظهور الاسلام والثقافة الاسلاميّة بل العكس ثمّة تناقض بين الثقافتين.

وفي طليعة موارد هذا التناقض الصارخة هي مسألة الوجود ورصيد كل كائن من الوجود الحقيقي الواقعي.

---

١. الخطبة الغديريّة.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٤.
(٣) إشارة إلى الآية ٨ من سورة التغابن.

يقول القرآن الكريم:

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّماءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِين كَـفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ ٱلنَّارِ﴾[١].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمٰوٰاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلاَفِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي ٱلأَلْبَابِ * ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَـتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمٰوٰاتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَـاطِلاً سُـبْحَانَكَ فَـقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٢].

وأمّا التصوّف فيذهب إلىٰ خلاف ذلك فيقول:

الوجود وحده لواجب الوجود وما عداه وهم وخيال[٣].

ويقول ابن عربي:

فكلّ ما تدركه وجود الحقّ في أعيان الممكنات، فالعالم متوهّم ما له وجود حقيقي وهذا معني الخيال[٤].

ويقول أيضاً:

وإذا كان الأمر كما قرّرناه، فاعلم أنّك خيالٌ وجميع ما تدركه[٥].

ويقول التصوّف:

العالم يتخيّل بأنّه موجودٌ وليس بموجودٍ عند التحقيق العرفانيّ ألا كلُّ

---

١. سورة ص (٣٨): ٢٨.
٢. سورة آل عمران (٣): ١٩٠ ـ ١٩١.
٣. ناسخ التواريخ: ٣/٢٣٨. هبوط.
٤. فصوص الحكم: ٢٢٤.
٥. فصوص الحكم: ٢٣٧.

شيء ما خلا الله باطل[١]

ويقول:

فما كان في دار التحقّق والوجود ومحفل الغيب والشهود إلّا الحق ظاهراً وباطناً أوّلاً وآخراً، وما وراؤه تلبيسات الوهم واختراعات الخيال، لا ظهور ولا وجود إلّا له تعالى والعالم خيال في خيال عند الأحرار[٢].

ويقول جلال الدين مولانا:

فمن عدم وتجلّيات الوجود أنت الوجود المطلق ووجودنا[٣].

ويقول حافظ الشيرازي: العالم وما فيه عدم في عدم ـ تأكدت من ذلك ألف مرّة[٤].

ان هذه الأفكار والرؤىٰ إنّما نفذت إلى الأمّة الاسلاميّة والعالم الاسلامي في ظلّ الأنظمة السياسيّة التي تعاقبت علىٰ حكم الأمّة منذ رحيل النبي ﷺ.

هذه الأفكار التي كما ذكرنا تستقي من «اثولوجيا» افلوطين اليوناني لتظهر علىٰ لسان ابن عربي وصدر الدين قونوي وغيرهما من الذين كانوا يستقون أفكارهم من ثيولوجيا افلاطين بما يتطابق مع القرآن الكريم وكأنّ كتاب الله العزيز إنّما نزل من أجل تأييد ما جاء في ثيولوجيا اليونان القديمة.

وهكذا أصبح:

«مولانا جلال الدين الرومي أفضل من مترجم ومعرّف لأفكار افلوطين

---

١. التعليقات: ١/١٤٩.
٢. المصباح: ١٤٥.
٣. مثنوي مولوي: ٣٠.
٤. حافظ الشيرازي.

والفلسفة الافلاطونيّة الجديدة فكلّ من يتتبع في ديوان ومثنوي هذا العارف الكبير الذي يعد موسوعة العرفاء فانّه سوف يجد لديه جميع قضايا الفلسفة الافلاطونيّة الجديدة تقريباً»[١].

وقد قيل عنه أيضاً:

«مولوي جلال الدين أفضل مترجم ومعرف لأفكار افلاطين والفلسفة الافلاطينّة الجديدة... يشتمل ديوانه «مثنوي» على ٢٦٠٠٠ بيت وهو زاخر باشارات الحكمة الافلاطونيّة الجديدة التي قام مولانا بمنحها صبغة قرآنيّة وحديثيّة لتخرج علىٰ مذاق المسلمين»[٢].

وهذا الموقف المعادي للمتصوّفة ضدّ الشيعة مردّه إلى أتّباعهم ما أسخط الله:

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[٣].

أمّا الذين تمسّكوا بالثقافة المحمّديّة الأصيلة وتمسّكوا بولائهم لأهل البيت عليهم السلام فقد دفعوا الثمن غالياً وتعرّضوا للاضطهاد والقهر علىٰ مرّ العصور.

أجل دفعوا الثمن غالياً لأنهم أحبّوا آل محمّد واتّبعوهم ابتغاء لرضوان الله عزّوجل.

«إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا البَطنِ مِنْ هَاشِمٍ لا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَلا تَصْلُحُ الْوُلاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ»[٤].

فهذا محيي الدين بن عربي يفتري عليهم ما تزول منه الجبال:

---

١. الموسوعة اللغوية الفارسيّة لدهخدا، ذيل «صوفي».

٢. تاريخ التصوّف: ٢/ ١١٠.

٣. سورة محمّد (٤٧): ٢٨.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٤.

واكثر ما ظهر ذلك في الشيعة ولاسيّما في الامامية منهم فدخلت عليهم شياطين الجنّ أولاً بحبّ أهل البيت فيهم ورأوا أنّ ذلك من أسنى القربات إلى الله وكذلك هو لو وقفوا ولا يزيدون عليه إلّا انّهم تعدّوا من حبّ أهل البيت إلى طريقين، منهم من تعدّى إلى بغض الصحابة وسبّهم حيث لم يقدّموهم وتخيّلوا أن أهل البيت أولى بهذه المناصب الدنيويّة فكان منهم قد عرف استفاض وطائفة زادت إلى سبّ الصحابة القدح في رسول الله ﷺ وفي جبرئيل عليه السلام وفي الله جلّ جلاله حيث لم ينصّوا على رتبتهم وتقديمهم في الخلافة حتّى أنشد بعضهم: «ما كان من بعث الأمين أمينا»[1].

وقد بلغ التشهير بالشيعة مستوىً جعل الكثيرين في وقت من الأوقات يتصوّرون أو هكذا أوحت لهم شياطينهم بأنّ الشيعة عند ما يرفعون أيديهم بعد التشهّد ثلاث مرّات فانّهم يقولون خلال ذلك: «خان الأمين! خان الأمين! خان الأمين!» يعني انّ جبريل «استغفر الله» قد خان الأمانة فقد أرسله الله عزّوجلّ إلىٰ عليّ ولكنّه ذهب إلى محمّد!!!

ويبدو انّ المتصوّفة كانوا يتأقلمون ويتكيّفون في الأجواء التي يعيشون فيها ويداهنون سكّانها في معتقداتهم.

ولذلك لا يختلف الصوفيّة في المجتمع السني عن غيرهم من الصوفيّة في المجتمع الشيعي لكنّهم يجارون المجتمع في متبنياته العقائديّة.

فالمتصوّفة في المجتمع السني يعادون الشيعة في حالة من التماهي مع الوسط الذي يعيشون فيه ليكونوا محبوبين في داخله ويصطادون العوّام منهم أمّا

---

١. الفتوحات المكيّة: ١/ ٢٨٢.

المتصوّفة داخل المجتمع الشيعي فتراهم يتغنّون بمديح أهل البيت والتودّد إلىٰ مجتمعهم من خلال ذلك ومثالاً علىٰ ذلك المتصوّف المعروف «شاه نعمت الله وليّ» زعيم الطريقة حيث لا تختلف أفكاره وآراؤه عن آراء الأشاعرة لأنّه من أهل السنّة الأشاعرة وقد صرّح بذلك في أشعاره:

أنت يا محبّ آل علي، أيّها المؤمن الكامل من دون بدل

انتخب طريق السنّة الذي هو مذهبنا، وإلّا ضعت وكنت في خلل

الرافضي هو عدو أبي‌بكر، والخارجي من كان عدوّاً لعلي

أحب الصحابة جميعاً، انصر السني وخصم المعتزلي[1].

ومن المؤكّد انّه لو كان يقيم في بلد أهله من أهل السنّة لجارىٰ مجتمعه في إطلاق الشتائم ضدّ الشيعة كما هو الحال في مولوي.

في حين نرىٰ انّ زعيم الفرقة الصوفيّة «نعمت اللهيّة» في الوقت الحاضر يؤلّف «رسالة دفع الشبهات» ومع انّ عقائده لا تختلف عن عقائد مؤسّس هذه الفرقة يعني شاه نعمت الله ولي الأشعري المذهب يقول: «الذين يتّبعون الأئمّة الاثني عشر يفتخرون بأخذ عقائدهم تماماً من أهل بيت الوحي والرسالة ومعادن العلم والحكمة، فهم ثابتون علىٰ عقيدتهم ولا يرون في ذلك خلافاً»[2].

ومع وضوح موقف أهل البيت عليهم السلام من المتصوّفة فانّه يقول بكلّ جرأة: ان مراد أهل البيت عليهم السلام في تقبيح المتصوّفة هم متصوّفة أهل السنّة!

مع انّه لا يوجد فرق بين متصوّفة الشيعة والسنّة والمتصوّفة في جميع الأديان.

---

١. ديوان طبع ملك: ٥٩٧.
٢. رسالة دفع الشبهات: ٤٢.

وتجنّباً للاطالة اكتفي بما ذكرنا في الرد علىٰ شبهات البعض حول الامامة.

وأغتنم هذه الفرصة في بحث التصوّف أن أقتبس مقاطع ممّا ردّ به أحد الفضلاء عليه بشأن ملّا صدرا «نظراً لأهميّة موضوع المعاد الجسماني في نظر القرآن الكريم ـ كما أشرنا ـ وبأخذ الفاصلة الكبيرة بين « المعاد المثالي» مع «المعاد العنصري» الذي هو أمر واضح جدّاً (وصرّح به كبار الفلاسفة والعرفان ونقلنا أقوالهم) فلا يمكن القبول بأن الموضوع قد خفي علىٰ فيلسوفنا أو غفل عنه أو تغافل عنه أبداً!

انّ هذا لا يجدر بهكذا مفكّر وهو من التبحّر في الفلسفة والعرفان ومن الاطّلاع على القرآن الكريم والأحاديث والأخبار وله تفاسير لسور من القرآن الكريم وشروح على الأحاديث وبخاصّة اهتمامه بآيات المعاد واعتبار كثرة تكرارها هو من أجل «أمر عظيم»[1].

نقول:

بلىٰ ان غفلة هكذا أفراد متبحّرين في الفلسفة والعرفان من قبيل ابن عربي وملا صدرا وأمثالهما عن حقائق النظام التشريعي هو تأييد للكتاب والسنّة، وصدق ما حذراً منه في الضلال والضياع الحتم للذين يخالفون المنهاج المرسوم للهداية.

﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَيَفْقَهُونَ﴾[2].

انّ القرآن الكريم هو كتاب الهداية ومن لا يتبع ما أنزل الله فان مصيره الضلال.

---

١. المعاد الجسماني في الحكمة المتعالية: ١ / ٢٤٠.

٢. سورة التوبة (٩): ٨٧.

«مَنِ الْتَمَسَ الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيم»[١].

«وَمن ابتغى العِلمَ في غَيرِهِ أضلّه الله»[٢]

«مَنْ طلَبَ الهُدى في غيره «القرآن» أضلّه الله»[٣]

وجاء في مصادر أهل السنّة:

«قال الرسول ﷺ: من ابتغى العلم في غيره أضلّه الله عزّوجلّ وهو حبلُ الله المتين ونورهُ المبين»[٤].

هل هناك ما هو أوضح من قول الرسول ﷺ:

«أنا مدينة العلم وعليّ بابها».

ألم يؤكّد الامام علي عليه السلام هذا المعنى في قوله:

«نَحْنُ الشِّعَارُ وَالأَصْحَابُ وَالْخَزَنَةُ وَالأَبْوَابُ لا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلا مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ وَ هُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا»[٥].

لم يتّجه ملا صدرا وأمثاله من أهل العرفان في طلب الهداية إلى القرآن الكريم. بل راح يقتبس من المصادر غير القرآنيّة ثمّ يقوم بعرضها على القرآن متصوّراً تطابقها مع القرآن وهذا هو نفسه منهج ابن عربي وصدر الدين القونوي.

---

١. بحار الأنوار: ٨٩/ ٢٤؛ تفسير العيّاشي: ١/ ٣.

٢. بحار الأنوار: ٨٩/ ٢٤؛ تفسير العيّاشي: ١/ ٣.

٣. بحار الأنوار: ٨٩/ ٢٧ و ٣١؛ تفسير العيّاشي: ١/ ٦.

٤. احياء العلوم: ٢/ ٢٥٨.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٤.

يقول ملا صدرا:

نحن إذا قابلنا وطبقنا عقائدنا على ميزان القرآن والحديث وجدناها منطبقة على ظواهر مدلولاتها من غير تأويل فعلمنا أنها الحقّ بلا شبهة وريب ولمّا كانت تأويلات المتكلّمين والظاهريّين من العلماء في القرآن والحديث مخالفة لمكاشفاتنا المتكرّرة الحقّة طرحناها[١].

وملا صدرا في استدلالاته الفلسفيّة يقلّد ابن سينا وفي بحوثه العرفانيّة يقلّد ابن عربي الذي يعتبره علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام من ألدّ أعداء الشيعة.

يقول المحدّث القمي رحمه الله:

وقال شيخنا صاحب المستدرك في ذكر مشايخ المحدّث الفاضل المولى محسن الكاشاني: وسابعهم الحكيم المتألّه الفاضل محمّد بن ابراهيم الشيرازي الشهير بملا صدرا محقّق مطالب الحكمة ومروّج دعاوي الصوفيّة بما لا مزيد عليه صاحب التصانيف الشايعة التي عكف عليها من صدقه في آرائه وأقواله ونسج على منواله، وقد أكثر فيها من الطعن على الفقهاء وحملة الدين وتجهيلهم وخروجهم من زمرة العلماء، وعكس الأمر في حال ابن عربي صاحب الفتوحات فمدحه ووصفه في كلماته بأوصاف لا تنبغي إلّا لأوحديّ من العلماء الراسخين مع أنّه لم ير في علماء العامّة ونواصبهم أشدّ نصباً منه...[٢]

ويعترف ملا صدرا باقتباسه من ابن عربي وكتاب «اثولوجيا» افلوطين

---

١. أسفار: ٢/٣٤٢.

٢. سفينة البحار: ١/٣١١.

الفيلسوف اليوناني المؤسّس لـ«الافلاطونيّة الجديدة» التي تعود بجذورها كما ذكرنا إلى الثقافة الايرانيّة السائدة قبل ظهور الاسلام يعني إلى الزندقة «زند كيشي» يقول في رسالة الحشر:

اعلم أنّ هذا المنهج الذي بيّناه في إثبات المعاد للأشياء، والوصول إلى الله تعالى، والدار الآخرة علمٌ شريفٌ ومقصدٌ عال ومطلب غال وكنزٌ من كنوز الايمان وخزينةٌ من خزائن الرحمن، التي لا يوجد جوهرةٌ منها في مخزونات أحد مشاهير الحكماء من أتباع المشائين وغيرهم ما خلا المعلّم الأوّل، لأنّه نبأ عظيم، والقوم جميعهم عنه لفي ذهول عظيم وغطاء شديد...[1]

والمقصود من المعلّم الأوّل هو ارسطو ظنّاً منه انّ ارسطو هو مؤلّف كتاب «اثولوجيا» والحقيقة أن مؤلفه هو أفلوطين.

وفي مضمار المعاد المثالي فهو أيضاً يتناقض تماماً مع المعاد القرآني، فهو يستند في تصوّراته إلى التوحيد العرفاني لأفلوطين وقد استقىٰ الأخير أفكاره من توحيد الزنادقة قبل الاسلام وكان يومئذٍ «كلّ ما هو موجداً ايزد» وأيزد هو الاله وفي ادبيّات أهل العرفان (المتصوّفة): «هو كلّ الأشياء» وهذا شعار الصوفيّة في الوقت الحاضر:

يقول ملا صدرا:

بسيط الحقيقة يجب أن يكون جميع الأشياء بالفعل وهذا مطلبٌ شريفٌ لم أجد في وجه الأرض من له علمٌ بذاك[2].

---

١. رسالة الحشر: ١١٧.
٢. الأسفار: ٣/٤٠.

ويقول:

في أن واجب الوجود كلّ الأشياء لكونه بسيط الحقيقة[١].

ويقول أيضاً:

فما ظنّك بالعالم الربوبي والنشأة الالهيّة في الجمعيّة والتأحد؟!

فجميع الأشياء هناك واحد وهو كلّ الأشياء بوحدته من غير ما يوجب اختلاف حيثيّة[٢].

وكذلك قوله:

وقد علمت من قبل أن الباري كلّ الأشياء...[٣]

وقوله:

فلا جرم أبدع شأنه أو لا العقول الفعّالة والصور المكرّمة... ثمّ سائرها... ومثل أنواع الطبيعية التي أثبتها أفلاطون والأفلاطونيّون ونحن قد أحيينا رسوم المتقدّمين...[٤]

ولو أنّه راجع القرآن الكريم ومن عنده علم الكتاب والأئمّة الهداة الذين أورثهم الله عزّوجلّ الكتاب لما قال ما قال ذلك أنّ القرآن الكريم يعلن بصراحة ووضوح:

١ ـ ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[٥].

---

١. الأسفار: ٦/١١٠.
٢. الأسفار: ٦/٢٧٧.
٣. الأسفار: ٨/١٢١.
٤. الأسفار: ٧/١٠٩.
٥. سورة الأنعام (٦): ٣٨.

٢ ـ ﴿وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[١].

٣ ـ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً﴾[٢].

وقال الامام علي عليه السلام:

١ ـ «ما مِنْ شيءٍ تطلبونهُ إلّا وهو في القرآن؛ ومن أراد ذلك فليسألني عنه»[٣].

٢ ـ «فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا»[٤].

ان قوله عدم وجود هذه الجوهرة في القرآن الكريم هو تكذيب لما ورد أعلاه.

واذن فانّه لم يراجع إلّا كتب الأقدمين وكان من الذين:

﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَيَفْقَهُونَ﴾[٥].

وقد جاء في الحديث الشريف:

«مَنِ الْتَمَسَ الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيم»[٦].

يحدّد مؤلّف «المعاد الجسماني في الحكمة المتعالية» المحترم موقفين للفيسلوف ملا صدرا في موضوع المعاد:

---

١. سورة الأنعام (٦): ٥٩.
٢. سورة المائدة (٥): ٣.
٣. الكافي: ٢/٦١٤.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٤.
٥. سورة التوبة (٩): ٨٧.
٦. بحار الأنوار: ٨٩/٢٤؛ تفسير العيّاشي: ١/٣.

١ ـ الموقف الفلسفي ـ العرفاني وفيه لم يبلغ ملا صدرا إلى محورية الشريعة.

٢ ـ الموقف الوحياني وفيه يعوض ما لم يبلغه في الموقف الأوّل.

يقول المؤلّف:

«لم يبلغ صدر المتألّهين في موقفه الفلسفي العرفاني إلىٰ محوريّة الشريعة، أمّا في موقفه الوحياني فقد عوض عن ذلك من خلال تكرار اعتماده الشريعة (الآيات والأخبار) أساساً لمعرفة المعاد وأحواله ومعرفة النفس ولم يجعل من أفكاره العرفانية وأصوله الفلسفيّة العرفانية صنماً»[١].

ويقول أيضاً:

«علىٰ سبيل المثال فهو «ملا صدرا» في نفس هذا الكتاب يعني «المعاد الجسماني» يبذل قصارىٰ جهده ومحاولاته الفلسفيّة العرفانيّة الصدرائيّة من أجل اثباته غير انّ النتيجة الحاصلة هي «المعاد المثالي» مع ان مضامين الآيات والأخبار تشهد بصريح نفس الآيات والأخبار وبغضّ النظر عن تصريحات العلماء على «المعاد العنصري».

واذن هنا لا تنطبق الفلسفة الصدرائيّة على الوحي»[٢].

لقد ذكرنا انّ اعتماد منهج غير المنهج الذي حدّده النظام التشريعي لن يؤدّي إلى الحقائق التي يزخر بها هذه النظام وسلوك الطرق البعيدة عن الطريق المستقيم هي عدوان يفضي إلى الختم على القلوب والطبع عليها:

---

١. المعاد الجسماني في الحكمة المتعالية: ٣٤٦.

٢. المصدر السابق: ٣٠٨.

كذلك نطبع على قلوب المعتدين.

وعند ما يحصل هذا الطبع على القلوب فانّها تفتقد قابليّة تلقي الأنوار الايمانيّة:

﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبلُ كَذٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[1].

وكان الأحرىٰ بالفيلسوف المسلم المتعبّد الذي حجّ بيت الله الحرام سبع مرّات مشياً على الأقدام أن يتأسّىٰ بـ «كميل بن زياد» الذي خاطبه الامام علي عليه السلام قائلاً:

«يا كميل! لا تأخذ إلّا عنّا تكن منّا»[2].

فتكون حركته في ذاته حركة تكامليّة، حركة من معطيات العقل والكشف الجزئي البشري (الفلسفة ـ العرفان) صوب العقل والكشف الالهي الوحياني[3].

انّنا لو آمنّا بعقلانيّة المعطيات لكنّا قد استيقنا في تطابق تلك المعطيات مع الوحي أيضاً لأن:

كلّ ما حكم به العقل حكم به الشرع.

انّه من الخطأ اطلاق المعطيات العقليّة على المعطيات الفلسفيّة، ذلك انّ العقل الذي تتحدّث عنه الشريعة هو غير العقل الذي يتحدّث عنه الفلاسفة.

انّ العقل في الفلسفة عبارة عن فعليّة وفعاليّة النفس في استخراج النظريّات من

---

١. سورة يونس (١٠): ٧٤.

٢. بشارة المصطفىٰ لشيعة المرتضىٰ: ٢٤؛ تحف العقول: ١٧١.

٣. المعاد في الحكمة المتعالية: ٢٩٧.

الضروريّات، وما أكثر الأخطاء التي تصدر عن النفس في مضمار هذه الفعاليّات ونتيجة هذه المعطيات العقليّة لهذه العقول يعني: الفعاليّات النفسيّة تنحصر في ايصال الفلاسفة إلى مرحلة اليقين بالنسبة إلى حقانية الموضوع الذي هم بصدده، من دون تنزيهه هذا اليقين عن الخطأ ومن دون وجود معيار لقياس صحّة أو خطأ اليقين الحاصل.

في حين أنّ العقل في الشريعة نور تفويضي من لدن الله عزّوجلّ وهو معصوم من كلّ ألوان الخطأ، لأن ذاته نور وكشف وهو لهذا السبب حجّة من حجج الله تعالىٰ على البشر، تماماً مثل حجيّة الأنبياء والرسل.

انّ الشريعة لا تنسب الخطأ إلى العقل أبداً ولا تنسب إلى النور الظلام.

ومن جهة ان الحركة من جانب الفلسفة والعرفان باتّجاه العقل والكشف الالهي الوحياني وفي حالة قبولها وهو أمر مستبعد جداً هي حركة تكامليّة، لا تكون صحيحة إلّا عند ما تتحرّك (الفلسفة والعرفان) في نفس الخط الذي تتحرّك فيه العلوم الوحيانيّة يعني نظام التشريع.

في حين انّ الفلسفة في خط والعلوم الوحيانيّة في خط آخر والعرفان في خط يصطدم تماماً مع خط العلوم الوحيانيّة.

وعليه لو أنه كان ثمّة انتقال قد حصل حقيقة فهو من خط إلى خط آخر ومن المتاهة إلى الصراط المستقيم ومن الضلالة إلى الهدىٰ.

لا يمكن أن نجد العلوم الوحيانيّة وحقائق النظام التشريعي في طوايا كتاب اثولوجيا افلوطين بل ان الطريق الوحيد لبلوغها والحصول عليها يكمن في التوجّه إلى اولئك الأشخاص الذين اصطفاهم الله واجتباهم يعني أسرة الوحي

وأهل البيت عليهم السلام.

«يا كميل! لا تأخذ إلّا عنّا تكن منّا»[١].

الّا انّه من المؤسف انّ العرفاء لا يأخذون إلّا من غير أهل البيت عليهم السلام.

اعلم أنّ هذا المنهج الذي بيناه في إثبات المعاد للأشياء، والوصول إلى الله تعالى، والدار الآخرة، علمٌ شريف ومقصد عال ومطلب غال وكنز من كنوز الإيمان وخزينة من خزائن الرحمن، التي لا يوجد جوهرة منها في مخزونات أحد... ما خلا المعلّم الأوّل...[٢]

إثبات الموجودات المتوسطة بقاعدة إمكان الاشرف حسب ما أشار إليه معلّم الفلاسفة في كتاب اثولوجيا[٣].

وما أكثر هذه الاشارات في مؤلّفاتهم.

وأمّا القول:

ومع هذا فاننا نلاحظ ان صدر المتألهين لم يوفق أيضاً في اثبات المعاد الاسلامي القرآني، وفي النهاية اعتبر فهم المعاد وشؤونه متوقفاً على مراجعة القرآن والأخبار يعني نفس ما قام به الفارابي وابن سينا[٤].

هل أن اسناد هذا الفشل لملا صدرا في اثبات معاد غير منطبق مع ما يقول به القرآن والسنّة هو نقد من جانبكم المحترم والآخرين أم هو اعتراف من لدن ملا صدرا نفسه؟

---

١. بشارة المصطفىٰ لشيعة المرتضىٰ: ٢٤؛ تحف العقول: ١٧١.

٢. رسالة الحشر: ١١٧.

٣. الأسفار: ٧/١٨٤.

٤. المعاد الجسماني في الحكمة المتعالية: ٣٤٥.

المعاد من أصول الدين ويؤدّي عدم تطابق الاعتقاد والقول في المعاد مع ما ورد في القرآن والسنّة إلىٰ كفر الشخص، تماماًكما هو الحال في موضوع التوحيد ففي حالة عدم التطابق بين معتقد الشخص وما ورد في القرآن الكريم والسنّة الشريفة فان هذا يعني كفر وشرك.

لقد أشرتم إلى انّ العلماء قالوا بعدم تطابق معاد ملا صدرا مع القرآن لكن ثمّة اعتراف من جانب ملا صدرا في فشله في اثبات المعاد المنطبق مع المعاد القرآني وهذا لم تشيروا إليه.

وليعلم أنّ معرفة الله تعالى وعلم المعاد وعلم طريق الآخرة، ليس المراد بها الاعتقاد الذي تلقّاه العامي أو الفقيه وراثة وتلقّفاً[1].

وما أكثر الذين وقعوا في مهاوي الضلال بسبب ما ورد من أفكار في المعاد المثالي، الّا من تداركته رحمة من الله عزّوجلّ كما حصل للمرحوم الفيض الكاشاني الذي قالها بصراحة:

اعلموا اخواني هداكم الله كما هداني انّي ما اهتديت إلّا بنور الثقلين وما اقتديت إلّا بالأئمّة المصطفين وبرئت إلى الله ممّا سوى هُدى الله، فانّ الهدى هدى الله لست بمتكلّم ولا متفلسف ولا متصوّف ولا متكلف بل مقلداً للقرآن وحديث الرسول وتابعاً لأهل بيته.

انّني في عزلة من أقوال المحيّرة العقول للطوائف الأربعة ومنها مهموم، وأجنبي ممّا لم يعرف بالقرآن وحديث أهل البيت، فكلّما درست نسيته إلّا

---

١. الأسفار: ١/ ١١.

حديث المحبوب الذي أُكرّرها.

فهو يعلن لجوءه إلى القرآن الكريم والسنّة الشريفة ونجاته من التيه:

كذلك يقول محسن بن مرتضى، المهتدي بصراط المصطفى بأنّي فرغت من الشباب عن الدراسة في التفقّه في الدين وتحصيل البصيرة في الاعتقادات وكيفيّة العبادات بتعليم أئمّة المعصومين عليهم السلام بحيث لم أحتج في مسألة بتقليد غير المعصوم خطر ببالي أن أسعى في دراسة أسرار الدين وعلوم الراسخين لكي يكمل النفس ولكن حيث لم يكن للعقل إليه سبيل، وكان ايمان النفس في هذا الورطة قليل، لم يفتح باب، ولم يكن عندي صبر على الجهالة، ولا يزال كان ذلك أتعبني، فأوجبني أن أخوض مدة في مجادلات المتكلّمين وأن أسعى في ازالة الجهل بآلة الجهل، ومشيي أيضاً في طريق مكالمات المتفلسفين ورؤيتي طيران الخياليّة المتصوّفة في أقاويلهم وسيري لمدّة في رعونات من عنديين واشتغالي زمناً بالكتابة في تلخيص أقاويل الطوائف الأربعة... بلا تصديق أو تأييد بل نقلت مطالبهم على سبيل الممارسة.

لم أجد ممّا قالوا ما كفاني في عطشي أو خلّصني عن دائي، حتّى انتهيت إلىٰ خشيتي على نفسي فألجأت إلى ربّي وهو واصلني إلى الحقيقة.

وكما قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

« أعذني اللّهمّ أن أستعمل الرأي فيما لا يُدرك قعره البصر، ولا تتغلغل فيه الفكر» وفوّضت أمري إلى ذاته المقدّسة مع الأنين في ساحته فانّ الربّ الرحيم هداني، بركة من دينه القيّم لكي أفكّر فكراً صحيحاً في أسرار القرآن

الكريم والأحاديث المرويّة عن سيّد الرسل وأئمّة الهدىٰ عليهم السلام وعلّمني مطالب بقدر استطاعتي وايماني من القرآن والحديث، فاطمأنّ قلبي وأبعد عنّي همزات الشيطان، والحمد لله لايصاله إيّاي إلى الحقيقة[١].

لقد كان الأجدر به أن يعلم بطلان أفكاره في المعاد المثالي، وإن كان من الممكن أن نعتبر وجود بعض الفقرات في مؤلّفاته بمثابة اعلان لبطلان تلك الأفكار في المعاد المثالي وحتّى في التوحيد العرفاني:

... ومعرفتهم بالله واليوم الآخر لا يحصل إلّا من طريق النبوّة والرسالة لأنّ عقولهم غير كافية فيها، سيّما ما يتعلّق منها بأحوال المعاد وحشر الأجساد[٢].

وهذه الفقرة التي نقلتموها عنه:

إنّ الذي صرف النصوص الواردة في باب أخبار الآخرة عن ظاهرها ومؤدّاها، وحوّل الآيات الدالّة على أحوال القبر والبعث عن منطوقها وفحواها، وزعم أنّها عقليّة أو وهميّة محضة، وليس لها وجود عيني، جهل أو تجاهل، إنّه لو كان الأمر كما توهّم وأوهم، لزم أن يكون تشريع الشرائع للإضلال والغواية لا الإرشاد والهداية ولم يعلم أنّ أولئك الهداة الصادقين المعصومين عن الغلط والخطأ قرّروا:

أنّ الذي قرّر في نفسه العقائد الفاسدة، ورسخ في ذاته العلوم الباطلة كانت نفسه ظالمةً جاهلةً معذّبة أبداً، إذ هي لا تزول عنها أبداً ولا يزول الملكات

---

١. مقدّمة كتاب الانصاف.

٢. شرح أُصول الكافي، كتاب العقل والجهل: ١/ ١٨٢.

التي هي آثار الأفعال والأعمال قطعاً وظاهر أن أكثر الناس يحملون هذه النصوص على ظواهرها ومعانيها الحقيقيّة، ويعتقدون حقيتها، فلو لم يكن مفهوماتها الظاهرة ومعانيها الأوليّة حقّة، لكانت ضلالات وجهالات ومن اعتقدها كان معذباً أبداً لما قرّروه، فيلزم أنّ ما اكتسبه الصلحاء والأتقياء لنيل الدرجات يوجب حرمانهم عن الجنّات واللذّات وأن لا يكونوا في الجنّة أبداً، ولم يكن لهم لذّات قطعاً، وهذا قولٌ شنيع، وقد صرّحوا بخلافه، وأجمع الكلّ على أنّ الصالح المتّقي في الجنّة أبداً، وإن لم يحصل في الدنيا شيئاً من غوامض العلوم ودقائق الأسرار.

فعُلم ممّا ذكر، أن وجود الجنّة والنار وسائر أحوال الآخرة على الوجه الذي يفهم الجمهور والعوام، ويصل إليه افهام الأنام حقّ مطابق للواقع، بحسب الاعتقاد به يقيناً ومن أنكر شيئاً منها فقد ركب شططاً وكان أمره فرُطا[1].

أجل ان ما يرشح من هذا النص هو اعتراف بعدم الاكتفاء البشري في معرفة الله تعالىٰ وعالم الآخرة وفي النتيجة عدم امكانيّة بلوغ هذه المعارف إلّا عن طريق الوسائل المعرّفة في النظام التشريعي يعني الوحي الذي موقعه: النبوّة، الرسالة، الوصاية والامامة وفي هذا اعلان في بطلان كلّ المقولات التي لا تنطبق مع ما ورد في الكتاب والسنّة.

ولكن ماذا نفعل مع هذه النصوص المتضاربة فيما بينها:

١ ـ وقد اطلعني الله فيه على المعاني المتساطعة أنوارها في معارف ذاته وصفاته، مع تجوال عقول العقلاء حول جنابه وترجاعهم حاسرين، وألهمني

---

١. المبدأ والمعاد: ٤/٤١٣ و٤٢٦ و٣٧٦؛ المعاد الجسماني في الحكمة المتعالية: ٨/٢٥٧.

بنصره المؤيّد به من يشاء من عباده الحقايق المتعالية أسرارها في استكشاف مبدئه ومعاده[١].

٢ ـ وليعلم أن معرفة الله تعالى وعلم المعاد وعلم طريق الآخرة، ليس المراد بها الاعتقاد الذي تلقّاه العامي أو الفقيه وراثة وتلفقاً[٢].

٣ ـ فعُلم ممّا ذكر، أن وجود الجنّة والنار وسائر أحوال الآخرة على الوجه الذي يفهم الجمهور والعوام، ويصل إليه افهام الأنام حقّ مطابق للواقع، بحسب الاعتقاد به يقيناً ومن أنكر شيئاً منها فقد ركب شططاً وكان أمره فرُطا[٣].

فلا مناص من ارجاع الموضوع إلىٰ احدى صورتين:

١ ـ ان كلامه مخالف للواقع وصدور الكذب المحض في اطار رؤية فلسفيّة.

٢ ـ عدم الهيّة الالهامات التي تلقّاها في موضوع المبدأ والمعاد.

فاذا برأنا شخصيته من الكذب فانّه لا مناص من القول بأنّه قد تعرّض لالقاءات شيطانيّة في مسألة المبدأ والمعاد ثمّ تصورّها الهامات ربانيّة، وهذه حقيقة وردت علىٰ لسان النظام التشريعي:

﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ ٱلْإِنْسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُوراً﴾[٤].

﴿لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[٥].

---

١. الأسفار: ١/٩.
٢. الأسفار: ١/١١.
٣. المبدأ والمعاد: ٤١٣/٤ و٤٢٦ و٣٧٦؛ المعاد الجسماني في الحكمة المتعالية: ٢٥٧/٨.
٤. سورة الأنعام (٦): ١١٢.
٥. سورة الأنعام (٦): ١٢١.

عن هشام بن سعيد قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:

﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُونَ ﴾[١]

قال: «الغاوون هم الذين عرفوا الحق وعملوا بخلافه»[٢].

ويتحدّث النظام التشريعي عن سلطة للشيطان على بعض بني الانسان:

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٣].

واننا نلاحظ لجوءً إلى النبي صلى الله عليه وآله في مقدّمة الأسفار وذلك بعد أن تبيّن له سراب ما يذهب إليه الفلاسفة:

وإنّي لأستغفر الله كثيراً ممّا ضيعتُ شطراً من عمري في تتبّع آراء المتفلسفة والمجادلين أهل الكلام، وتدقيقاتهم وتعلّم جربزتهم في القول وتفنّنهم في البحث، حتّى تبيّن لي آخر الأمر بنور الايمان وتأييد الله المنّان أنّ قياسهم عقيم وصراطهم غير مستقيم، فألقينا زمام أمرنا إليه وإلى رسول الله النذير المنذر، فكلّ ما بلغنا منه آمنّا به وصدّقناه، ولم نحتل أن نخيّل له وجهاً عقليّاً ومسلكاً بحثيّاً، بل اقتدينا بهداه، وانتهينا بنهيه، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾، حتّى فتح الله على قلبنا ما فتح، فأفلح ببركة متابعته وأنجح[٤].

---

١. سورة الشعراء (٢٦): ٩٤.
٢. بحار الأنوار: ٢/٣٥.
٣. سورة الحجر (١٥): ٣٩ ـ ٤٣.
٤. الأسفار: ١/١١.

إلّا ان هذا لا ينسجم مع قوله في نفس المقدّمة.

فلمّا بقيتُ على هذا الحال من الاستتار والانزواء والخمول والاعتزال، زماناً مديداً وأمداً بعيداً، اشتعلت نفسي لطول المجاهدات اشتعالاً نوريّاً والتهب قلبي لكثرة الرياضات التهاباً قويّاً ففاضت عليها أنوارُ الملكوت وحلّت بها خيابا الجبروت، ولحقتها الأضواء الأحديّة وتداركتها الألطاف الالهيّة فاطلعت على أسرار لم أكن أطّلع عليها إلى الآن، وانكشف لي رموزٌ لم تكن منكشفةً هذا الانكشاف من البرهان بل كلّ ما علمته من قبل بالبرهان، عاينته مع زوائد بالشهود والعيان من الأسرار الالهيّة...[1]

فهل كان «التهب قلبي لكثرة الرياضات» جرّاء «ما آتاكم الرسول».

أبداً!

إنّما هو ميراث من أجدادهم أعني من الفرس القدماء وتحديداً من أولئك الزنادقة من قبيل:

«... فرقة ثالثة تنسب إلى جمشاسب وكان رجلاً انتهج طريق التفرّد والتجرّد وطوى الرياضات الشاقّة... وفي كلامه رموز كثيرة وكان يقول: العالم في الخارج لا وجود له وكلّ ما هو موجود هو «ايزد» ولا شيء سوى الله موجود»[2].

من أجل هذا يتلقي هؤلاء في النهاية عند هذه الكلمات سواء كانوا فرساً زنادقة أو هنوداً مرتاضين حيث لا علاقة لهذا بالدين والنظام التشريعي.

---

١. الأسفار: ١/٨.

٢. ناسخ التواريخ: ٣/٢٣٦، هبوط.

غير أنّ فلاسفة الاسلام يرفضون القضايا التي لا يمكن اثباتها بالبرهان الفلسفي بالرغم من تصريح الكلام الالهي بها، ذلك انّهم يقولون: هذا طريق الأنبياء إلّا انّنا لسنا ملزمين به»[١].

ومردّ هذا القول هو ادّعاء أهل العرفان في ارتباطهم المباشر مع خالق الوجود والحصول على المعرفة عن طريق الالهام من دون الحاجة إلىٰ وجود النبي وأوصيائه صلوات الله عليهم.

والسؤال هنا هل ينحصر مركز الالهام والايحاء بالله تعالى أم هناك مراكز أُخرىٰ؟

لنتأمّل في هذين النصّين لملّا صدرا:

١ ـ وقد أطلعني الله فيه على المعاني المتساطعة أنوارها في معارف ذاته وصفاته، مع تجوال عقول العقلاء حول جنابه وترجاعهم حاسرين، وألهمني بنصره المؤيّد به من يشاء من عباده الحقايق المتعالية أسرارها في استكشاف مبدئه ومعاده[٢].

٢ ـ وليعلم أنّ معرفة الله تعالىٰ وعلم المعاد وعلم طريق الآخرة ليس المراد بها الاعتقاد الذي تلقّاه العامي أو الفقيه وراثة وتلقفاً[٣].

وفي هذا تكذيب لما قاله حول اعتقاد جمهور الناس بأحوال المعاد:

وألهمني بنصره المؤيّد... الحقايق المتعالية أسرارها في استكشاف مبدئه ومعاده.

---

١. نشرة الحوزة (عدد خاص) في المدرسة التفكيكيّة: ١١٠.

٢. الأسفار: ١/٩.

٣. الأسفار: ١/١١.

وقد انتقل ملّا صدرا من الايمان بـالمعاد المـثالي والروحـاني إلى الايـمان بالمعاد العنصري القرآني وذلك في كتابه «المبدأ والمعاد» تأمّل في قوله:

٣ ـ فعُلم ممّا ذكر أنّ وجود الجنّة والنار وسائر أحوال الآخرة على الوجـه الذي يفهم الجمهور والعوام، ويصل إليه أفهام الانام، حقّ مطابق للـواقـع، بحسب الاعتقاد به يقيناً ومن أنكر شيئاً منها فقد ركب شططاً وكـان أمـره فُرطا[١].

إلّا أنّه ظلّ متمسّكاً بمقولته: «هو كلّ الأشياء».

في أنّ واجب الوجود كلّ الأشياء لكونه بسيط الحقيقة[٢].

فجميع الأشياء هناك واحد وهو كلّ الأشياء بوحدته[٣].

بل هو كلّ الأشياء وليس هو الأشياء[٤].

وكلّ بسيط الحقيقة كذلك فهو كلّ الأشياء[٥].

وقد علمت من قبل أنّ الباري كلُّ الأشياء[٦].

وعلى الرغم من اعلانه الالتزام بـ«ما آتاكم الرسول فخذوه» الّا انّنا نلاحظ تأييده صحّة كلامه في «معاد» تلقيٰ أسراره عن طريق الالهام وهو المعاد المثالي الروحاني في تناقضه مع المعاد القرآني فهو ينقل عن ابن عربي قوله:

فظهر لمن تدبّر وتأمّل فـيما ذكـرناه سـابقاً ولاحـقاً بـالنهج البـرهاني إنّ

---

١. المبدأ والمعاد: ٤/٤١٣ و٤٢٦ و٣٧٦.

٢. الأسفار: ٦/١١٠.

٣. الأسفار: ٦/٢٧٧.

٤. الأسفار: ٧/٣٢٢.

٥. الأسفار: ٧/٣٦٥.

٦. الأسفار: ٨/١٢١.

للانسان أنواعاً من الحشر، وممّا يؤيّد ما ذكرناه ضرباً من التأييد ما قاله الشيخ محي الدين الأعرابي في الباب الرابع والثمانين ومأتين:

اعلم انّ الروح الانساني أوجده الله مدبّراً لصورة حسيّة سواءً كان في الدنيا أو في البرزخ أو في الدار الآخرة أو حيث كان (كالمنامات والكشوف والاختلاسات ونحوها ـ س ره) فأوّل صورة لبسها الصورة التي أخذ عليها فيها الميثاق بالاقرار بربوبيّة الحقّ عليه، ثمّ انّه حشر من تلك الصورة إلىٰ هذه الصورة الجسميّة الدنياويّة وحبس بها في رابع شهر من تكوّن صورة جسده في بطن أُمّه إلى ساعة موته، فاذا مات حشر إلىٰ صورة أُخرىٰ من حين موته إلى وقت سؤاله، فاذا جاء وقت سؤاله حشر من تلك الصورة إلىٰ صورة جسده الموصوف بالموت فيحيى به ويؤخذ بأسماع الناس وأبصارهم عن حياته بذلك الروح إلّا من خصّه الله من نبيّ أو وليّ.

ثمّ يحشر بعد السؤال إلىٰ صورة أُخرىٰ في البرزخ يمسك فيها، بل تلك الصورة عين البرزخ والنوم والموت في ذلك على السواء إلىٰ نفخة البعث، فيبعث من تلك الصورة ويحشر إلىٰ الصورة التي كان فارقها في الدنيا إن كان بقي عليه سؤال، فان لم يكن من أهل ذلك الصنف حشر في الصورة التي يدخل بها الجنّة، والمسؤول يوم القيامة إذا فرغ من سؤاله حشر إلى الصورة التي يدخل بها الجنّة أو النار، وأهل النار كلّهم مسؤولون فاذا دخلوا الجنّة واستقرّوا فيها ثمّ دعوا إلى الرؤية ونودوا حشروا في صورة لا تصلح إلا للرؤية، فاذا عادوا حشروا في صورة تصلح للجنّة وفي كلّ

صورة تنسى صورته التي كان عليها ويرجع حكمه إلى حكم الصورة التي انتقل إليها وحشر فيها، فاذا دخل سوق الجنّة ورأى ما فيه من الصور فأيّة صورة رآها واستحسنها حشر فيها فلا يزال في الجنّة دائماً يحشر من صورة إلى صورة إلىٰ ما لا نهاية له ليعلم بذلك اتّساع الالهي...[١]

وهنا نلاحظ التناقض الذي يقع فيه لدى قوله:

ثمّ اعلم، أنّ إعادة النفس إلى بدن مثل بدنها الذي كان لها في الدنيا مخلوق من سنخ هذا البدن بعد مفارقتها عنه في القيامة كما نطقت به الشريعة من نصوص التنزيل، وروايات كثيرة متضافرة لأصحاب العصمة والهداية، غير قابلة للتأويل كقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ مَن يُحْيِي ٱلْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[٢].

﴿فَإِذَا هُم مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[٣].

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَن لَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[٤].

ونستشف من هذه العبارة في قوله:

فوجب التصديق بها لكونها من ضروريّات الدين وإنكارها كفر مبين.

ما يلي:

١ ـ كفر الذين يتحدّثون عن المعاد المثالي والروحاني.

---

١. الأسفار: ٩/٢٢٣؛ الفتوحات المكيّة: ٢/٦٢٧.

٢. سورة يس (٣٦): ٧٨ ـ ٧٩.

٣. سورة يس (٣٦): ٥١.

٤. سورة القيامة (٧٥): ٣ ـ ٤.

٢ ـ ان ابن عربي من جماعة الغاوين وانّه رحل عن الدنيا كافراً لقوله بالمعاد الروحاني.

٣ ـ كفره مدّة اعتقاده بالمعاد المثالي.

٤ ـ بطلان منهج اثبات المعاد لافلوطين اليوناني في كتابه اثولوجيا الذي استند إليه ملّا صدرا في إثبات المعاد المثالي كما أعلن عن ذلك في قوله:

اعلم أنّ هذا المنهج الذي بيناّه في اثبات المعاد للأشياء والوصول إلى الله تعالى والدار الآخرة علم شريف... لا يوجد جوهرة منها في... ما خلا المعلّم الأوّل...[1]

وقوله:

ثمّ اعلم انّ اعادة النفس إلى مثل بدنها الذي كان لها في الدنيا مخلوق من سنخ هذا البدن بعد مفارقتها عنه في القيامة...

وهذا لا يتطابق مع المعاد القرآني الذي يحكي عن عودة جميع الأجزاء والعناصر حتّى العظام التي استحالت إلىٰ رفات:

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

---

١. رسالة الحشر: ١١٧.

قَدِيرٌ ﴾[١].

حتّى الحمار عاد إلى الحياة ولم يخلق حماراً آخر من سنخه.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٢].

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[٣].

٥ ـ تأييد وقوع الغاوين تحت سلطان الشيطان.

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[٤].

٦ ـ تصوّر الايحاءات الشيطانيّة علىٰ أنّها الهامات ربّانيّة.

وألهمني بنصره المؤيّد به من يشاء من عباده الحقايق المتعالية أسرارها في استكشاف مبدئه ومعاده[٥].

٧ ـ هل تلقىٰ أسرار المبدأ والمعاد دفعة واحدة عن طريق الالهام، فاذا كانت أسرار المعاد مجرّد أباطيل كما اعترف بذلك فان أسرار المبدأ التي لا تقل أهميّة عن المعاد باطلة هي الأخرىٰ.

لأن قضايا الالهام لا تتألّف من حقائق وأباطيل.

---

١. سورة البقرة (٢): ٢٥٩.
٢. سورة البقرة (٢): ٢٦٠.
٣. سورة طه (٢٠): ٥٥.
٤. سورة الحجر (١٥): ٤٢.
٥. الأسفار: ١/ ٩.

ونلاحظ في مضمار التوحيد ومعرفة الله وعلى الرغم من منع الشريعة الشديد إلّا انّه كان بصدد تعريف الذات فيطلق عليه عنوان الوجود المطلق الذي يستمدّ سائر الموجودات وجودها منه ومن خلال علاقة الابداع.

الباري يُبدع الأشياء من نفسه[١].

واضافة إلىٰ وضوح بطلان تسمية ذات الباري عزّوجلّ والوجود المطلق وذلك لحرمة تسمية الذات الالهيّة بغير الأسماء التي لم يرد لها ذكر في النظام التشريعي فان بطلان علاقة التوليد بين الخالق والمخلوق صريحة في القرآن الكريم:

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾[٢].

﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَداً * وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطاً ﴾[٣].

وفي النتيجة فان معبود المتصوّفة هو غير الله تعالىٰ الذي هو خالق الوجود ولا شريك له بل انّ معبودهم هو الوجود هذا المعبود الذي يضرب في القدم إلىٰ ما قبل ظهور الاسلام معبود الزنادقة والزرادشتيّين.

وممّا يجب أن يُعلم أنّ اثباتنا لمراتب الوجودات المتكثّرة... لا ينافي ما نحن بصدده من ذي قبل إن شاء الله من إثبات وحدة الوجود والموجود ذاتاً وحقيقة، كما هو مذهب الأولياء والعرفاء من عظماء أهل الكشف واليقين وسنقيم البرهان القطعي على أنّ الوجودات وإن تكثرت وتمايزت إلا أنّها من مراتب تعينات الحقّ الأوّل، وظهورات نوره وشؤونات ذاته، لا أنّها أُمور

---

١. الأسفار: ٧/١٠٦.
٢. سورة الاخلاص (١١٢): ٣.
٣. سورة الجنّ (٧٢): ٣ ـ ٤.

مستقلّة وذوات منفصلة[١].

انظر إلىٰ هذا النصّ:

إثبات وحدة الوجود والموجود ذاتاً وحقيقة، كما هو مذهب الأولياء والعرفاء من عظماء أهل الكشف واليقين.

الذي يناقض قوله:

فألقينا زمام أمرنا إليه وإلى رسول الله النذير المنذر، فكلّ ما بلغنا منه آمنّا به وصدّقناه ولم نحتل أن نخيّل له وجهاً عقليّاً ومسلكاً بحثيّاً، بل اقتدينا بهداه، وانتهينا بنهيه، امتثالاً لقوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾، حتّى فتح الله على قلبنا ما فتح، فأفلح ببركة متابعته وأنجح[٢].

ونعيد القول ان ما قاله في بطلان المعاد المثالي يؤكّد ان تصوراته في تلقي الأسرار عن طريق الالهام الربّاني كان مجرّد ظنون لا أكثر:

وألهمني بنصره المؤيّد به من يشاء من عباده الحقايق المتعالية أسرارها في استكشاف مبدئه ومعاده[٣].

ومن المؤكّد انّ هذه الالهامات في موضوع المبدأ لم تكن سوىٰ أباطيل وقد ناقشنا تناقضات التوحيد العرفاني مع التوحيد الاسلامي وبالتالي بطلان هذا التوحيد (العرفاني) في كتاب «العرفان وأهل البيت» ولقد تسبّبت هذه الأفكار

---

١. الأسفار: ١/٧١.
٢. الأسفار: ١/١١.
٣. الأسفار: ١/٩.

الضالّة في التشويش علىٰ ايمان عموم الناس، وكان الأحرىٰ بهؤلاء إذا كانوا مؤمنين موحّدين حقّاً أن يعلنوا توبتهم واصلاح ما أفسدته آراؤهم فقد يؤثر هذا الاعلان في مكافحة الآثار السيّئة لأباطيلهم.

﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

روى أحد رجالات الفلسفة والعرفان انّه قرّر تدريس كتاب «القبسات» للمرحوم سيّد داماد فرآه في عالم المنام يقول له: لا أرضىٰ ان تدرس كتابي وبعد أن استيقظ من نومه استغرق مفكّراً: ترىٰ لماذا حرّم عليّ السيّد تدريس كتابه؟!

يقول: لعلّه يتبع في تدريس كتابه اساءة أدب إلىٰ منزلة السيّد من جانب الذين ليس لهم اطّلاع علىٰ ما في الكتاب من الحقائق.

أقول: هل يفكّر الانسان في منزلته في الدنيا بعد رحيله هل يفكّر الانسان بعد ولادته في حياته في بطن أُمّه؟!

صدق الله إذ يقول:

﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَيَفْقَهُونَ﴾[2].

﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَيَعْلَمُونَ﴾[3].

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لاَ يَذْكُرُونَ﴾[4].

لقد عانىٰ أئمّة أهل البيت عليهم السلام من المتصوّفة وقد صدر توقيع شريف من جانب

---

١. سورة المائدة: ٣٩.
٢. سورة التوبة (٩): ٨٧.
٣. سورة التوبة (٩): ٩٣.
٤. سورة الصافّات (٣٧): ١٣.

الامام المهدي عليه السلام في حق ابن هلال وكان أحد المتصوّفة في عصره:

عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قُتَيْبَةَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَرَاغِيِّ قَالَ: وَرَدَ عَلَى الْقَاسِمِ بْنِ الْعَلاءِ نُسْخَةُ مَا كَانَ خَرَجَ مِنْ لَعْنِ ابْنِ هِلالٍ وَكَانَ ابْتِدَاءُ ذَلِكَ أَنْ كَتَبَ عليه السلام إِلَى قُوَّامِهِ بِالْعِرَاقِ: «احْذَرُوا الصُّوفِيَّ الْمُتَصَنِّعَ» قَالَ: وَكَانَ مِنْ شَأْنِ أَحْمَدَ بْنِ هِلالٍ أَنَّهُ قَدْ كَانَ حَجَّ أَرْبَعاً وَخَمْسِينَ حَجَّةً عِشْرُونَ مِنْهَا عَلَى قَدَمَيْهِ قَالَ: وَكَانَ رُوَاةُ أَصْحَابِنَا بِالْعِرَاقِ لَقُوهُ وَكَتَبُوا مِنْهُ فَأَنْكَرُوا مَا وَرَدَ فِي مَذَمَّتِهِ فَحَمَلُوا الْقَاسِمَ بْنَ الْعَلاءِ عَلَى أَنْ يُرَاجِعَ فِي أَمْرِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ قَدْ كَانَ أَمَرْنَا نَفَذَ إِلَيْكَ فِي الْمُتَصَنِّعِ ابْنِ هِلالٍ لا رَحِمَهُ اللهُ بِمَا قَدْ عَلِمْتَ لَمْ يَزَلْ لا غَفَرَ اللهُ لَهُ ذَنْبَهُ وَلا أَقَالَهُ عَثْرَتَهُ دَخَلَ فِي أَمْرِنَا بِلا إِذْنٍ مِنَّا وَلا رِضًى يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ فَيَتَحَامَى مِنْ دُيُونِنَا لا يَمْضِي مِنْ أَمْرِنَا إِيَّاهُ إِلَّا بِمَا يَهْوَاهُ وَيُرِيدُ أَرْدَاهُ اللهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَصَبَرْنَا عَلَيْهِ حَتَّى بَتَرَ اللهُ عُمُرَهُ بِدَعْوَتِنَا وَكُنَّا قَدْ عَرَّفْنَا خَبَرَهُ قَوْماً مِنْ مَوَالِينَا فِي أَيَّامِهِ لا رَحِمَهُ اللهُ وَأَمَرْنَاهُمْ بِإِلْقَاءِ ذَلِكَ إِلَى الْخُلَّصِ مِنْ مَوَالِينَا وَنَحْنُ نَبْرَأُ إِلَى اللهِ مِنِ ابْنِ هِلالٍ لا رَحِمَهُ اللهُ وَمِمَّنْ لا يَبْرَأُ مِنْهُ وَأَعْلِمِ الإِسْحَاقِيَّ سَلَّمَهُ اللهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ مِمَّا أَعْلَمْنَاكَ مِنْ حَالِ أَمْرِ هَذَا الْفَاجِرِ وَجَمِيعَ مَنْ كَانَ سَأَلَكَ وَيَسْأَلُكَ عَنْهُ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ وَالْخَارِجِينَ وَمَنْ كَانَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ لا عُذْرَ لِأَحَدٍ مِنْ مَوَالِينَا فِي التَّشْكِيكِ فِيمَا يُؤَدِّيهِ عَنَّا ثِقَاتُنَا قَدْ عَرَفُوا بِأَنَّنَا نُفَاوِضُهُمْ سِرَّنَا وَنَحْمِلُهُ إِيَّاهُ إِلَيْهِمْ وَعَرَفْنَا مَا يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ[1].

---

١. بحار الأنوار: ٥٠ /٣١٨؛ رجال الكشي: ٥٣٥؛ كمال الدين: ٢ /٤٩٨؛ مستدرك الوسائل: ١٢ /٣١٨.

تأمّل في قوله عليه السلام: «دخل في أمرنا بلا إذن منّا ولا رضىً».

يدّعون الولاية العامّة علىٰ جميع الصوفيّين ويوحون بأهوائهم إليهم باسم الدين!

هذه الولاية التي يتّسع نطاقها إلىٰ أبعد الحدود وهذا صاحب كتاب «نشان از بی‌نشان‌ها» (علائم من المجهولين) وهو من الصوفيّين أيضاً:

«نعم اليوم هو عصر الترقّي، بحمد الله انّ مشايخ هذا العصر قد ترقّوا وأصبحوا أعلىٰ من الأئمّة عليهم السلام وأجازوا لمريديهم التصرّف بالمال أين ما كان في حين أنّ الأئمّة عليهم السلام لم يصدر عنهم هكذا حكم ولم يجوّزوا لنا التصرّف بأموال الناس».

هذا في ابن هلال الذي حجّ (٥٤) مرّة كان في (٢٠) منها ماشياً.

انّ أئمّة الهدىٰ هم عباد الله الذين اصطفاهم الله واجتباهم وهم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله:

﴿ وَجَاهِدُوا فِي ٱللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[1].

---

١. سورة الحج (٢٢): ٧٨.

الفصل التاسع

التشيّع ومكانته بين المذاهب الاسلاميّة

في هذا الفصل الأخير من الكتاب نعود إلى الموضوع الأصلي وهو «الامامة».

حيث نقتبس من حوار شهير ومراسلات دارت بين كلّ من المرحوم العلّامة السيّد عبدالحسين شرف الدين العاملي والشيخ سليم البشري المالكي المذهب رئيس جامعة الأزهر في عصره.

وقد طبعت المراسلات في كتاب جليل يحمل اسم «المراجعات» وفيه تتجلّىٰ حقانيّة مذهب أهل البيت وعظمته ومجده قياساً بسائر المذاهب الأولىٰ.

وردت في رسالة الشيخ سليم البشري هذه الأسئلة:

١ ـ لِمَ لَمْ تأخذ الشيعة بمذاهب الجمهور؟

٢ ـ الحاجة إلى الاجتماع.

٣ ـ لا يلم الشعث إلّا بمذاهب الجمهور.

١ ـ إنّما أسألك الآن عن السبب في عدم أخذكم بمذاهب الجمهور من

المسلمين، أعني مذهب الأشعري في أُصول الدين، والمذاهب الأربعة في الفروع، وقد دان بها السلف الصالح، ورأوها أعدل المذاهب وأفضلها، واتّفقوا على التعبّد بها في كلّ عصر ومصر، وأجمعوا على عدالة أربابهم واجتهادهم وأمانتهم وورعهم وزهدهم ونزاهة أعراضهم وعفّة نفوسهم وحسن سيرتهم وعلوّ قدرهم علماً وعملاً.

٢ ـ وما أشدّ حاجتنا اليوم إلى وصل حبل الشمل، ونظم عقد الاجتماع بأخذكم بتلك المذاهب تبعاص للرأي العام الاسلامي، وقد عقد أعداء الدين ضمائرهم على الغدر بنا وسلكوا في نكايتنا كلّ طريق أيقظوا لذلك آراءهم وأسهروا قلوبهم والمسلمون غافلون، كأنّهم في غمرة ساهون، وقد أعانوا على أنفسهم حيث صدعوا شعبهم ومزّقوا بالتحزّب والتعصّب شملهم، فذهبوا أيادي وتفرّقوا قدداً، يضلل بعضهم بعضاً ويتبرّء بعضهم عن بعض، وبهذا ونحوه افترستنا الذئاب وطمعت بنا الكلاب.

٣ ـ فهل تجدون غير الذي قلناه، هداكم الله إلى لمّ هذا الشعث سبيلاً، فقل تسمع، ومر تطع ولك السلام[١].

أمّا الجواب:

١ ـ الأدلّة الشرعيّة تفرض مذهب أهل البيت.

٢ ـ لا دليل على الأخذ بمذاهب الجمهور.

٣ ـ أهل القرون الثلاثة لا يعرفونها.

---

١. المراجعات: ٤.

٤ ـ الاجتهاد ممكن.

٥ ـ يلمّ الشعث باحترام مذهب أهل البيت.

١ ـ إنّ تعبّدنا في الأصول بغير المذهب الأشعري، وفي الفروع بغير المذاهب الأربعة، لم يكن لتحزُّب أو تعصُّب ولا للريب في اجتهاد أئمّة تلك المذاهب، ولا لعدم عدالتهم وأمانتهم ونزاهتهم وجلالتهم علماً وعملاً، لكن الأدلّة الشرعيّة أخذت بأعناقنا إلى الأخذ بمذهب الأئمّة من أهل بيت النبوّة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي والتنزيل، فانقطعنا إليهم في فروع الدين وعقائده وأصول الفقه وقواعده ومعارف السنّة والكتاب وعلوم الأخلاق والسلوك والآداب نزولاً على حكم الأدلّة والبراهين وتعبّداً بسنّة سيّد النبيّين والمرسلين ـ صلّى الله عليه وآله وعليهم أجمعين ـ ولو سمحت لنا الأدلّة بمخالفة الأئمّة من آل محمّد أو تمكنّا من تحصيل نيّة القربة لله سبحانه في مقام العمل على مذهب غيرهم، لقصصنا أثر الجمهور وجرينا على أسلوبهم، تأكيداً لعقد الولاء وتوثيقاً لعرى الأخاء، لكنّها الأدلّة القطعيّة تقطع على المؤمن وجهته وتحول بينه وبين ما يروم...

٢ ـ على أنّه لا دليل للجمهور على رجحان شيء من مذاهبهم، فضلاً عن وجوبها، وقد نظرنا في أدلّة المسلمين نظر الباحث المحقّق بكلّ دقّة واستقصاء، فلم نجد فيها ما يمكن القول بدلالته على ذلك إلّا ما ذكرتموه من اجتهاد أربابها وأمانتهم وعدالتهم وجلالتهم.

لكنّكم تعلمون أنّ الاجتهاد والأمانة والعدالة والجلالة غير محصورة بهم، فكيف يمكن (والحال هذه) أن تكون مذاهبهم واجبة على سبيل التعيين، وما

أظنّ أحداً يجرأ على القول بتفضيلهم (في علم أو عمل) على أئمّتنا وهم أئمّة العترة الطاهرة وسفن نجاة الأمّة وباب حطّتها، وأمانها من الاختلاف في الدين وأعلام هدايتها وثقل رسول الله وبقيته في أمّته وقد قال ﷺ:

«فلا تقدّموهم فتهلكوا ولا تعلّموهم فانّهم أهلم منكم».

لكنّها السياسة وما أدراك ما اقتضت في صدر الاسلام، والعجب من قولكم انّ السلف الصالح دانوا بتلك المذاهب، ورأوها أعدل المذاهب وأفضلها، واتّفقوا على التعبّد بها في كلّ عصر ومصر، كأنّكم لا تعلمون بأن الخلف والسلف الصالحين من شيعة آل محمّد (وهم نصف المسلمين في المعنى) إنّما دانوا بمذهب الأئمّة من ثقل رسول الله ﷺ فلم يجدوا عنه حولاً وانّهم على ذلك من عهد عليّ وفاطمة إلى الآن، حيث لم يكن أشعري ولا واحد من أئمّة المذاهب الأربعة ولا آباؤهم، كما لا يخفى.

٣ ـ على أن أهل القرون الثلاثة مطلقاً لم يدينوا بشيء من تلك المذاهب أصلاً، وأين كانت تلك المذاهب عن القرون الثلاثة (وهي خير القرون) وقد ولد الأشعري سنة سبعين ومئتين (٢٧٠) ومات سنة نيف وثلاثين وثلاث مئة (٣٣٠ونيفا) وابن حنبل ولد سنة أربع وستين ومئة (١٦٤) ومات سنة إحدى وأربعين ومئتين (٢٤١) والشافعي ولد سنة خمسين ومئة (١٥٠) وتوفي سنة مئتين وأربع (٢٠٤) وولد مالك سنة خمس وتسعين (٩٥) ومات سنة تسع وسبعين ومئة (١٧٩) وولد أبو حنيفة سنة ثمانين (٨٠) وتوفي سنة خمسين ومئة (١٥٠) والشيعة يدينون بمذهب الأئمّة من أهل البيت (وأهل البيت أدرى بالذي فيه) وغير الشيعة يعملون بمذاهب العلماء من الصحابة

والتابعين، فما الذي أوجب على المسلمين كافّة (بعد القرون الثلاثة) تلك المذاهب دون غيرها من المذاهب التي كان معمولاً بها من ذي قبل؟

وما الذي عدل بهم عن اعدال كتاب الله وسفرته وثقل رسول الله وعيبته، وسفينة نجاة الأمّة وقادتها وأمانها وباب حطّتها؟!

٤ ـ وما الذي ارتجّ باب الاجتهاد في وجوه المسلمين بعد ان كان في القرون الثلاثة مفتوحاً على مصراعين، لو لا الخلود إلى العجز والاطمئنان إلى الكسل، والرضا بالحرمان، والقناعة بالجهل، ومن ذا الذي يرضى لنفسه أن يكون (من حيث يشعر أو لا يشعر) قائلاً بأنّ الله عزّوجلّ لم يبعث أفضل أنبيائه ورسله بأفضل أديانه وشرائعه ولم ينزل عليه أفضل كتبه وصحفه بأفضل حكمه ونواميسه، ولم يكمّل له الدين ولم يتمّ عليه النعمة ولم يعلّمه علم ما كان وعلم ما بقي إلّا لينتهي الأمر في ذلك كلّه إلى أئمّة تلك المذاهب فيحتكروه لأنفسهم، ويمنعوا من الوصول إلى شيء منه عن طريق غيرهم؟!

	الولادة	الوفاة	
الأشعري	٢٧٠هـ	٣٣٠هـ	مؤسّس أصول الفقه لدى السنّة
ابن حنبل	١٦٤	٢٤١	إمام المذهب الحنبلي
الشافعي	١٥٠	٢٠٤	إمام المذهب الشافعي
مالك	٩٥	١٧٩	إمام المذهب المالكي
أبو حنيفة	٨٠	١٥٠	إمام المذهب الحنفي

حتّى كأنّ الدين الاسلامي بكتابه وسنّته، وسائر بيانه وأدلّته من أملاكهم

الخاصّة، وإنّهم لم يبيحوا التصرّف به على غير رأيهم، فهل كانوا ورثة الأنبياء، أم ختم الله بهم الأوصياء والأئمّة، وعلّمهم علم ما كان وعلم ما بقي، وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين، كلّا بل كانوا كغيرهم من أعلام العلم ورعاته وسدنته ودعاته وحاشا دعاة العلم أن يوصدوا بابه أو يصدّوا عن سبيله وما كانوا ليعتقلوا العقول والأفهام ولا ليسملوا أنظار الأنام، ولا ليجعلوا على القلوب أكنّة وعلى الأسماع وقرا وعلى الأبصار غشاوة وعلى الأفواه كمامات وفي الأيدي والأعناق أغلالاً وفي الأرجل قيوداً لا ينسب ذلك إليهم إلّا من افترى عليهم وتلك أقوالهم تشهد بما نقول.

٥ ـ هلمّ بنا إلى المهمّة التي نبّهتنا إليها من لمّ شعث المسلمين والذي أراه أن ذلك ليس وقوفاً على عدول الشيعة عن مذهبهم ولا على عدول السنّة عن مذهبهم وتكليف الشيعة بذلك ترجيح بلا مرجح، بل ترجيح للمرجوح، بل تكليف بغير المقدور، ما يعلم ممّا قدمناه نعم يلم الشعث وينتظم عقد الاجتماع بتحريركم مذهب أهل البيت واعتباركم إيّاه كأحد مذاهبكم حتّى يكون نظر كلّ من الشافعيّة والحنفيّة والمالكيّة والحنبليّة إلى شيعة آل محمّد صلى الله عليه وآله كنظر بعضهم إلى بعض.

وبهذا يجتمع شمل المسلمين وينتظم عقد اجتماعهم والاختلاف بين مذاهب أهل السنّة لا يقل عن الاختلاف بينها وبين مذهب الشيعة تشهد بذلك الألوف المؤلّفة في فروع الطائفتين وأصولهما.

فلماذا ندد المنددون منكم بالشيعة في مخالفتهم لأهل السنّة ولم يندّدوا بأهل السنّة في مخالفتهم للشيعة، بل في مخالفة بعضهم لبعض، فاذا جاز

أن تكون المذاهب أربعة، فلماذا لا يجوز أن تكون خمسة، وكيف يمكن أن تكون الأربعة موافقة لاجتماع المسلمين، فاذا زادت مذهباً خامساً تمزق الاجتماع وتفرق المسلمون طرائق قدداً وليتكم إذ دعوتمونا إلى الوحدة المذهبيّة دعوتم أهل المذاهب الأربعة إليها، فان ذلك أهون عليكم وعليهم ولِمَ خصصتمونا بهذه الدعوة؟!

فهل ترون أتباع أهل البيت سبباً في قطع حبل الشمل ونثر عقد الاجتماع واتباع غيرهم موجباً لاجتماع القلوب واتّحاد العزائم وإن اختلفت المذاهب والآراء وتعدّدت المشارب والأهواء؟!

ما هكذا الظن بكم ولا المعروف من مودّتكم في القربىٰ. والسلام.

مناشدة أميرالمؤمنين:

مناشدة أميرالمؤمنين عليه السلام أيّام عثمان بن عفّان.

روى شيخ الاسلام أبو اسحاق بن سعد الدين ابن الحموية (المترجم ١٢٣) باسناده في «فرائد السمطين» في السمط الأوّل في الباب الثامن والخمسين عن التابعي الكبير سليم بن قيس الهلالي، قال:

رَأَيْتُ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلامُ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي خِلافَةِ عُثْمَانَ وَجَمَاعَةٌ يَتَحَدَّثُونَ وَيَتَذَاكَرُونَ الْعِلْمَ، وَالعِفّة فَذَكَرُوا قُرَيْشاً وَفَضْلَهَا وَسَوَابِقَهَا وَهِجْرَتَهَا وَمَا قَالَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْفَضْلِ، مِثْلَ قَوْلِهِ: صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ»... إلىٰ أن قال: (بعد مفاخرة كلّ حيّ برجال قومه): وَفِي الْحَلْقَةِ أَكْثَرُ مِنْ مِأَتَيْ رَجُلٍ فِيهِمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ

وَالزُّبَيْرُ وَعَمَّارٌ وَالْمِقْدَادُ وَأَبُو ذَرٍّ وَهَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ وَابْنُ عُمَرَ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا السَّلامُ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ، وَمِنَ الأَنْصَارِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ وَأَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ...

وأكثر القوم في ذلك من بكرة إلىٰ حين الزوال وعثمان في داره لا يعلم بشيء ممّا هم فيه وعليّ بن أبي طالب عليه السلام ساكتٌ لا ينطق ولا أحدٌ من أهل بيته.

فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ، فَقَالُوا يَا أَبَا الْحَسَنِ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ؟

فَقَالَ: مَا مِنَ الْحَيَّيْنِ أَحَدٌ إِلّا وَ قَدْ ذَكَرَ فَضْلاً وَقَالَ حَقّاً، فَأَنَا أَسْأَلُكُمْ يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ وَالأَنْصَارِ بِمَنْ أَعْطَاكُمُ اللهُ هَذَا الْفَضْلَ؟ أَبِأَنْفُسِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ وَأَهْلِ بُيُوتَاتِكُمْ أَمْ بِغَيْرِكُمْ؟

قَالُوا: بَلْ أَعْطَانَا اللهُ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَشِيرَتِهِ لا بِأَنْفُسِنَا وَعَشَائِرِنَا وَلا بِأَهْلِ بُيُوتَاتِنَا.

قَالَ: صَدَقْتُمْ، يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ وَالأَنْصَارِ!

أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي نِلْتُمْ بِهِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهِمْ فَإِنَّ ابْنَ عَمِّي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ:

إِنِّي وَأَهْلَ بَيْتِي كُنَّا نُوراً بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَضَعَ ذَلِكَ النُّورَ فِي صُلْبِهِ وَأَهْبَطَهُ إِلَى الأَرْضِ، ثُمَّ حَمَلَهُ فِي السَّفِينَةِ فِي صُلْبِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ، ثُمَّ قَذَفَ بِهِ فِي النَّارِ فِي صُلْبِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَنْقُلُنَا مِنَ الأَصْلابِ الْكَرِيمَةِ إِلَى الأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ، وَمِنَ الأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ إِلَى

الْأَصْلابِ الْكَرِيمَةِ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ لَمْ يَلْتَقِ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى سِفَاحٍ قَطُّ.

فَقَالَ أَهْلُ السَّابِقَةِ وَالْقِدْمَةِ وَأَهْلُ بَدْرٍ وَأَهْلُ أُحُدٍ.

نَعَمْ قَدْ سَمِعْنَا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ.

قَالَ نَشَدْتُكُمْ بِاللهِ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَضَّلَ فِي كِتَابِهِ السَّابِقَ عَلَى الْمَسْبُوقِ فِي غَيْرِ آيَةٍ، وَإِنِّي لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ، أَتَعْلَمُونَ حَيْثُ نَزَلَتْ ﴿وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾[1] ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[2] سُئِلَ عَنْهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَنْزَلَهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَفِي أَوْصِيَائِهِمْ، فَأَنَا أَفْضَلُ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ وَصِيِّي أَفْضَلُ الْأَوْصِيَاءِ.

قَالُوا اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قَالَ فَأَنْشُدُكُمْ بِاللهِ، أَتَعْلَمُونَ حَيْثُ نَزَلَتْ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، وَحَيْثُ نَزَلَتْ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، وَحَيْثُ نَزَلَتْ ﴿وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾.

---

١. سورة التوبة (٩): ١٠٠.

٢. سورة الواقعة (٥٦): ١٠.

قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخَاصَّةٌ فِي بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ أَمْ عَامَّةٌ بِجَمِيعِهِمْ؟

فَأَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ أَنْ يُعْلِمَهُمْ وُلاةَ أَمْرِهِمْ وَأَنْ يُفَسِّرَ لَهُمْ مِنَ الْوَلايَةِ مَا فَسَّرَ لَهُمْ مِنْ صَلاتِهِمْ وَزَكَاتِهِمْ وَصَوْمِهِمْ وَحَجِّهِمْ، فَنَصَبَنِي لِلنَّاسِ بِغَدِيرِ خُمٍّ، ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ أَرْسَلَنِي بِرِسَالَةٍ ضَاقَ بِهَا صَدْرِي فَظَنَنْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبُونِي فَأَوْعَدَنِي لأُبَلِّغُهَا أَوْ لَيُعَذِّبَنِّي، ثُمَّ أَمَرَ فَنُودِيَ بِالصَّلاةِ جَامِعَةً ثُمَّ خَطَبَ، فَقَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مَوْلايَ وَأَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَا أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: قُمْ يَا عَلِيُّ، فَقُمْتُ، فَقَالَ:

مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ.

فَقَامَ سَلْمَانُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَلاءٌ كَمَا ذَا؟

قَالَ: وَلاءٌ كَوَلائِي، مَنْ كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ فَعَلِيٌّ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ.

فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً﴾[1].

فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ تَمَامُ نُبُوَّتِي وَتَمَامُ دِينِ اللهِ وَلايَةُ عَلِيٍّ بَعْدِي.

---

١. سورة المائدة (٥): ٣.

فَقَامَ أَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ وَقَالا: يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ الْآيَاتُ خَاصَّةٌ فِي عَلِيٍّ؟

قَالَ: بَلَى، فِيهِ وَفِي أَوْصِيَائِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَالا: يَا رَسُولَ اللهِ بَيِّنْهُمْ لَنَا.

قَالَ: عليٌّ أَخِي وَ وَزِيرِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِي أُمَّتِي وَوَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ بَعْدِي، ثُمَّ ابْنِيَ الْحَسَنُ ثُمَّ ابْنِيَ الْحُسَيْنُ ثُمَّ تِسْعَةٌ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، الْقُرْآنُ مَعَهُمْ وَهُمْ مَعَ الْقُرْآنِ لا يُفَارِقُونَهُ وَلا يُفَارِقُهُمْ حَتَّى يَرِدُوا عَلَيَّ الْحَوْضَ.

فَقَالُوا: كُلُّهُمْ اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَدْ سَمِعْنَا ذَلِكَ وَشَهِدْنَا كَمَا قُلْتَ سَوَاءً.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ حَفِظْنَا جُلَّ مَا قُلْتَ وَلَمْ نَحْفَظْ كُلَّهُ، وَهَؤُلاءِ الَّذِينَ حَفِظُوا أَخْيَارُنَا وَأَفَاضِلُنَا.

فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ: صَدَقْتُمْ، لَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَسْتَوِي فِي الْحِفْظِ أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ حَفِظَ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لَمَّا قَامَ وَأَخْبَرَ بِهِ.

فَقَامَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَأَبُو ذَرٍّ، وَالْمِقْدَادُ، وَعَمَّارٌ، فَقَالُوا: نَشْهَدُ لَقَدْ حَفِظْنَا قَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ وَأَنْتَ إِلَى جَنْبِهِ.

وَهُوَ يَقُولُ:

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَنْصِبَ لَكُمْ إِمَامَكُمْ وَالْقَائِمَ فِيكُمْ بَعْدِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي وَالَّذِي فَرَضَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي كِتَابِهِ طَاعَتَهُ وَقَرَنَهُ بِطَاعَتِهِ

وَطَاعَتِي، وَأُمَرَكُمْ بِوَلايَتِهِ، وَإِنِّي رَاجَعْتُ رَبِّي خَشْيَةَ طَعْنِ أَهْلِ النِّفَاقِ وَتَكْذِيبِهِمْ فَأَوْعَدَنِي رَبِّي لأُبَلِّغَنَّهَا أَوْ يُعَذِّبَنِي.

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ فِي كِتَابِهِ بِالصَّلاةِ فَقَدْ بَيَّنْتُهَا لَكُمْ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ فَبَيَّنْتُهَا لَكُمْ وَفَسَّرْتُهَا، وَأَمَرَكُمْ بِالْوَلايَةِ وَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنَّهَا لِهَذَا خَاصَّةً وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى يَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ثُمَّ لِابْنَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ، ثُمَّ لِلأَوْصِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ وُلْدِهِمْ لا يُفَارِقُونَ الْقُرْآنَ وَلا يُفَارِقُهُمْ حَتَّى يَرِدُوا عَلَيَّ الْحَوْضَ.

أَيُّهَا النَّاسُ! قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ مَفْزَعَكُمْ بَعْدِي وَإِمَامَكُمْ وَدَلِيلَكُمْ وَهَادِيَكُمْ، وَ هُوَ أَخِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَهُوَ فِيكُمْ بِمَنْزِلَتِي فِيكُمْ، فَقَلِّدُوهُ دِينَكُمْ وَأَطِيعُوهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ، فَإِنَّ عِنْدَهُ جَمِيعَ مَا عَلَّمَنِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ فَاسْأَلُوهُ وَتَعَلَّمُوا مِنْهُ وَمِنْ أَوْصِيَائِهِ بَعْدَهُ، وَلا تُعَلِّمُوهُمْ وَلا تَتَقَدَّمُوهُمْ وَلا تَخَلَّفُوا عَنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَهُمْ، وَلا يُزَايِلُونَهُ وَ لا يُزَايِلُهُمْ.. ثُمَّ جَلَسُوا[1].

---

١. فرائد السمطين، السمط الأوّل، باب ٥٨؛ الغدير: ١/١٦٣؛ بحار الأنوار: ٣١/٤١٠؛ الاحتجاج للطبرسي: ١/١٤٨؛ الغيبة للنعماني: ٧١، كمال الدين: ١/٢٧٤.

المحتويات

المقدّمة ٥

الفصل الأوّل: الامامة، إكمال الدين ٨

مسار الخلافة بعد الرسول ﷺ ٤٠

الخلافة وانحراف مسيرها من بيت النبي ﷺ إلى الخارج ٤٠

على ما اعترف به رجال من أهل السنّة ٤٠

الخلافة وانحراف مسيرها من بيت النبي ﷺ إلى الخارج ٤١

على لسان علي عليه السلام ٤١

قول الله عزّوجل والنبيّ ﷺ والأئمّة عليهم السلام بشأن أهل بيت الرسول ٥٩

١ ـ علم الكتاب ٥٩

٢ ـ أهل البيت عليهم السلام هم عدل القرآن ٥٩

٣ ـ حبّ أهل البيت عليهم السلام هو أجر الرسالة ٥٩
٤ ـ تحديد شخوص أهل البيت عليهم السلام ٦١

الفصل الثاني اصطفاء الامام عليه السلام ونصبه من لدن الله تبارك وتعالىٰ ٦٩
والنصوص الواردة في ذلك ٦٩

الفصل الثالث : العصمة أو الخصائص التي تتحقّق ٨٧
من خلالها إمامة الإمام ٨٧
١ ـ ماذا تعني العصمة ؟ ٨٧
رسالة محمّد بن أبي بكر إلىٰ معاوية ١٠٣
رسالة معاوية الجوابيّة ١٠٥

الفصل الرابع : الامامة وعلم الغيب ١١٧
ماذا يعني علم الغيب ؟ ١١٧

الفصل الخامس : الامامة والتفويض والوحي ١٢٥
الامامة والوحي ١٢٩
ما هو الوحي ؟ ١٣٠

الفصل السادس أهل البيت عليهم السلام والقرآن الكريم ١٤٦

١ ـ آية البلاغ ١٤٦

٢ ـ اكمال الدين واتمام النعمة بعد انزال آخر فريضه وهي الولاية لعليّ عليه السلام . ١٤٦

٣ ـ نزول العذاب على من أنكر ولاية علي عليه السلام : ١٥٠

٤ ـ فريضة المودّة لأهل البيت عليهم السلام ١٥٣

٥ ـ الولاء لأهل البيت عليهم السلام الميثاق الالهي الأزلي ١٥٤

٦ ـ ولاية أهل البيت عليهم السلام الأمانة التي عرضت على السماء والأرض ١٥٧

٧ ـ توسّل أنبياء السلف بأهل البيت عليهم السلام ١٥٨

٨ ـ الراسخون في العلم ١٦٠

٩ ـ الصادقون ١٦١

١٠ ـ حبل الله ١٦٣

١١ ـ السابقون ١٦٤

١٢ ـ صراط الله المستقيم ١٦٥

أُولوا الأمر ١٦٥

١٤ ـ أهل الذكر ١٦٦

١٥ ـ رجال الأعراف ١٦٧

١٦ ـ المؤمنون ١٦٨

١٧ ـ الشهداء على الأُمّة بعد رسول الله ﷺ ١٦٩
١٨ ـ الهادي والدليل ١٧١
١٩ ـ النعيم ١٧٤

الفصل السابع : الامامة والتوسّل ١٨٥
١ ـ ما ورد في دعاء أبي حمزة الثمالي ١٩٢
٢ ـ دعاء عرفة ١٩٣

الفصل الثامن : التصوّف والتشيّع ٢٠٣

الفصل التاسع : التشيّع ومكانته بين المذاهب الاسلاميّة ٢٤٧

المحتويات ٢٥٩